AL - KHAWAJA PALACE

قصر الخواجة

طريق الصيد
الجريمة الرابعة

حيث كان الصوت أحد أفراده

رحمة نبيل

سلسلة قصص الجريمة والغموض

ART_OF_BOOK

@ART_OF_BOOK

رواية

قصر الخواجة
(فريق العو – المهمة الرابعة)

رحمة نبيل

مجلة الأدباء
مدونة أدبية
للنشر والتوزيع

@ART_OF_BOOK
ART_OF_BOOK

الإهداء

إهـــداء إلـــى "بيئـــة العمـــل"، ملهمـــي الأول والأكبـــر، ومنبـــع كـــل أفكـــاري فـــي هـــذه الروايـــة، ومصـــدر كـــل شـــرّ ســـكن نفســـي يومًـــا، وأخـــصُّ بالشـــكر كـــلّ شـــخصٍ أوصـــلني إلـــى حافـــة جنـــوني، فـــأجبر عقلـــي علـــى صـــنع توليفـــة إجراميـــة مكتملة الأركان.

إهداءٌ إلى كلّ من دعمني يومًا ولو بكلمة.

وأخيـــرًا، إهـــداءٌ إلـــى نفســـي: "شـــكرًا لصـــمودك فـــي هـــذا العالم حتى هذه اللحظة".

***

@ART_OF_BOOK

المقدمة

ربما اعتدتم في السنوات السابقة على صوتٍ أقلّ هيبةً وفخامةً من ذلك الصوتِ الذي يتردد في آذانكم أثناء قراءتكم لكلماتي هذه، فكما يُقال: "الهيبةُ حاضرةٌ ولوبكلماتٍ مكتوبةٍ". فمن السهل على أيِّ كان أن يُفرِّق بين صوتٍ عادي طبيعي كصوتِ "أسامة" مثلًا، وصوتٍ رخيمٍ قويٍّ ذي هيبةٍ واضحةٍ حتى في حروفه المكتوبة، كصوتي أنا، ولربما تكونون قد خمَّنتم هويتي، لكن دعوني أُنير العقول المنطفئة التي قد تخطئُ خطاباتي.

فأنا "جلال الأبنودي" معكم ولأول مرة في اللقاء الترحيبي للمهمة الجديدة، تتساءلون عن السبب؟ أخبركم أنه قد عادت الأمور إلى نطاقها الصحيح، الذي كان من المفترض أن تكون عليه منذ البداية، ولأن أسامة الآن مشغولٌ بقضاء أيام زفافه الأولى مع عفاف.

حسنًا، دعونا من هذه المقدمات والثرثرة التي اعتاد أسامة النطق بها، ولنبدأ في تعريف المهمة الجديدة فنحن فريق أفعال لا أقوال كما البعض "أسامة".

@ART_OF_BOOK
ART_OF_BOOK

هنا وعلى أبواب القصر تبدأ رحلتكم معنا، وهذه المرة دعوني أخبركم أنها ستكون أشد و أقسى مما سبق، يمكنني تقييم حدة وصعوبة المهمة بـ ٨/١٠ على مقياس " الجلالومتر" الذي أقيس به صعوبة المهام بالنسبة للمغفلين الثلاثة الآخرين، أما عني فلا مهمة قد تتجاوز ١٠/١٠ في عيني.

حسنًا كما اتفقنا دعوا المقدمات لأسامة، ودعوا لنا الأفعال، وإن كنتم تتساءل عن الأفعال التي أطلبها منك الآن في بداية المهمة قبل معرفة التفاصيل حتى؟! فهي التضرع لله وإخراج صدقات وكفالة يتيم، على الله يتلطف بنا ويخرجنا منها بخير حال.

والآن نفس عميق، نظرات حادة، خطوات بطيئة، موسيقى أجنبية فاخرة وحركات مليئة بالفخامة، ثم نتوجه نحو نقطة البداية "قصر الخواجة"؛

حيث كان الموت رفيق كل فرد.

ومرحبًا بكم مجددًا في فريقنا "فريق العمو"؛ حيث لا مكان للأذكياء ولا مجال للتفكير.

***

@ART_OF_BOOK

الفصل الأول

"مهمة جديدة"

صوت أقدام تضرب الأرض تزامنًا مع هبوط قوي للأمطار وبشكل كثيف في هذا الوقت، بعدما أذاعت النشرة الجوية سابقًا أن اليوم سيكون لطيفًا مع غيوم قليلة، لكن هذه المدينة الساحلية تميز جوها بالاضطراب في كثير من شهور العام، ولم يكن هذا الوقت استثناءً: لذا بدلًا من جو لطيف غائم، حازوا جوًا عاصفًا مضطربًا.

ففي الوقت الذي خطط لإقامة حفله الخاص مع رفاقه والاستمتاع بآخر لحظات عزوبته الجميلة، جاء الجوليحطم آماله بالكامل ويفسد رحلته التي خطط لها في أحد الشواطئ المعزولة بعيدًا عن الأعين، مستغلين غياب المصيفين الذين يتخذون الشتاء موسمًا يعدون به العدة لاحتلال مديلته في الصيف، وتجهيز ثياب حربهم التي تمثلت في الملابس الداخلية البيضاء وخزائن الحرب التي تمثلت في "المكرونة والبانيه".

@ART_OF_BOOK
ART_OF_BOOK

ضرب باب سيارته بغضب وقوة، يتحرك مبتل الثياب والوجه داخل باحة القصر الذي يقطنه مع عائلته الموقرة، يتحدث بالهاتف بصوت ناقم مغتاظ:

- ما أنت لبرت فيها أنت وهويا خويا، اتنيل لمّ الليلة لما نبقى نشوف بيم تاني.

صمت يستمع لصوت مُحدثه على الجهة الأخرى، قبل أن تصدح ضحكاته بين جدران القصر الفسيح والذي كان في هذه اللحظة شبه فارغ من قاطنيه بعدما خرجوا للاحتفال بالزفاف المرتقب دون العريس:

شكلها عين فعلًا، محدش كان راضي أساسًا عن أم الليلة من أولها، اقفل اقفل خليني أدخل أخد دوش سخن قبل ما حد يرجع ويبداوا يسموا بدلي بكلام.

وبمجرد إغلاق الهاتف أكمل سيره بهدوء صوب بوابة القصر الداخلية، يصفر ويدندن لحن آخر اغنية استمع لها في سيارته قبل الهبوط منها.

دفع البابَ بهدوء، ونظر حوله إلى ظلام القصر متعجبًا من عدم إضاءة الأضواء قبل رحيلهم إلى الحفلة، تحرك صوب مقبس الكهرباء، لكن ما إن لمسته حتى شعر بشيءٍ رَطْبٍ أسفل أنامله، ضيّق ما بين حاجبيه بتعجب، وأبعد يده بسرعة، وحسبب أن المقبس مبتلّ، ويا ليته كان كذلك! فما إن قرب يده منه، وأنار إضاءة الهاتف، حتى انتفض جسده إلى الخلف بسرعة كبيرة فاصطدم ظهرُه بطاولة، ليسقط أرضًا متأوّهًا بصوتٍ مرتفعٍ رنَّ صداه في أرجاء القصر.

أخرج منديلًا من جيبه، وجفف تلك الدماء اللزجة عن أصابعه، مرتعبًا مما حدث منذ ثوانٍ، محاولًا أن يتخيل كيف أتت الدماء على مقبس الكهرباء.

@ART_OF_BOOK

ابتلع ريقه يتنهد بصوت مرتجف:

- ممكن... ممكن... حد كان متعورهو اللي طفى الأنوارو....

صمت، وقد بدأ عقله يسخرمن هذا التحليل، لكنه كان أقرب طوق نجاة يتمسك به في لحظات الرعب هذه، عاد أمام عينيه مشهد جثةٍ ملقاة على سرير إحدى غرف القصر، عينان شاخصتان وبشرةٌ شاحبة، ارتجف جسده محاولًا إبعاد تلك الصورة عن عقله، مرتعبًا من فكرة عودة روح القتيل لتطارد ساكني القصر.

- إيه الهبل ده! ده هبل.

هكذا أقنع نفسه، يتحرك من الأرض بسرعة وقد رفض العودة لمقبس الضوء مجددًا مكتفيًا بإضاءة هاتفه التي أرشدته لغرفته، وبمجرد أن دخل تحرك بحذر صوب زر الإضاءة يستكشفه أولاً، ليزفر مرتاحًا يضغط عليه كي ينتشر النور في المكان، لكن لم يحدث.

- فيه إيه؟!

أخذ يزيد من ضرباته على الزروكأنه يحثه على القيام بعمله وإنارة المكان، لكن يبدوان عطلًا أصابه.

نفخ بغضب شديد:

- إيه القرف ده على المسا!

تحرك بضيق صوب خزانته وقد أضحى هاتفه رفيقه في رحلته داخل الغرفة، وصل للخزانة يفتحها يخرج بعض الثياب المنزلية منها، ومن ثم تحرك صوب

@ART_OF_BOOK

المرحاض لتجهيز حمامه، وما كاد يستدير حتى سمع صوت انفاس يرافقه في المكان.

ومجددًا كان الوهم سبيل النجاة، فأوهم ذاته أن كل ذلك محض خيالات، وان جثة ابن عمه التي نثرت دماؤها بين ممرات القصر قبل شهرين منتحرًا، هي سبب كل تلك الخيالات التي أصابته منذ وطئ القصر، وفي لحظة غضب لعن كل من ساهم في اقتراح عدم بيع هذا القصر اللعين بعد ما حدث.

فجثة ابن عمه قبل شهرين لم تكن الأولى، إذ سبقه أخوه الأكبر قبلها بشهر منتحرًا بجرعة زائدة من سم غريب، وقد أصبح هذا القصر يحمل طاقة سلبية لساكنيه، لكن جده سامحه الله يتمسك به إرثًا وشرفًا.

زفر بضيق وهو يستدير للخروج من المرحاض ليحضر ملشفته، لكن فجأة توقفت قدماه وتجمد جسده من هول ما يرى، جسد يسد الباب يلقي بظلاله على أرضية المرحاض الشبه معتمة.

تراجع "سامر" للخلف برعب وقد توقف قلبه وعقله كذلك، إذ عجز حتى عن الصراخ، يحاول التحدث بكلمات متقطعة غير مفهومة:

- مـ...مين...لي... الأوضة... أنت... مين؟!

لكن صاحب الظل لم يعبأ بأسئلته وهو يتحرك صوبه بهدوء شديد جعل دقات قلب سامر تعود للعمل مجددًا، بل وتزداد حتى كاد قلبه يقفز من صدره، تراجع الأخير وقد سقط الهاتف من يده في غمرة رعبه، وانزلقت قدمه في أرضية المرحاض من صدمته حينما أبصر خيالًا يدركه جيدًا، خيال آلة يعلمها جيدًا.. مسدس.

@ART_OF_BOOK

هنا، تحرر لسانه من عقدته وأخذ يهذي ويصرخ بكلمات يستنجد بها بأي كان ليلتقده:

- أنت عايز إيه؟! أنت... أنت مين؟! عايز إيه؟ أنا عملتلك إيه؟

كان يهذي بكلمات متتابعة وهو يحرك يديه بهستيرية على الأرض لالتقاط هاتفه كي ينير له الرؤية أكثر، إذ كان اعتماده الأول على ضوء القمر المتسرب من ستائر نافذته مقابل المرحاض مباشرة.

كان يصرخ ويبكي من خوفه:

- والله لو طلع مقلب منك يا شهاب أنا هـ...

فجأة توقفت كلماته حينما أمسك هاتفه، ورفعه أخيرًا إلى وجه الشخص الذي اقتحم مرحاضه، فانعقد لسانه من شدة الصدمة، حتى كاد يموت من صدمته قبل أن تلمسه رصاصة الظل.

ومجددًا سقط الهاتف على الأرض بقوة تسببت في تحطم شاشته، وأصاب سامر جمود ما بعد الصدمة وهو يحدق بوجه الظل مرددًا كلمات كالمحموم:

- ليه... ليه؟ أنـ...

لكن لم يُقدَّر لبقية أحرفه أن تشهد النور، إذ كانت رصاصةُ الظل أسرع منها، فأصابت صدره مباشرةً، وتحديدًا منتصف قلبه، وفي ثوانٍ سقط سامر أرضًا، وبدأت دماؤه تتسرب خارج جسده، وعيناه شاخصتان بصدمةٍ كأنه يتساءل عن السبب حتى بعد موته.

@ART_OF_BOOK

أما الظل فقد مال بجسده ببطء شديد، ير اقب جثة ساهر أمامه دون ردة فعل محددة، ولم ينطق بكلمة، بل ألقى ورقةً بيضاء خُطّت عليها حروفٌ حمراء كما لو كانت قد كُتبت بالدماء، ثم رحل.

***

في أقاصي البلاد، وتحديدًا على الحدود الساحلية من جهة البحر الأحمر، الذي يتميز في هذا الوقت من العام بقلة زواره وندرة محبيه، مَن يمتلك غباء يجعله يقرر في لحظات تهوّر غير محسوبة . السفر إلى مدينة ساحلية ليقضي فيها أيامه؟ بل إن صح القول، ليقضي فيها أفضل أيامه: أيامه القليلة السعيدة التي تعقب لحظات زفافه وتُسمى بـ"شهر العسل"، والتي تبدو أقرب إلى لحظات خروج الروح، إذ يبدأ الإنسان في التخبط حول نفسه قبل أن يستكين للموت ويرضخ لنهايته، وهكذا كانت تلك الأيام، تعقب زفافك لتستمتع بآخر لحظات حرية روحك قبل أن يُكبّلها المو... الزواج.

وبالعودة لسؤالنا السابق حول مَن يمتلك غباءً كافيًا ليقرر زيارة هذه المدينة المعروفة بجوها المتقلب في هذا الوقت من الشتاء، سنجد أن الإجابة لن تخرج عن ثلاثة أنواع من البشر؛ محبي الصيف، كارهي "المكرونة بالبشاميل"، وأخيرًا أفراد فريق العمل.

ونعم كانوا هم النوع الثالث، أسامة وعفاف اللذان من بين كل محافظات ومدن و أقاليم مصر، اختارا قضاء شهر عسلهما في تلك المدينة بعيدًا عن ضوضاء القاهرة، ومصائب جلال، ونصائح هند، تركا الكوارث، والكوارث أبت أن تتركهما،

@ART_OF_BOOK

- حد يتصل بالمطافي والإسعاف بسرعة، النار بدأت تزيد في المكان وفيه صياح كتير محبوسين جوا المطعم،

كانت صيحة عالية انطلقت من أحد الأدوار، وصاحبها بر اقب الحريق المتحكم في عبلبه برعب وصدمة كبيرة،

وأسامة بر اقب ما يحدث بعينين ملسحلين وقد كان على وشك دخول المطعم مع عفاف لقضاء أمسية رومانسية دفع بها أخر ما يمتلك من سلفته الأخيرة من عمله، لكن ما هي السلفة تحترق مع شهر عسله،

وعفاف فقط تر اقب ما يحدث بعدم فهم ويبدو أن ما يحدث في هذه اللحظة كان أكبر من استيعاب المسكينة التي لم تصدق حتى هذه اللحظة ما تبصره،

- إيه..... إيه ده؟
- شكلها حريقة كبيرة يا فوفا، يا رب سلم
- طب والسهرة بتاعتنا؟!

نظر إليها أسامة بصدمة ولم يكد يتحدث بكلمة حتى سمع صوت صرخات النساء يعلو من الداخل، فخلع سترته وألقاها على عفاف بسرعة:

- امسكي دي،

نظرت عفاف بصدمة إلى سترته وهي تحاول التحدث بكلمة تفهم بها ما يخطط له، لكن قبل التحدث بكلمة، كان أسامة يلقي بنفسه بين النيران يلتقط من الأجساد ما يستطيع للمساعدة في خروجهم وعفاف فقط تنظر إلى سهرتها التي فسدت،

@ART_OF_BOOK

- أسامة اسمعني أنت بتعمل إيه يا حزين أنت؟

لكن أسامة لم يكن موجودًا لهجيبها، ولد شرع يساعد في إخراج ضحايا الحريق من المطعم، في اللحظة التي امتلأ المكان برجال الإطفاء والمسعفين، ولد بدأ الجميع يتداركون الوضع.

وبعد دقائق طويلة من الانتظار والبحث بين الجميع عن روجها، أخيرًا وجدته عفاف في أحد الأركان يقوم بواجبه الوطني في تلميظ المساحة أو تلميحد رتة المساحة إن تحررتا الدقة.

كان يجلس على عقبيه، يحاول أن يساعد المساعة لي التنفس بشكل طبيعي يتحدث بلغة أجنبية متقنة:

- هل أنتِ بخير؟ هل تسمعيني؟ هزي رأسك إن كنتِ تسمعيني.

وبالفعل بعد دقائق من محاولة المساعدة هزت المرأة أخيرًا رأسها ليبتسم لها أسامة براحة ويمسح العرق:

- حمدًا لله أنكِ بخير، كاد قلبي يتوقف.
- لا ألف لا بأس يا ضناياه، المدام دي يا خويا؟

أجاب أسامة بصوت هادئ، يجفف قطرات عرقه بمنديل يهبط، صوب المتحدث دون إدراك للصوت:

- لا، بس...

@ART_OF_BOOK

لم تملحه عفاف الفرصة لهجيب وهي تلقي السارة على وجهه بحدة كوبة صارحة لي وجهه:

- ولما هولا. ليه محسستني إن روحك كانت متعلقة بلفسها!؟ بعدين بتقلع التيشيرت ليه وأنت داخل؟! هتغمس؟!
- فوقا! أنت بتقولي إيه؟ ده... ده عمل إنساني بس والله. أكمد أنت مش هتحمي إني أشوف إسانة لي وحدة ومساعدش.
- وليه إسانة. ليه مش إنسان؟! داخل تلتمك السنات بملقاط وتقلدهم. والرجالة بولعوا بعلي؟! ليه مفيش إسانية مع الذكور؟!

نهض أسامة برمقها بحدية ورفض لحديتها المتناثر بشكل عشوائي بسبب غضبها الواضح:

- عفاف أنا مقدر عصبيتك بس مينفعش اللي بتقوليه
- مينفعش ليه؟! ده أنت كنت هتقلي نارها بدموعك دلوقتي يا حبيبي. وأنا لو كنت ولعت مكانش هيهون عليك تقف عليها تطفي نارك.

انصدمت عينا أسامة من كلمات عفاف وغضبها الواضح. ولم يفهم ما الذي يحدث في هذه اللحظة وما سبب كل تلك الشحنات المتناثرة منها. بالطبع ليس بسبب مساعدته للمرأة خلفه. وفورًا التفت الإجابة أمام عينيه وهو يسمعها تردد بقهر ودموع:

- هند كان عندها حق، كلكم رجالة فعلًا.

ختمت كلماتها تاركة إياه راكضة باكية صوب غرفتهما في الفندق القريب. وهو فقط ير الباب رحيلها بتشنج وعدم فهم لما سمع منذ ثوانٍ:

@ART_OF_BOOK

- هند، آه طبعًا هند، ما هو الكلام الكبير ده أكيد مش من نصايح جلال يعني، بعدين يعني إيه كلنا رجالة؟! أمال المفروض نبقى إيه؟!

صمت يتنفس بصوت مرتفع:

- ماشي يا هند أما وربتك.

***

توقفت السيارة أمام مقر العمل تصدر صوت احتكاك مرتفع رنّ صداه في الأجواء، مثيرًا تأفف البعض وسخط البعض الآخر، لكن هل تهتم؟! لا، لا تفعل خاصة إن كان ذلك التأفف أو السخط صادرًا من ذكر.

تحركت بهدوء وبخطوات مدروسة داخل المقر وهي تمسك هاتفها تتحدث به بجدية وبصوت خافت بعض الشيء، لا يصل لمن حولها، فقط لمن تتحدث معه.

- تمام، سيبي ليه شهر العسل وارجعي لبيت أهلك لغاية ما يتربى.

وانتظرت أن يأتيها صوت عفاف المسكينة المكلومة والتي تعرضت للخيانة في أيام العسل خاصتها والتي من المفترض أن تكون الأيام الأفضل في حياتها، في العموم هند لم تنتظر الكثير من أسامة، فهو رجل في النهاية، استحقاقي حقير يرى نفسه فوق الجميع وكأنه خلق من طين نادر، لكن بدلًا من أن تأتيها إجابة عفاف وصلها صوت أسامة في الوقت الذي وصلت به للمكتب الخاص بهم:

- أقسم بالله يا هند بس لما أرجعلك أما خليهلك تلفي كعب داير على منظمات حقوق المرأة عشان تلحقك من إيدي! مبقاش أسامة العو.

@ART_OF_BOOK

ابعدت هند الهاتف عن أذنها بسرعة وهي تنظر إليه لتتاكد من هوية المتصل، قبل أن تعيده مجددًا، تفتح الباب تضربه بقدمها دون اهتمام:

- أعلى ما في خيلك اركبه يا عمو، رجع البلت بدل ما أنا اللي أجي اخدها ومش هتعرف ليها طريق بعدين.
- ده أنا اللي ماجي أخد روحك يا هند أما شيلني مراتي من دماغك يا خرابة البيوت.

ختم حديثه يغلق الهاتف دون كلمة، وهي فقط نظرت إليه بتأفف تلقيه على الطاولة أمامها، تخلع معطفها تلقيه على المقعد، تحدق حولها بملل فمنذ اسبوعين او اكثر منذ أخذوا إجازة لأجل زفاف أسامة وعفاف ولا شيء تفعله، لا شيء فقط تجلس في المكتب بملل لا تفعل شيئًا سوى التعامل مع جلال، مما يجعلها تخشى على قواها العقلية على المدى البعيد.

فجأة انتفض جسدها بسبب اصطدام الباب بقوة في الجدار خلفه وقد فُتح على مصراعيه ليستوعب جلال وهيبته التي تسير جنبًا إلى جنبٍ معه.

يتحرك للداخل وصوت موسيقى أجنبية معتادة تصدح من هاتفه وهو يسير بخطوات بطيئة وكأنه يعطي لهند وقتها للستوعب مقدار فخامته، ينزع نظارة الشمس الخاصة به والتي لا تلائم الجو الغائم في الخارج وبالطبع لا تلائم المساء.

يرتدي بذلة رسمية باللون الأسود تلائم حذائه الأسود اللامع ونظارة الشمس التي خلعها لتوه، وحينما استقر داخل الغرفة، أغلق أخيرًا الموسيقى التصويرية التي كان يسير عليها، يتنهد بصوت مرهق يحرك كفه أمام وجهه وهو ينفخ بضيق،

@ART_OF_BOOK

يجلس على الأريكة أمام هند يفتح لها المجلة يضع ذراعيه على الأريكة جوارة يلتفت بجذعه تجاهها يتأملها بصمت هند:

- أخبارك يا هند؟!

وهند فقط تتابع ما يحدث أمامها دون أي ردة فعل، فقط تراقب ما يفعل جلال بتشنج واضح، قبل أن تهز رأسها بيأس.

تمسك هاتفها منجذبًا لتشغل به نفسها قبل أن تنهض وتقتل جلال، بينما الأخير رفع طرف شفتيه بابتسامة جانبية ساخرة، وحين لم يخرج هاتفه بالمثل يتحدث دون أن ينتظر إليها:

- ما جاخرة؟!

وهند لم تجبه وقد انشغلت بتصفح هاتفها باهتمام، بينما جلال رفع عينيه لها بعدم فهم:

- مش بكلمك! إنسانة جاهزة للاجتماع مع القائد الأعلى؟

هزت هند رأسها بنعم، ليبتسم جلال ملقيًا هاتفه على الأريكة جواره يعدل مستندًا على ركبتيه بهدوء:

- فكرك اللي استنيناه أخيرًا هيتحقق يا هند؟!

رفعت هند عينيها بعدم فهم لجلال الذي ابتسم ابتسامة واسعة وكأنه انتقل بروحه لعالم آخر:

@ART_OF_BOOK

- القائد أخبرنا عرف اللي فيها وما صدق بعد أسامة وهيرفهني ويمسكني الفريق؟!
- أنا لو مكانه هيمسكك سلك كهربا واخلص منك والله.
- بتقولي ليه؟!

اهتمت له هند ثم قالت:

- بقول إني أنا لو مكانه هيمسكك سلك كهربا واخلص منك يا جلال، لابسلي بدلة ولا كإنك جاي اجتماع في قاعة فرح وجاي تدلدق احلام على الأرض، فوق شوية.

استشعر جلال نبرة ساخرة في كلمات هند، فاقترب أكثر وهو يهمس بصوت منخفض وكان الجدران تُصغي بآذانها معهما في الجلسة:

- تفسري بأيه إنه طلبنا احنا الاتنين بس في اجتماع عاجل وفي الوقت ده بالذات ومن غير وجود أسامة.
- أفسر بكده إن أسامة مسافر عشان شهر عسله، وأكيد مش هيقدر يستدعيه بالشكل العاجل ده.

ابتعد جلال ليعود إلى وضعيته الأولى في الجلوس، ثم أسند رأسه إلى ظهر الأريكة، شاردًا في السقف وهو يتلمس بصوت مرتفع، مردّدًا بصوت هائم شارد:

- عيبك إنك إنسانة سطحية مغفلة يا هند، محتاجة كتير في حياتك عشان توصلي للنظرة العميقة للأشياء.
- قصدك النظرة المبسطة للأشياء، أصل لو بتكلم عن نظرتك فهي تتوصف بأي شيء غير إنها عميقة.

@ART_OF_BOOK

رماها جلال بنظرة محذرة وكأنه يهددها ألا تواصل توبيخه وهو يرتدي هذه البذلة تحديدًا، فهذه هيئة لا يصح أن يهزأ بها.

فجأة سمع الاثنان صوت طرق على الباب، ومن ثم تبعه صوت أحد العاملين في المكان يردد بهدوء:

- الباشا مستنيكم في مكتبه متتأخروش.

نهض جلال مسرعًا يغلق زر سترته بهدوء، يسبقه هند التي لحقت به وهي تذكره بأنهما أن القتل حرمه الله على عباده؛ لذا لا يحل لهما قتل أحدهم ولو كان بخباء جلال.

***

- هند يا عفاف؟ هند من بين كل الناس ملقتيش غير البومة خرابة البيوت دي اللي تاخدي شورتها في حياتك؟ دي لو تطول تعمل شيفت كاريير في خراب البيوت جنب شغلها في التحقيق مكلش فيه بيت في مصر لسه عمران.

نظرت إليه عفاف وهي تحاول تبرير ما سمعه منها وهي تشكو لهند، بينما مسح خصل شعره بتشبث، ثم نظر إليها من علوه وهي تجلس أمامه على الفراش؛

- اسمعي يا فوقا عشان تكوني على نور من أولها، حياتنا دي بتاعتنا احنا وبس ومفيش إنسان مهما كان مين ليه الحق يتدخل بيها، خاصة لو كان الإنسان ده هند، أقولك لو عايز تحكي لهند وتفضفضي، احكي لجلال كله كده مش هيركز معاكي ولو ركز مش هيهتم.

@ART_OF_BOOK

ضحكت عفاف من بين دموعها التي كانت على وشك الهبوط، ومن ثم رفعت عينيها له ولم تكد تتحدث كلمة واحدة، حتى شعرت به يجذبها لأحضانه بحب شديد يقبل مقدمة رأسها وهو يربت عليها بحنان:

- لحوفا دلوقتي احنا في الحياة دي سوا، ومش بس في البيت لا وفي الشغل، هتمر علينا لحظات ضيق وخناق كتير خاصة في الشغل، فأنا مش عايز توصل لطريق مسدود أرجوك لو حصل وعملت حاجة تزعلك تعالي واحكيلي أنا مش لغيري، لأن محدش هيقدر يقربلي ولا حد هيصالحك غيري، ماشي؟

نظرت إليه، فابتسم لها بحنان، وهي لم تتمكن سوى من مبادلته البسمة بأخرى عاشقة، لتستكين لأحضانه، وهو فقط يربت عليها بحب شديد:

- اعرفي يا عفاف إن مهما مر لي حياتي ومهما شوفت، عمري ما هشوف ولا هحب حد قدك.

استكانت عفاف بين أحضانه واكتفت بأنفاسها المطمئنة الهادئة رداً على كلماته، وما هي إلا لحظات حتى انتفض الاثنان فجأة على صوت هاتف أسامة الذي ألقى جسد عفاف بعيداً عنه بسرعة وكأن والده أمسك به بعنفوان ابنة الجيران على درج البناية، وعفاف تصدق به بصدمة مما فعل، فابتسم بسمة صغيرة مشوشة مما فعل:

- آسف ردة فعل غير إرادية.
- ردة فعل غير إيه يا خويا غير إرادية؟!
- أخواتنا وبحدين مالها غير إرادية عيب ولا إيه؟

@ART_OF_BOOK

لشلجت ملامح عدالف وهي تهتف محركة يدها في الهواء بحطب شديد تشرح له ما وصلت له في ثوانٍ معدودة:

- ردات الفعل غير الإرادية دي بتلشأ من الجسم بعد ما بيكون مر بتجارب كتير مشابهة، فالجسم عشان بتلاشى التعرض لأي مو اقف غير مرغوب بيها بيلشأ الردات دي عشان تكون تلقائية كل ما بتحط في نفس الموقف أو موقف مشابه يا عو.

كانت تتحدث وهي تحرك يدها بحدة أمام وجهه وأسامة يتابعها بعدم فهم يحاول إدراك ما تقصد، ولد كانت لحظات استيعاب قصيرة قبل أن ينطق:

- قصدك إيه يعني؟!
- خلتني مع مين قبل كده يا عو عشان جسمك يكون متعود على الحركات غير الإرادية يا أستاذ؟
- أهولك؟! أهولك إيه! أنا كنت ملاحق عليكم لما أدخل حد في حياتي غيركم، عدالف يا حبيبتي أنا كانت حياتي منقسمة على الأكل والنوم وملمة مصايبكم.

نظرت إليه عدالف ولم تكد تتحدث بكلمة حتى ارتفع رنين الهاتف مرة ثانية لتلتقطه أسامة وهو ما يزال يلبث عليه عليها، وهي تضم يديها لصدرها تنتظر أن ينتهي من المكالمة حتى تستكمل الشجار، بينما هو يرمقها بنظرات حانقة يرد دون أن ينظر للاسم:

- الو.

@ART_OF_BOOK

صمت لثوان يستمع للكلمات من الطرف الاخر، ثم وقف عليه شيئا فشيئا، وقد استقام جسده بشكل غريب، مما جعل عفاف تدرك أن هناك أمرا خطيرا قد حدث، تنظر إليه لثوان محاولةً معرفة ما يصدر من الجهة الأخرى، لكن أسامة، وبعد أن أجاب، لم يتحدث بكلمة سوى،

- تمام حاضر هشوف الدنيا وأرد عليك.

ومن بعد هذه الكلمات أغلق المكالمة وهو يرفع نظراته صوب عفاف التي كانت تجلس على جمر مشتعل تنتظر ما يطلق فضولها ولم يتأخر أسامة عليها وهو يردد بصوت خافت يعلم ردة فعلها جيدًا:

- ده كان القائد.
- أيوة وهو متصل ليه؟ هو مش عطاك الكُتلة في الدرج ولا إيه؟!
- كُتلة؟!
- أمال يعني هيكون متصل بيك ليه في شهر العسل؟!

ابتسم لها أسامة بسمة صغيرة وهو يبتعد خطوات للخلف يبحث له عن ساتر من غضبها:

- فيه قضية محتاجنا فيها.

***

المتحم المكتب دون أي طرق أو استئذان وكأنه أصبح في مكانة يترفع فيها عن مثل تلك الأساليب الرخيصة المتروكة لعامة الشعب من المحققين المبتدئين، كهند مثلاً.

@ART_OF_BOOK

رفع القائد عينيه عن المكتب أمامه وقد انتبهت عيناه من اقتحام جلال المكتب، والأخير لم يهتم، فقط تحرك للداخل يفتح زر السترة الخاصة به وجلس بهدوء شديد يضع قدمًا فوق الأخرى؛

- حضرتك طلبتنا يا قندم.

حرك القائد عينيه من قدم جلال إلى وجهه، ثم لنظر صوب هند وكأنه يسألها عن تفسير، رفعت هند يدها وحركتها في إشارة بجوار رأسها، علامة الجنون.

أما القائد، الذي كان يعرف جلال جيدًا، فلم يعلق ولم يتوقف عند تلك التصرفات، بل تكلم بهدوء:

- اتفضلي اقعدي يا هند خليني أقولكم اللي جايبكم عشانه و...
- يا قندم من غير ما نقول ونشرح بمقدمات، باين أسامتا، مستني أسامة يمشي عشان تكون على حريتك بعيدًا عن ضغطه وزنه، عامة مش عايزك تقلق مستقبل المركزده كله في إيد أمينة.

أطلق القائد آهًا مرتفعةً وهو يمسح وجهه، وقد أدرك في تلك اللحظة أنّ روح القائد قد تلبّست جلال، وللأسف لم يكن أسامة هنا ليُعطيه الصفعة التي توقظه كما في كل مرة.

حاول أن يتمالك نفسه؛

- لا يا جلال اللي في دماغك ده محصلش ولا هيحصل عامة عشان توفر على نفسك فلوس تأجير البدلة كل مرة أستدعيك فيها من غير أسامة.

@ART_OF_BOOK

النفض جلال عن مقعده وهو يغلق زر السترة يردد بملامح واجمة رافضة لما يقال:

- أفهم من كده إيه يا فندم، إنك بتقف قدام مستقبلي عشان مصالحك مع أسامة؟!
- مصالح إيه يا ابني أنت؟! اقعد خليني أقول الكلمتين اللي جايبكم عشانهم قبل ضغطي ما يعلى.

زفر جلال بضيق وهو يفك زرستره مرة أخرى، ثم جلس أمام القائد، الذي أخذ نفسًا عميقًا محاولًا أن يهدأ، وبعد صمتٍ طويلٍ تكلم:

- فيه مهمة جديدة تم استدعائكم فيها بالاسم.

التمعت بسمة جلال بقوة وهو يعيد خصلاته للخلف وقد ارتفع الغرور داخله حتى كاد يخرج من أذنيه:

- طلبولي بالاسم عشان قضية؟
- طلبوك بالاسم إيه يا ابني! هو حد يعرف اسمك، بقول الطلبتم كلكم.

قلب جلال عينيه بملل، ليزفر القائد بضيق شديد، وقد كان أسامة يوفر عليه كل مرة هذه الجلسة، فقد كان يخبره هو بالمهمة ويرميه أمام المدفع ليُعلم هو فريقه، والآن فقط يقسم أنه سيمنح أسامة وسامًا سيبتدعه فقط لأجله وعلى اسمه "وسام الصبر".

تدخلت هند وقد لمعت عيناها بقوة:

- مهمة جديدة؟! أيوة بس أسامة وعطاف...

@ART_OF_BOOK

- متقلقيش أنا بعتلهم وبلغتهم وهما في الطريق راجعين.
- ليه كده؟!

نظر الاثنان صوب جلال الذي أطلق صرخة فزعة ليدرك الأخير الأمر وهو يلتفع بصوت منخفض:

- فهدي ليه كده ترجعهم من شهر العسل وإجازتهم؟ ميصحش يعني. ممكن انا... انا ممكن اشيل المهمة دي يا فندم ولو تحب شغل هند تحت إيدي. والله شغلي هيعجبك أوي بس مضمنلكش هند لو حابب تديني اي حد بدالها أنا موافق.

نظرت إليه هند بشر وهي تابى التحدث بكلمة أمام القائد، لكنها توعدت له بالكثير. ومن ثم وجهت كامل انتباهها صوب القائد تتحدث بهدوء:

- طيب يا فندم المفروض التفاصيل هلسلمها من حضرتك ولا من أسامة؟!
- والله يا هند كان المفروض أسلمها ليكم، لكني معملتش حسابي في برشام الضغط وانا خارج من البيت النهاردة، وعشان كده اسلموا لما أسامة يوصل وهسلمه الملف وهو يفهمكم، وركزوا لان المرة دي الموضوع مع ناس كبار.. كبار أوي.

@ART_OF_BOOK

في صباح اليوم التالي أصدرت سيارة أسامة قديمة الطراز صوتًا متذمرًا الناء توقفها أمام المركز وكأنها تتذمر عودتها للعمل قبل حصولها على راحة كافية أثناء سفر مالكها.

لكن أسامة لم يلتفت لتذمرها كالعادة، فيكفيه في هذه اللحظة تذمر زوجته العزيزة التي سُحبت من أيام زواجها الأولى، بعد ستة أيام فقط.

هبط بنزع نظارته السوداء وهو يتمسك بيد عفاف، ولعم كانت تلك المرة مختلفة عن كل مرة، فلأول مرة يخطو لعمله مع رفيقته الحبيبة التي اختارها من بين الجميع.

أخذ يتلقى التهاني في طريقه بالإضافة لبعض الكلمات المتعبة من عودته سريعًا، لكنه لم يعبأ بالتبرير أو التحدث مع أحدهم، بقدر ما كان يطمح للوصول إلى مكتبه العزيز.

وبالفعل، وصل أسامة ليفتح الباب، والدفع مع عفاف بقوةٍ إلى داخل المكتب، في حركة جعلت مَن في الداخل ينتفضون، وكان من بينهم جلال، الذي أبعد الهاتف سريعًا عن أذنه وأخفاه في جيب بنطاله بطريقة مثيرةٍ للشك، عندما تجاهل أسامة كل ما حوله وركز كامل حواسه على جلال.

- كنت بتعمل إيه لحد تعوتركده؟!

حاول جلال أن يتماسك وهو يتحدث بكلمات غير مرتبة:

- دي... دي توتا خطيبتي والله.
- ولما هي توتا خطيبتك اتوترت ليه كده؟!

@ART_OF_BOOK

اعتدلت هند في جلستها وهي تراقب ما يحدث بسخرية، محاولة أن تتمالك نفسها بعد دخلة أسامة المعتادة:

- أنت بتحقق مع الولد كده ليه يا أسامة؟ انت شاكك إنه ممكن يكون باعنا مثلًا؟ أسامة فوق ده جلال.

هز جلال رأسه مؤيدًا لكلمات هند ولم يكد يدعمها بالحديث، حتى سمعها تكمل بكل بساطة:

- حتى لو حب يعملها مش هيعرف، ده أبعد إنسان ممكن يفكر يبيع أو يخون.

ابتسم أسامة بسخرية وهو يلقي سترته الجلدية على الأريكة يشمر أكمام ثوبه الأسود وهو يحرك رأسه بهدوء شديد يجلس على المقعد أمامهما:

- عامة أنتم ولا واحد فيكم يتفع يكون عين علينا أو خاين لمصلحة حد تاني، لأن من مصلحة العدد التاني ده أساسًا إنه يسيبكم بطبيعتكم دي في صفنا، ده منمر أكبر من الخيانة، علمة..

تنفس بصوت شبه مسموع، ثم نظر إليهما برأفة بتفهم الوضع وكأنه لم يتركهما يومًا أو يغادر مكتبه لحظة، هند تجلس واضعة قدمًا فوق الأخرى تنتظر بكل هدوء، بينما كان جلال يخبئ هاتفه أسفل المكتب وكأنه يحاول الغش في امتحان نهاية العام، ولولا الأسباب المسلفة التي ذكرها لكان شك جديًا في خيانته، أما عن فوفا الحبيبة، فقد اتخذت مقعدًا بعيدًا عنه معلنة بذلك غضبًا وتمردًا على إنهاء شهر العسل الخاص بهما بهذه السرعة.

@ART_OF_BOOK

- اكيد اتبلغتم باللي حصل وبكل تفاصيل القضية و...
- لا محدش بلغنا بحاجة القائد قال نسلناك لما ترجع وأنت تقولنا.

كانت تلك كلمات هند التي خرجت منها ببساطة جعلت أسامة يضغط على أسنانه بضيق، فقد ظن أنه سيتجاوز هذه النقطة صوب اللاحقة. لكن يبدو أن القائد كان أجبن من فعل هذا.

- تمام من البداية خالص.

تحدث وهو يخرج من جيب سترته ملفًا أزرق اللون. ألقاه بعنف على الطاولة أمامهم، فانتفض الثلاثة للخلف وكأنهم يبحثون عن ستر يقيهم مزاج أسامة. بينما الأخير أشار إلى الملف مرددًا بهدوء:

- مهمة جديدة، جريمة جديدة، ضحية جديدة، والمطلوب منا نكشف بكرم ربنا وستره القاتل اللي قتل حفيد الناس دول.
- الناس دول؟

كانت كلمة رددتها هند بانتظار القادم، ولم يشعل أسامة فضولها طويلًا، بل باشر بالشرح بهدوء شديد:

- عيلة الخواجة، عيلة من أكبر عائلات إسكندرية، من فترة مش طويلة بدأت تحصل حوادث غريبة لبعض الأشخاص في العيلة دي.
- حوادث؟!
- انتحار لاتنين من أحفاد العيلة دي، وده مش موضوعنا لأن العيلة أساسًا مكتمة على الموضوع عشان سمعتها، وقتل وده هو موضوعنا.

@ART_OF_BOOK

جريمة قتل حصلت لعزيمن قبل فرحه بأيام اتقتل فيها بطريقة غامضة في القصير ومحدش وصل للقاتل.

ضيقت هند عينها، تحاول التفكير في منهج هذا القاتل:

- قتل والتحار متأكد مفيش رابط بينهم؟ مش شايف إنها غريبة شوية عيلة واحدة يلتحر فيها اتنين ويتقتل فيها واحد؟
- بالظبط، الفكرة إن جثتين من اللي تم العثور عليهم كانت كل الأدلة حواليهم تثبت إنهم انتحروا حتى إنهم سابوا رسايل قبل موتهم، مفيش أي أدلة تثبت إنها كانت جريمة قتل، لكن الجريمة التالتة واللي كانت من أيام قليلة كان واضح جدًا إنها قتل برصاصة في الصدر.

صمت الجميع وقد كان الحديث بأكمله غير منطقي بالمرة، ولم يستوعب أحدهم كان أسامة بيتحدث به، وهذا ما جعل عفاف تتحدث بشك وهي تحاول التفكير بصوت مرتفع:

- طب مش ممكن يكون اللي انتحروا دول كانوا مجبرين على الانتحار؟ لو كانت جريمة في ثوب انتحار، أصل حاسة صعب كم الجرائم ده يحصل بدون ما يكون ليهم علاقة ببعض، ليه مرض والتشر في العيلة؟!

اضاف جلال فورًا وهو يشرد بعيدًا عنهم، يضم كفيه بشكل جاد أمامه:

- ما يمكن قاتل متسلسل عمل جريمتين وخلاهم كأنهم انتحار والتالت لما فصلح معاه خلاها قتل وأمره لله

@ART_OF_BOOK

نظر أسامة صوب جلال يفكر في الأمر بجدية، وقد لمعت عيناه بالنباه شديد وارتسمت بسمة واسعة على فمه، يشعر بفخر من يبصر خطوات ولده الأولى:

- تحليل جميل ومنطقي، لكن مفيش أدلة، بالإضافة إن احنا ملناش علاقة بالانتحار، احنا المطلوب منا هو التحقيق في جريمة القتل.

ورغم تعقيد المهمة التي كانت تبدو أغرب مما سبقها، لكن الله الذي وفقهم سابقًا وأخرجهم أحياء بكرمه، قادرًا أن ييسر لهم مهمتهم الحالية.

- الموضوع المرة دي معقد ومفيش أدلة ولا فيه سلسلة جرائم نمشي وراها، مفيش توقع إذا كان القاتل ناوي على جريمة تانية ولا الموضوع كان شخصي مع الضحية، بس أنا واثق في ربنا ثم فيكم إنكم مش هتخذلوني، إن شاء الله يعني.
- والمرة دي بقى هنروح على أساس إيه؟! خدامين ولا بوابين؟!

كانت جملة حانقة غاضبة من عفاف وكأنها تبحث لها عن سبب تتشاجر به مع أسامة، الذي أجاب بهدوء وثقة:

- لا هنروح على أساس إننا محققين عادي، احنا مطلوبين بصفة رسمية من أهل الضحايا ومبعوت لينا استدعاء رسمي من الشرطة، يعني كل سبل الرفاهية والمساعدة هتتوفر لينا.

نظر الثلاثة إلى بعضهم البعض، غير قادرين على فهم قصد أسامة من كلماته، إذ يبدو أن ادعاء أدوار كثيرة أمامهم أنهم في الحقيقة محققون في الجرائم.

@ART_OF_BOOK

- مش فاهمة بعني يا عم انا عيلتي إيه في المهمة دي، يعني قول من الأول عشان اريب نفسي كده واعيش الدور.

كانت تلك كلمات هند التي شعرت بعدم الفهم لأول مرة وكان جلوسها مع جلال وحدها الأيام السابقة لصقت في التقاط لمحاته من الهواء كما لو كان مرض معدٍ.

ابتسم لهم أسامة بسخرية:

- اه يا حرام أكيد متعرفوش ازاي تتصرفوا زي المحققين، صعبة دي عليكم.

هز له جلال رأسه بنعم وهو يضحك بهدوء:

- ما احنا عمرنا ما عملنا محققين، يعني المفروض مثلًا المحققين دول لما يروحوا مهمة بياكلوا إيه، بيشربوا إيه، بيمشوا ازاي؟

نظر إليه أسامة لثوانٍ وهو ينتظر أن يضحك جلال أو يظهر مجرد إشارة صغيرة توضح انه يمزح أو أن هذه الكلمات خرجت منه كهذيان بسبب الصدمة، لكن كلمات عذاب التي ظلت حديثه ظلت تطوله أسئلة السائلين وهي تضيق عليها تتساءل بجدية:

- بالضبط وكمان بيلبسوا لزاي؟ وضحلنا تفاصيل اكتر عشان نظبط الأداء.

@ART_OF_BOOK

وكل ما يظهر من أسامة هو ملامح ملتهجة ووجه مشدود من الصدمة. يعلم انهم يتمادون في بعض الأحيان، لكن ليس لتلك الدرجة. هل ربما سبب ذلك انهم لا يعتبرون انفسهم مخلوقون حقا؟

التفت رأسه بقوة على ظهر الأريكة بمجرد وجهه، ملتهمًا عليه، متلفتًا بشكل رتيب قبل أن يزيح كفيه بتطرف إلى منتصف الغرفة:

- مهمة مهمولة إن شاء الله، ربنا يوصلنا لمرحلة التكتيفة على خير.

***

@ART_OF_BOOK

"المؤامرات الكونية، تلك الكلمة التي تصف بها حظك السيئ وتلصق بها مصائبك التي تهبط فوق رأسك، كي تبرأ ساحتك، ما حدث مجرد مؤامرة كونية، ليس لأن ما يحدث نتيجة غبائك أو سوء اختيارك مثلًا، لا بل مؤامرة كونية، وكأن الكون متفرغ ليجتمع بذاته ويحضر مؤامرات خصيصًا لأجلك، اعترف أن ما يحدث لك سوء اختيارك، أو سوء حظك أيهما أقرب."

وفي حالة أسامة ما يحدث له كان الاثنان، بالإضافة إلى غضب والدته عليه، لأن يُسجن المتبقي من عمره مع جلال في فريق واحد كان عقابًا لا يتحمله.

نظر في ساعة يده وهو يتأفف بصوت مرتفع بانتظار على قارعة الطريق مع هند وعفاف حضور السيد المبجل جلال الأبنودي ليشرفهم بطلته بعدما رفض أن يصعد معهم للسيارة، يخبرهم أنه سيلحق بهم ويلاقيهم عند مدخل الإسكندرية لمقابلة أسرة القتيل معًا.

وبعد طول انتظار تخطى الساعة ونصف لمح صبر هند التي خرجت من السيارة وهي تصرخ بضيق:

@ART_OF_BOOK

- لا بلش كده كتير، هو الزفت ده بيعمل إيه كل ده؟! أنا خلاص زهقت، يلا يا عود وورأم العربية دي وخلينا نمشي نكمل المهمة من غيره. الحمد لله إنها جات معاه.

نظر إليها أسامة للثوان، ومن ثم عاد بنظره صوب الطريق يعطي مهلة لجلال خمس دقائق وإن لم يظهر خلال الخمس دقائق يقسم بأغلظ الإيمان أنه سـ...

توقفت أفكاره على صوت عفاف التي كانت تقف جواره تحمل بين يديها مخلة وردية ضخمة تشير صوب بداية الطريق وهي تخاطبني عليها:

- مين السكران اللي سايبق المكنة دي؟

حرك أسامة عينيه صوب بداية الطريق يحاول استكشاف ما تتحدث عنه عفاف، ليبصر فجأة دراجة نارية تسير على سرعة مرعبة يقودها شخص بدا له لوهلة مختلًا هرب من مصح نفسي بهدف التخلص من الزيادة السكانية، فالرجل كان يضرب كل إشارة تقابله، ويصطدم في كل عمود يحد طريقه وصوت موسيقى غربية مرتفعة يرج الأرجاء ويبدو أنها كانت لإخفاء صرخاته.

اتسعت عينا عفاف، تتحرك صوب السيارة الخاصة بأسامة ببطء، بينما أسامة بدأ يتراجع للخلف صوب السيارة كذلك وفكرة واحدة داخل عقله.

"عليه الهروب والنجاة بروحه وزوجته وسيارته"

صعد السيارة بسرعة يبصر قائد الدراجة يلوح بيده بسرعة كبيرة وكأنه يطلب منه الابتعاد عن الطريق، وأسامة لم ينتظر ثانية وهو يخرج مفتاحه بسرعة ليتحرك بسيارته وقد بدأت يده ترتجف، لكن وقبل اتخاذ أي خطوة في سبيل

@ART_OF_BOOK

النجاة بنفسه وبزوجته، وجد الدراجة النارية تصطدم بالسيارة بقوة وقائدها يتدحرج أرضًا على الطريق أمام الجميع.

كل ذلك حدث في ثوانٍ لم تمهل أحدهم حتى ليستوعب ما يحدث، الثلاثة يجلسون بأعين متسعة داخل السيارة، في حين أن الدراجة النارية دمرت مقدمة السيارة بالكامل وقائد الدراجة يتدحرج أرضًا ولولا الخوذة السوداء التي يرتديها، يقسم أسامة أن الطريق كان ليُطبع على وجهه.

ثوانٍ وتوقف كل شيء عدا صوت المغني الذي كان ما يزال يصدح من الدراجة النارية التي حطمت سيارته للتو.

Just a young gun with a quick fuse

I was uptight, wanna let loose

I was dreaming of bigger things

And wanna leave my own life behind

Not a yes sir, not a .....

ومن ثم تلاشت الكلمات الأخيرة بعدما بدأ دخان غريب يخرج من مقدمة السيارة ليخرج أسامة بسرعة مرتعبًا يمسك يد عفاف التي كانت ما تزال تتمسك بمظلتها، يخرجها تاركًا هند لتنقذ نفسها وابتعد الثلاثة يراقبون السيارة بترقب في انتظار الانفجار، لكن لا شيء.

@ART_OF_BOOK

ومن العدم خرج صوت مألوف للثلاثة جعل الرؤوس تتحرك للخلف حيث قائد الدراجة الذي ظن للالتهم أنه قضى نحبه للتو.

ينهض بهدوء ينفض ثيابه وهو يعرج بشكل طفيف يخلع خوذته يصفف خصل شعره، ومن ثم نفض سترته الجلدية السوداء، أو ما تبقى منها بمعنى أصح، يتحرك صوبهم مبتسمًا بسمة ممتزة للثلاثة.

ونعم لم يكن سواه، وجع رأس وعمل أسامة الأسود في هذه الحياة "جلال الأبنودي".

- ها إيه رأيك؟

كان يتحدث وهو يفتح ذراعيه ممسكًا في كفه بخوذته يبتسم بسمة جانبية، يقف وقفة غريبة بسبب إصابته ير اقب الثلاثة منتظرًا ردة فعلهم على الدخول القوي المدمر- بكل ما للكلمة من معنى - الذي قام به للتو.

- جامد ها؟

تظر أسامة صوب عفاف ومن ثم لهند والثلاثة وكأن على رؤوسهم الطير، لا أحد يؤتي بردة فعل ولا حتى انبهار بالعرض الذي قام به جلال.

- إيه مالكم؟ بقولكم إيه رأيكم في الاستايل؟ أنتم عارفين مكلفني كام لبس المحققين ده؟! ولا الموتوسيكل ده إيجاره مكلفني كام؟

فجأة وقبل أن يستوعب جلال ما يحدث كانت هند تنقض عليه كما لو انها ستقطعه حيًا بيديها العاريتين، بينما عفاف تحاول إبعادها وهي تصرخ بها بصوت حذر:

@ART_OF_BOOK

- خلاص يا هند هموت في إيدك وتضيعي نفسك عشان جلال يا حزينة انتِ. خلاص الولد مبقاش فيه حتة سليمة.

كل ذلك وأسامة يعطيهم ظهره يمسح وجهه بقوة وهو يستغفر ربه وقد أخذ وقته لهدأ ولا يخرج مسدسه ويفرغه بالكامل في رأس جلال. وأصوات الصرخات خلفه ما تزال تعلو وتعلو تستنزه ليخرج سلاحه ويقتلهم ومن ثم يلتحر ولتصبح خمس جرائم بدلًا من واحدة.

***

قصر الخواجة. حيث أصبح المكان مجرد ذكره يجلب الرعب لقلوب ساكنيه أنفسهم. فما بالكم بالغريب؟! القصر الذي فقد ثلاثة من أبنائه في فترة قصيرة لا تتعدى السنة.

الصخب يعلو في باحة المنزل. وكل شخص منهم يحاول اسكات الآخر ليُعلي كلمته. البعض يتحدث والبعض يصرخ، والبعض يسخر، ومن بين كل ذلك الصخب كان يجلس هو بتوسط المجلس بر الب أفراد عائلته يتراشقون الاتهامات بين بعضهم البعض، وقد بدا أن سنوات العيش تحت سقف واحد لم تساهم في بناء علاقات وروابط متينة حسب ظنه، بل تسببت في تراكمات كثيرة من الأحقاد والكراهية بين الجميع.

اغمض "هلال" عينيه وهو يستند على عكازه محاولًا تمالك نفسه كي لا ينفجر في أبنائه وأحفاده، وجواه نجلس "حنان" لـ[illegible] عليه وترشق الجميع بحنق وغضب.

@ART_OF_BOOK

وفجأة من بين صرخات الجميع والكلمات الغاضبة خرجت صرخة أحدهم وهو يشير للآخر بغضب:

- مين عارف ظلمتم مين ولا جبتوا على مين عشان بتعمل فيكم كده، مش بعيد يخلصوا علينا واحد ورا التاني بسبب اللي بتعملوه في الناس.

صمت الجميع والتمعت الأعين وتحركت جميع الأنظار صوب "شهاب" الذي تنفس بعنف بعد كلماته السابقة التي ألقى بها في وجه ابن خاله الأكبر والذي نهى من أبناء خاله الصبية بعد مقتل ثلاثة منهم، بينما الأخير والمسمى "طارق" اشتعلت عيناه بهلسم بسمة مريبة ولم يتحدث بكلمة. لكن نظراته التي اسودت على وجه شهاب جعلت "بلال" يتدخل صارخًا بغضب ضاربًا بعكازه الأرض:

- شهاب، اتلم واسكت، كلام إيه اللي بتقوله ده؟ احنا عملنا إيه عشان كلامك الزفت ده، شايفنا جزارين ولا إيه؟ ده بدل ما تفكروا في مين اللي لهم أسباب عشان يأذونا؟!

تنفس شهاب بصوت مرتفع وهو ينظر صوب جده وقد احمر وجهه بقوة، بينما طارق ابتسم بسمة مريبة يهتف بكلمات متوارية لم يفهمها سوى القليل فقط ممن يجلسون:

- سيبه يا جدي، الصدمة تعمل أكتر من كده، أنت عارف إن شهاب كان أقرب واحد لسامر لدرجة إنه كان ممكن يتخلى عن أي حاجة عشانه، مسكين مش مصدق أن ابن خاله اللي كان لسه بيخطط معاه لفرحه على حب عمره يحصل فيه كده قبل أيام من فرحه.

@ART_OF_BOOK

ختم حديثه وتحرك بعيلته صوب فتاة ذابلة الملامح تجلس جوار حنان جدتها ورأسها تستند على كتفها بوهن، لا تصدق أن زوجها قُتل بهذه الطريقة البشعة لم الزفاف بأيام قليلة.

سقطت دموعها وهي تدفن وجهها في كتف حنان التي ربتت عليها بحب؛

- خلاص يا بسملة امدي يا حبيبتي بإذن الله حق ساهر هيرجع و....
- وسعد وعادل، ولا هما مش أحفادك يا أمي؟

كان ذلك صوت "منصور" الذي تظر إلى والدته بقهر بعدما تجاوزت في حديثها عن مقتل ولديه، بينما تدخل شقيقه "يسري" والد ساهر وطارق؛

- وهي هتعمل إيه لعيالك يا منصور وكلنا عارفين إنهم انتحروا، يعني هما اللي اختاروا الموت لنفسهم، إنما أنا ابني اتقتل ولازم حقه يرجع.

كان بلال بر اقب أبنائه يتقاتلون فيما بينهم وهو لا يمتلك سوى التحسر على عمر قضاه وفنى به كامل صحته وكل ما يمتلك ليصنع لهم اسمًا وعائلة، وقبل أن يتحدث أحدهم بكلمة أبصروا أحد العمال بالقصر يتحرك صوبهم باحترام يخفض رأسه متحدثًا بصوت محايد وكأنه رجل آلي؛

- فيه شوية أشخاص برة بيقولوا إنهم المحققين في قضية ساهر باشا.
- ماشي يا مصطفى روح أنت وخلهم يتفضلوا.

أشار بلال بعدها للجميع بتحذير وعيناه غاضبتان؛

- مش عايز أسمع حاجة عن التخاريف اللي اتقالت دي تاني، مش ناقصين فضايح.

@ART_OF_BOOK

صمت الجميع في اللحظة التي أبصروا فيها أربعة أشخاص يتحركون للداخل بهدوء شديد، يتقدمهم أسامة ويجاوره عفاف من اليمين وهند من اليسار وفي الخلف يعرج جلال وهو يمسك الخوذة الشبه محطمة بين يديه بصعوبة.

وبمجرد أن وصل الأربعة لمنتصف الباحة ابتسم أسامة بسمة قوية يعطي بها انطباعًا جيدًا عنهم:

- صباح الخير يا فندم، مع حضرتك أسامة العو قائد الفريق اللي حضرتك طلبته مخصوص من القاهرة عشان يحقق في قضية قتل حفيدك.

والصمت ما زال مستمرًا لا يقطعه سوى صوت الأنفاس في المكان، الجميع ينظر إلى مظهر أسامة ومن معه خاصة جلال والذي كان يبدو كما لو أنه مُنحب من قبره على القصر.

اقترب جلال من الخلف، يهمس بصوت منخفض:

- بقولك إيه يا عو امسالهم كده على الحمام لأحسن أنا محتاجه ضروري.

دفعته عفاف جانبًا وهي تقترب من أسامه تتمسك بيده هامسة:

- أسامة هما مالهم بيبصولنا كده ليه؟

أجاب جلال وهو يعدل من سترته الجلدية السوداء:

- تلاقوهم مش مصدقين إننا احنا اللي هنحقق في الجريمة.

@ART_OF_BOOK

- عندهم حق والله، ما هي دي مش أشكال بقي أدمين أساسًا. عشان نكرر أشكال محققين، اختفي بقى من قدامهم ليطلبولنا البوليس بمنظرك ده.

كانت تلك جملة هند التي دفعت جلال للخلف تخلبه عن أعين الجميع، ومن ثم عدلت من وضعية ثوبها لتبتسم لهم بسمة صغيرة وأسامة يقف صامتًا لا يجرؤ كلمة لقولها، يعطيهم كامل الحق في صدمتهم تلك. فوالله لو أخذ لهم أحدهم صورة وأعطاها له وأخبره أنهم سيتولون مهمة إحضار قاتل يبحث عنه لأبلغ عنهم الشرطة وعن ذلك الحقير الذي وضعهم له.

كانت ملامح الجميع مصدومة ملتجمة والصمت سيد الموقف، حتى بدأ أسامة يتململ في وقفته وهو يشعر بالضيق من تلك النظرات:

- الله يسامحكم.

تمتم بصوت مرتفع، يتحرك مقتربًا من مجلس الجميع:

- بإذن الله مهمة مقتل ابنكم في إيد أمينة، وبعونك يا رب هي إيام وأجيبلكم القي عمل كده مترتبط لدامكم. أنتم بس ساعدونا في التحقيق ومتحكموش عليها من شكلنا، وادونا فرصتنا.

لا شيء، فقط صمت والجميع يحاول فهم ما يحدث، وحينما طال الصمت مجددًا مالت هند على أسامة تهمس له بريبة:

- ليه يا أسامة متلقيهاش صمت كتير! اتصرف اعمل أي حاجة وتاوي جلال من لدام عيونهم عشان هو اللي عاملهم ذهول.

@ART_OF_BOOK

نظر أسامة صوب جلال الذي لم يأبه لهم وتحرك ليجاور الأسرة في مجلسهم يمسك ظهره بتعب، ومن ثم فرد أقدامه على الطاولة أمامه يحمل كوب الماء يرتشفه بهدوء، يحدق برفاقه وكأنه يشارك الأسرة صدمتهم فيهم.

مسح أسامة وجهه بتعب وهو يطلق زفرة مرتفعة:

- ده احنا قدامنا طريق طويل أوي.

***

- أنت بجد هتخليهم هما اللي يمسكوا قضية ساهر يا بلال؟! أنت بتهزر؟

كانت تلك كلمات حنان التي تحركت مع جميع أفراد الأسرة لغرفة مجاورة تطل على بهو القصر حيث يجلس الأربعة.

زفر بلال وهو ينظر صوب الأربعة لثوانٍ قبل أن يعود بنظره لزوجته:

- وفهما إيه يعني يا حنان؟ الناس دي عندها تجربة كويسين جدًا، وأديك شوفتي بعينك من وقت ما ساهر اتقتل ومحدش عارف يوصل لدليل واحد، مش يمكن ربك يجعل الحل على إيدهم؟!

أشارت حنان لهم بعدم تصديق، ثم صرخت بصوت مرتفع دون قصد منها:

- دول كويسين! أنت عايز تجنني؟!
- ومالهم دول يا حنان يعني ما هم زي اللي أهم.

@ART_OF_BOOK

ختم حديثه يشير لهم في اللحظة التي نهضت بها عفاف تخلع حذاءها وتتعرك صوب جلال وأسامة يحاول الفصل بينهما، بينما هند تشاهدهم بهدوء شديد وهي تدرس المكان حولها.

أبعد بلال عيليه عنهم وهو بلوي فمه يتنهد تنهيدة حارة:

- اسمعني بقى يا حنان، الناس اللي برة دي جم وخلصنا، خليهم ياخدوا فرصتهم ولو مقدروش يوصلوا للجاني يا ستي ابقي اعملي اللي انتِ عايزاه.

زفرت حنان بغضب شديد وهي تنظر إل أبنائها بضيق شديد ليهز الاثنين كتفيهما بقلة حيلة.

- تمام يا بلال، طالما أنت شايف كده أنا مش هناقشك، ودلوقتي اخرج ليهم خليهم يخلص قبل ما يكسروا الصالون على دماغ بعض.

ختمت حديثها تشير للقتال الذي احتدم بالخارج وقد أخذ جلال يحتمي بكل ما يقابله من بطش عفاف، والأخيرة تتحدث بغضب وهي تحاول الإفلات من يد أسامة:

- أنت يا ابني مش ناوي تتلم، مش ناوي ربنا يهديك كده وتكبر شوية؟! والله العظيم يا جلال تكة، أخرك معايا تكة ومخليك جريمة محدش يعرف بلاقي أدلة عليها ولا حتى أسامة.

حاول أسامة التحدث، لكن صوت تنحنح بلال في الخلف جعله يستدير وقد ترك عفاف يجرها على الولوك بهدوء، بينما جلال ما يزال يقف بعيدًا عن يدها.

@ART_OF_BOOK

اشار بلال على الأريكة، يقول بهدوء:

- اتفضلوا اقعدوا عشان أبدأ اعرفكم على العيلة.

في اللحظة التي انتهى بها من حديثه، كان جميع أفراد الأسرة قد وصلوا بالفعل للهو مجددًا، بينما أسامة أشار بعيليه للجميع ليهدأوا وينصتوا جيدًا.

وبدأ بلال يعرفهم وهو يشير عليهم واحدًا تلو الآخر:

- منصور ابني الكبير والد سعد وعادل الله يرحمهم، وده يبقى يسري ابني الأوسط والد المرحوم ساهر وطارق، ودي تبقى فريدة مرات يسري، واللي هناك دي تبقى حفيدتي بسملة بلت بنتي الله يرحمها وكانت هتبقى زوجة المرحوم ساهر، وأخر أحفادي شهاب ابن بنتي التانية بس هي مسافرة، وأخيرًا لدوجتي حنان.

ختم حديثه وقد أفضى لهم بتعريف بسيط حول الجميع في المكان وأسامة يحرك عيليه لهم ويبتسم بسمة صغيرة مرحبة لهم وهو يحصى الأسماء في عقله.

تبقى من أحفاد بلال ثلاثة فقط بعد رحيل ثلاثة، بسملة، شهاب، وأخيرًا طارق، والله وحده يعلم ما يخفي كل واحد خلف أحرف اسمه، كما أن نظرات ولده منصور لم تكن عادية، لكنه رغم ذلك ابتسم يهتف بهدوء وهو يشير لأفراد فريقه:

- أنا أسامة قائد الفريق، ودي عفاف تبقى المسؤولة عن الأدلة المادية وتحليل كل دليل بنلاقيه، هند المسؤولة عن جمع المعلومات وربط الخيوط، وده جلال يبقى... جلال.

@ART_OF_BOOK

صمت وهو بنظر إلى جلال وكأنه يبحث في رأسه عن صفة يميزها جلال، لكن الأخير لم يمنحه الفرصة لذلك وهو يخرج بطاقة من جيبه سترته يضعها أمام بلال وهو يهتف بيسمة واسعة:

- جلال الأبنودي محقق معضوم قادر على فتح الأبواب المغلقة وحل الألغاز المعقدة. متلاقي في البطاقة دي رقمي الخاص لو احتجت أي حاجة وبأسعار تنافسية

نظر إليه بلال بعدم فهم وقبل إمساك البطاقة جذبها أسامة وقطعها وهو يبتسم بسمة واسعة سمجة:

- معلش يا بلال باشا أصل جلال كده يحب يهزر، اعذره.

ختم حديثه وهو يضرب قدم جلال من الأسفل ليتأوه الأخير، لكن أسامة ربت على كتفه بيسمة واسعة:

- جلال برضه زي ما قالك كده بيقدر يفتح أي باب مقفول، بيطفش الحرامي وأي حاجة خشب، لتقدروا تقولوا حرامي بس مجموعه مجابش.

نظر إليه جلال بضيق وغيظ شديد، لكن أسامة لم يمنح أحدهم فرصة للتحدث:

- على العموم أحنا النهاردة اتعرفنا وبإذن الله من بكرة هنبدأ التحقيق، واستأذنك برضه هنحتاج ناخد أقوال الأسرة.

أوقفه منصور معترضًا:

@ART_OF_BOOK

- اقوال إيه؟! احنا مش متهمين، أنت مهمتك هنا تجيب المتهم، مش تضيع وقتك بالتحقيق معانا.
- معلش يا منصوربيه بس ده شغلي، وبعدين أنا مش بحقق معاكم على أساس متهمين، ده بس يمكن نوصل لأي معلومة تساعدنا بخصوص الجريمة.

و الله بلال وهو يهتف بجدية:

- ولا يهمك اعمل اللي شايفه مناسب بس مش هاكد عليك محدش من اللي حواليا يعرف بالموضوع ده، بس العيلة هي اللي تعرف، أي حد برة العيلة ميعرفش الموضوع.
- إن شاء الله متقلقش السرية التامة دي عمود شغلنا، فمحدش هيحس بينا.

انهى كلماته، ثم تحرك مع الجميع للخارج بعدما ودعهم بكلمات قليلة، وبمجرد خروجه ضرب جلال بغيظ وضيق.

راقب الجميع ابتعاد أسامة بمن معه وكل شارد بعالم آخر يحاول معرفة ما ستؤول له الأمور بعد حضور هؤلاء الأشخاص الغرباء.

*

دخل الجميع غرفة الفندق التي استأجرها أسامة له ولعساف وكذلك فعل لكل من هند وجلال، وبمجرد أن وطئوا الغرفة انتفضت جميع الأجساد على صوت قرع الباب بقوة وصوت أسامة يتبعه بغضب:

@ART_OF_BOOK

- يعني مفروش أكتر من ده انطباع أول للناس اللي اتهفوا في عقلهم وطلبوه بالاسم. عارف إنهم غلطوا بس مش لدرجة إننا نتدمهم من أول تانية.

فتحت عفاف فمها تحاول الحديث:

- يا عوما هو-

- بلا عوبلانيلة، ماسكاله الجزمة في بيوت الناس، ده ولا كإننا قاعدين في الشارع، وأنت-

اشار على جلال بتحرك صوبه وهو يهتف بغضب وصوت مرتفع:

- ماشي توزع كروت؟ شلل لي ستر دروس يا خويا؟!

نظر صوب هند التي رفعت يدها في الهواء تبعد عنها أي شيء قد يشوب بحبرها السافهة تلوم:

- أنا معملتش حاجة يا عووكنت هادية.

- ما هي المصيبة إنك معملتيش حاجة، محاولتيش تلمعي معايا البلاوي اللي بلتصدف عليك.

تنفس بصوت مرتفع وهو يلقي جسده على الأريكة خلفه يجاوره جلال وأمامهما تجلس الفتاتان على طرف الفراش.

وأسامة فقط ضم كفيه ودفن وجهه بينهما وصمت صمتًا طويلًا خشي أحدهم أن يكسره فيكسر أسامة ولهته. لذا صبروا حتى انتهى من لحظات رثاء الذات، ومن ثم رفع عينيه لهم يتنهد بصوت مرتفع.

@ART_OF_BOOK

- تمام خلينا نبدأ عشان متضيعش وقت، دلوقتي احنا عندنا عيلة اتقتل فيها تلات أحفاد وباقي تلاتة، يعني ممكن القاتل في أي لحظة يظهر عشان واحد من التلاتة دول، فلازم نكون واعيين كويس أوي عشان نمنع أي ضحية تانية.

نظرت إليه هند وقالت بجدية:

- شايفة إنك بتستثني التلاتة يا عم، مش يمكن القاتل أساسًا هو واحد من التلاتة؟!

مرأسامة رأسه بالمتناع تام:

- واحد بالي يا هند أنا مش بستثني ولا حاجة، أنا بس بحاول أقسم الموضوع علينا.

صمت لثوانٍ، ومن ثم نظر إلى عفاف يخرج الملف الذي كان يحمله معه طوال الوقت في الحقيبة داخل سيارته، أو ما تبقى منها.

ألقاه على الطاولة وهو يهتف بجدية:

- الملف ده فيه بحث كامل وشامل عن كل فرد في العيلة، وكمان نسخة من التحقيقات القديمة، مهمتنا إننا نتقسم ونتحقق مع كل فرد ومع كل شخص ليه علاقة من قريب أو بعيد بالعيلة دي.

أشار صوب هند وهو يهتف بجدية:

@ART_OF_BOOK

- هند بكرة مسؤوليتك الشاب اللي اسمه طارق هتلاقيه في فرع الشرق الخاصة بالحديد والصلب هيعتلك اللوكيشن، عايزك متخرجبش من الشركة غير بمعلومة مفيدة ولو كانت بسيطة.

نظر صوب عفاف بجدية يهتف ببسمة:

- فوقا أنت عليكِ حتان وبسملة، بشوية حنان وبسمة تجيبيلي منهم أي معلومة.

وأخيرًا توجه بالحديث لجلال الذي كان ينتظر بحماس شديد أن يتوجه له أسامة بمهمته:

- جلال أنت مسؤوليتك متكون الحاج بلال والعاملين في القصر عايزك تقرب بينهم كده وتوريني مهاراتك.
- اشمعنا أنا اللي مطنولي الراجل الكبير ولا أنا بقيت تخصص عواجيز؟
- متقولش كده يا جلال، أنا بديك أصعب مهمة فيهنا، أنت عارف قد ايه صعب التعامل مع كبار السن واستخراج معلومات منهم؟! دي معاناة بعد ذاتها وأنت أثبت كفاءتك في النقطة دي، فمبقاش غيرك ينفع.

وهذا الحديث غذى غرور جلال حتى كاد ينفجر من شدة الفخر وهو يرفع رأسه عاليًا بسعادة يرتشف من كلمات أسامة حتى ثمل، ليهتف على كلمات أسامة الهادئة:

- وأنا متول مسؤولية التحقيق مع شهاب وكمان هبحث عن صحاب ساهر وتشوف متوصل لايه.

@ART_OF_BOOK

نظر إليهم نظرات أخيرة يلقي عليهم الوصايا العشر للخروج من المهمة بأمان محتفظين برؤوسهم:

- أهم حاجة متنرش الانتباه، احنا بس بندور على طرف الخيط اللي ممكن يوصلنا لأي شيء له علاقة بجريمة القتل، وبعد ما تخلصوا عارفين هنتجمع فين عشان نناقش اللي وصلنا ليه، أي سؤال؟

رفع جلال يده ليشير إليه أسامة أن يتحدث، وكذلك فعل:

- بالنسبة للموتوسيكل يا عم هتدفعلي حق التصليح امتى لأني ماجره والتأمين مش هيغطي التكاليف، كده ممكن صاحبه يضيع مستقبلي لأني سايبله البطاقة و٢٠٠ جنيه رهن.
- كلمة كمان يا جلال وهخليك تحصل الموتوسيكل بتاعك ومش هتلاقي تأمين يغطيك ولا مستشفى تقبلك بالحالة اللي هسيبك فيها سمعت؟

نظر إليه جلال بضيق، فهتف أسامة بغضب:

- سمعت يا جلال؟!
- اتليلت سمعت.
- والكلام للجميع أي حركة غباء منكم، وأي شوشرة انا هروح فيكم في ستين داهية، التحرك يكون بهدوء، بسرية تامة، محدش يحس بيكم كأنكم أشباح بالضبط.

في الصباح التالي...

- صباح الخير، طارق بيه موجود لو سمحتي؟

@ART_OF_BOOK

- ايوة يا فندم. أقوله مين؟
- بوليس.

مكنا أردفت هند وهي تخرج بطاقة العمل الخاصة بها المذكور بها التفاصيل
أمنية. ليشتد شحوب الفتاة أمامها وهي ترفع الهاتف بسرعة تتحدث لرئيس
العمل تخبره برغبة هند في مقابلته. أما عن هند فابتسمت وهي تحرك عينيها
الجميع تراقب مشاهد رتيبة لبعض العمال في الشركة حولها، جلسات
واجتماعات مملة تشتق بها على حياة الموظفين المضطرين لعيش يومهم بالشكل
ذاته كل يوم من أيام حياتهم، إلا حينما يتحررون بشكل مؤقت صبيحة الإجازة

عادت المساعدة تتحدث باحترام شديد وبسمة عملية تشير صوب ممر يؤدي
للمصعد:

- التفضلي يا فندم طارق منتظر حضرتك، الدور الرابع المكتب اللي
على اليمين.

حركت هند رأسها بهدوء تدخل المصعد ولم تكد تضغط على زر المصعد تنعرك
به، حتى فاجأها أحد الرجال بالتمام المصعد بشكل ممحي يليق بجلسته، يضغط
على الطابق الخامس، ولمحت حاجبها له وهي تضغط على رقم أربعة تضم بذلك
لصدرها.

بينما الرجل كان يحاول هدمة نفسه وكأنه ذاهب لمقابلة عمل، ولعم صدق
حدسها حين سمعته يردد بهدوء:

- أنتِ بردضه جاية عشان الاكرفيو؟

@ART_OF_BOOK

نظرت إليه من أسفل رموشها بهدوء وصمتت دون كلمة واحدة، بينما الشاب بدا انه يحاول كسر توتره بالتحدث مع مَن يظن أنه يشاركه نفس التوتر:

- بالتوفيق إن شاء الله، متقلقيش الموضوع بسيط أخويا شغال هنا في الحسابات قالي إنه لو عديت من الترفيو أستاذ بمصري يبقى أنا كده في السليم، أصل هما هنا في الشركة مستويات أسواهم يسري ده، مش يرحم ولا بيسمي على اللي بيغلط.

صمت لثوانٍ وهو يتنفس بصوت مرتفع يعدل من رابطة عنقه ورتب خصلاته في مرآة المصعد أمامه يهتف بجدية:

- أخويا قالي إنه مرة دمر مستقبل واحد عشان بس اكتشف إنه غلط في حسابات صفقة، لدرجة إن الشاب ده مستحملش وانتحر من فوق الشركة وكان حوار وقتها.

ختم حديثه يتأكد أنه جاهز تمامًا للمقابلة بنظر صوب هند والتي تحفز كل جزء من جسدها لما سمعت منذ ثوانٍ وارتسمت بسمة غريبة على شفتيها تستدير صوب ذلك الثرثار والذي من دون علم منه أعطاها طرف خيط تسحبه.

- ياه للدرجة دي؟
- أمال انتِ مفكرة إيه؟ الناس دي مش بتهزر، اوعي تكوني فاكرة إني بخوفك عشان المنافسة وكده، بس لازم تكوني عارفة إن الناس دي عندها الغلطة بفورة.

وهند لم تنتبه في كامل جملته سوى على كلمة واحدة رددتها ببسمة ساخرة قبل توقف المصعد بلحظات:

@ART_OF_BOOK

- تنافسني؟

نظر إليها الشاب بعدم فهم، وهو يراها تخرج في الطابق الرابع والذي لم يكن مخصصًا للمقابلات الشخصية، ليدرك فجأة أنها ربما تكون إحدى موظفي الشركة وتشي به ليتدمر مستقبله قبل البدء حتى:

- يا مبارك يا حاتم...

***

- يا حاج متصعبهاش علينا الله يكرمك، أنت راجل كبير ومش عايز استعمل معاك أساليب تانية في التحقيق فاعترف أفضل ليا وليك.

كان بلال يجلس أمام جلال ينظر إليه بعدم فهم وملامح تشي بالضيق، بنفخ بصوت مرتفع في اللحظة التي وصل بها العامل يضع أمامهما بعض العصائر التي طلبها جلال:

- تسلم إيدك قولهم بقى يجهزوا الغدا لغاية ما أخلص تحقيق مع الحاج

رحل العامل وعاد جلال بعينيه صوب بلال يرتشف القليل من العصير أمامه:

- ها يا حاج مش ناوي تعترف؟
- اعترف على ايه يا ابني! أنت أهبل؟ أنا جايبك هنا تحقق في جريمة قتل حضرتي ولا تليفوني الهمة؟!

نظر إليه جلال من أسفل رموشه:

@ART_OF_BOOK

- كل اللي قبلك قالوا كده، عامة محدش فوق الاتهام اسمحلي بقى أسالك شوية أسئلة على السريع كده عشان أكمل تحقيق مع الباقيين.

ختم حديثه وأخرج ورقة من جيب بنطاله والتي سهر طوال الليل يعد لها بعد مشاهدة خمس حلقات من مسلسل تحقيق إنجليزيّ، حرك أصابعه على الكلمات يحاول قراءة خطه:

- قولي بقى يا أستاذ بلال كنت فين يوم ووقت وقوع الجريمة؟

لمع بلال بضيق وهويحاول أن يتحلى ببعض الصبر:

- كنت مع العيلة بنحتفل عشان فرح المرحوم.
- المرحوم ملهوش أعداء؟
- لا سامر كان بعيد عامة عن أي حوارات ولبش، كان بتاع مسهرات وخروجات، يعني ملوش في جو المؤامرات وكل ده.
- ولما هوملوش في جو المؤامرات ده اتقتل ليه؟!
- يا ابني أمال أنا جايبكم ليه؟!

اعتدل جلال في جلسته وهو يلتحلح:

- أنا قصدي إنه يعني ازاي؟ مش بتقول كانت كل العيلة مجتمعة عشان يحتفلوا بفرحه؟! ازاي يقى لوحده في وضع يسمح لحد يقتله، أكيد يعني متخطفش من وسطكم؟!

لف بلال برأسه وبدأت عيناه تغيمان بحزن شديد يحاول الا يغرق في حسرة أخرى، يكفيه حسرة فقدان أحفاده واحدًا تلو الآخر:

@ART_OF_BOOK

- لا ما هو ولها مكانش معانا، كان مصمم يحتفل مع صحابه وبعدين
  إيه خلاه يسيبهم ويرجع البيت.
- مش غريبة شوية عريس مبيحضرش احتفالات فرحه يا حاج؟!

رفع بلال عينيه إلى جلال ولمح شعر الحيرة بالأمل في جلال:

- لا ما هو ده مكانش احتفال رسمي يعني، ده لي ما نقول كان تجمع مش
  عادي حتى العروسة مكانتش موجودة لأنها كانت في باريس مع صحابها
  بيستمتعوا الفستان من الأنتيه.

ضحك جلال عليه وهو يدون كل ما يسمع، أو يتظاهر بالتدوين فهذا ما أتقنه
بفعلوته:

- على كده الأسعار في باريس غالية؟

نظر إليه بلال بعدم فهم وصدمة ليكمل جلال بشرود وبسمة:

- أصل أنا عشمان الغالي من أحفادك يا رب هتجمع بعد ما نتخلص المهمة
  دي وكنت عايز الفرح القدام يعني و...

زفر بلال ولد اكتفى من كل هذه المهزلة وبدأ يصدق زوجته أنه الذي يعاني عقدة
بين أكثر بعض العصفي:

- يا بني احنا في أيه ولا أيه؟ أنت مالك كده على الصبح، لا حول ولا قوة إلا
  بالله.

@ART_OF_BOOK

عدم حديثه بتحرك صوب الداخل، بضرب كفًا بالآخر تاركًا خلال بصلص وحده بالحديقة ومرور الليل دخوله بخيبة.

- مش هتصدقك على فكرة مسلوبة العقل، لله.

رفع هيثم بقايا بخيبة ومن ثم ألقى الورقة التي بيدها على الطاولة أمامه يحمل كوب العصير وهو يرتشفه بتمهل بتدثر حوله بهدوء ظاهري، لتحمر دقائق من نفس الجلسة قبل أن يبصر بخيبة رجل أمامه يسقي الزهور لهما بهدوء متحركًا صوبه وقد وجد ضحية أخرى يمارس عليها مهاراته.

***

توقفت أمام باب القصر وهي تطرق الباب بهدوء وبعد ثوان فتحت لها عاملة تهدو من مظهرها أنها أسيوية، لتبتسم لها هناك وهي تردد بهدوء:

- السلام عليكم، أستاذة حنان موجودة؟

لم تجبها الفتاة ولم تتحرك مقدار خطوة أو تصدر أي فعل يظهر أنها تفهم هناك، لتكمل الأخيرة كلماتها بهدوء:

- قوليلها بس عفاف وهي هتعرفني.

مكثت الفتاة تنظر إليها وطالت برفقتهما، لتعلم عفاف أنها لن تصل لشيء إن ظلت واقفة بهذا الشكل لوقت أطول، لذا أزاحت الفتاة جانبًا لتبتسم لها بسعة صدرها

- لا مؤاخذة بقى يا حبيبتي، بس لا أنا ولا انت فاهمين حاجة بتقولي.

@ART_OF_BOOK

تحركت للداخل دون حتى أن تنتظر صوب الفتاة مرة ثانية تتحرك بين الطرار بحثًا عن حنان أو حتى بسملة، لكن لا شيء، فقط بعض العاملين من المنزل.

رفعت حاجبها تتلمس بصوت مرتفع تتساءل كيف ستجدهما، وهداها عقلها بدوا من التفكير أن تتحرك صوب إحدى العاملات تستفسر منها عن مكان بسمل لترشدها السيدة صوب غرفة الأخيرة وتحركت عفاف صوبها دون تفكير.

في اللحظة التي وصلت بها للغرفة مدت يدها تطرق الباب، توقفت وهي تسم صوت شهقات من الداخل وكلمات غير مفهومة، ورغم سماع عفاف الصوت أن نبرة البكاء المصحوبة بشهقات جعلتها تجهل نصف الكلمات التي نطقت بسملة ولم تتعرف منها سوى على كلمات قليلة جعلتها تضيق عينيها بتفكير.

- لا هولسه معاها بس... بس أنا مرعوبة حد يعرف يا شهاب.

***

توقف أسامة بسيارته داخل النادي الذي علم من معلوماته أن شهاب وسام كانا يتواجدان هنا بصفة دائمة، وحينما هبط نزع نظارته يحرك عينيه بين الجميع بغية البحث عن شهاب، لكن فجأة طرأ على رأسه فكرة صغيرة جعلته يتحرك داخل النادي يتجاهل أمر شهاب لثوان:

ومن ثم توقف جوار أحد رجال الأمن المنتشرين بالداخل يتساءل بنبرة عادية:

- صباح الخير، لو سمحت متعرفش الآني فين ساهر الخواجة، قالولي إه بيكون أغلب الوقت موجود هنا في النادي.

@ART_OF_BOOK

رفع الحارس عليه لأسامة بتفحصه لثوان ومن ثم ردد بهدوء:

- سامر الخواجة! انت متعرفش ولا إيه؟! أستاذ سامر تعيش أنت.

ادعى أسامة الصدمة وعدم التصديق وقد رسم أشد ملامح الحزن والأسى على وجهه:

- لا حول ولا قوة إلا بالله، ازاي ده؟ ده أنا لسه كنت مكلمه من كام يوم وجايله مخصوص من القاهرة على أساس ليذا معاد سوا.
- يلا معلش راح عند اللي لا بيظلم ولا بيضيع حق حد.

كانت نبرة عادية للبعض، لكنها لم تكن كذلك لأسامة إذ استشف حقد وتشفي خفي في صوته، وكأنه سعيد برحيل سامر، لكنه لم يظهر ذلك وهو يدعي الأسى:

- لا حول ولا قوة إلا بالله، أعمل أنا إيه دلوقتي؟ ده أنا جايله من القاهرة عشان أمانة ليا عنده وصعب أرجع من غيرها.

زفر وهو يمسح وجهه بضيق شديد تحت أعين الحارس الذي رمقه بلا مبالاة لثوان يشير صوب طاولة بعيدة بعض الشيء:

- عندك صحابه اللي هناك دول اسألهم يمكن يساعدوك هما تقريبًا يعرفوا عنه كل حاجة وممكن يساعدوك.

هز له أسامة رأسه وهو يتنهد براحة جزئية:

- يسمع من بوقك ربنا، عن إذنك.

@ART_OF_BOOK

لمحت عيناه وهو يتحرك صوب تجمع بعض الشباب على بُعد صفير من بر
السباحة الذي بتوسط النادي، وصل إليهم وجذب مقعدًا له، يتنهد براحة
يجلس عليه بلا مقدمات:

- السلام عليكم.

نظر إليه الجميع بعدم فهم لتطفله بهذا الشكل، يتظرون إلى بعضهم البعض
أحدهم يتعرف عليه، لكن يبدو أن لا أحد في الموجودين يعلمه.

- خير يا صاحبي فيه حاجة؟!

رفع أسامة عيناه للشاب الذي تحدث وهو يردد بجدية:

- خير بإذن الله، أنا بس كنت جاي عشان أقابل ساهر الخواجة، بس لي
الأمن اللي ورا ده قالي إنه مات، البقاء لله أولًا، راح عند اللي أحسن منّا
هو كده الموت فجأة يخطف الناس من بينا، يعني شاب زي ده ماشاء
الله مكانش يعالي من أي مرض فجأة يموت كده بلا مقدمات.

خيم حديثه وهو يدور بعينيه بين الجميع يلتظر منهم أي حركة تثير الشك، لكن
كل ما أبصر أعين فضولية والبعض حزينة، ولا شيء آخر.

فتح فمه ليتحدث ويخرج بأي حجة لهم ليبعد عنهم نظرات الريبة هذه، لكن لجأ
قاطع كلماته صوت بالي مقهور:

- مين قالك إنه مات! ساهر معالوش ساهر اتقتل و....

@ART_OF_BOOK

صمتت فجاة وكأنها شعرت بتسرعها في الحديث مع شخص تراه للمرة الأولى ولا تعلم حتى من هو أو حتى غرضه، وأسامة شعر فجاة كما لو أنها أغلقت الباب على إصبعه بعدما كادت تنطق بشيء يساعده في الوصول لطرف الخيط.

- لا حول ولا قوة إلا بالله، مين اللي ممكن يقتل شاب زي ساهر كده؟
- وانت مين أساسًا وإيه دخلك بساهر؟!

كانت تلك كلمات أحد الشباب الذين رمقوا أسامة بضيق وشك، بينما أسامة ادعى اللامبالاة وألقى في وجهه نفس حجته السابقة:

- أنا كنت جاي لساهر لأن ليا أمانة معاه، ودلوقتي بتقولوا إنه مات... فأنا مش عارف المفروض أروح لمين يساعدني.

تدخلت الفتاة وهي تمسح دموعها تراقبه بفضول:

- أمانة! أمانة إيه؟! ساهر عمره ما قالي إن فيه حد ليه عنده أمانة؟!

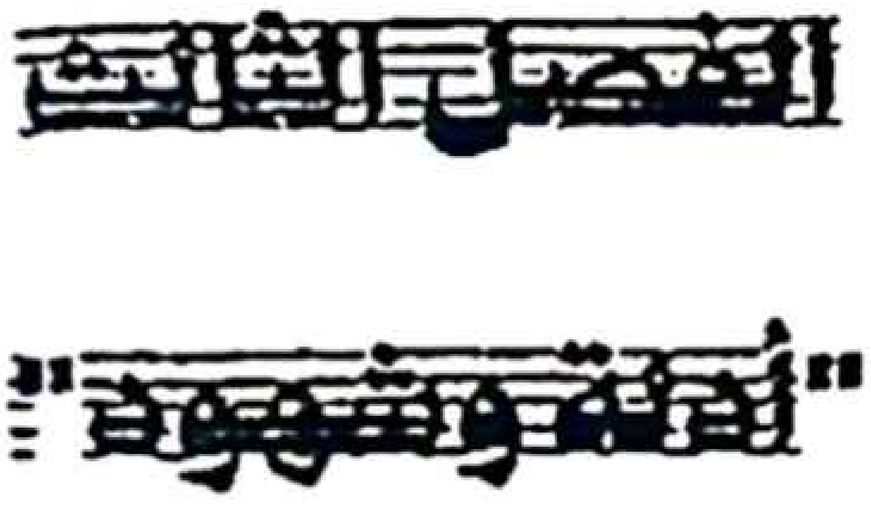
رفع أسامة حاجبه يصيغ لهجته بنبرة ساخرة مستهزئة:

- وانتو مين بقى عشان تعرفي إذا كان فيه حد له أمانة عند ساهر ولا لأ؟

تحدثت الفتاة بنبرة واثقة وهي تلقي قنبلتها في منتصف الجلسة دون اهتمام لشيء فقط اندفعت خلف كبرياء غبي ورغبة في إثبات نفسها ومكانتها:

- أنا أبقى مرات ساهر.

@ART_OF_BOOK



الحياة فرص، والفرص نادرة، الذكي فقط هو من يمكنه استغلال ما يمر
من فرص.

واسامة ورغم كثرة جلوسه مع فريقه ورغم ما يصدر من شخصه أحيانًا
كان ذكيًا بالقدر الكافي ليلتقط الكلمة التي خرجت باندفاع من الفتاة
توالي فقط ظهرت بها صدمة على ملامحه وأدها بسرعة بابتسامة صغيرة

- آه أكيد حضرتك تبقي آنسة بسملة، كان نفسي أقابلك في ظروف
من كده و....

قاطعته الفتاة بغضب وحدة وهي تضرب على الطاولة:

- لا أنا مش الرفتة بسملة، أنا سارة.

لمعت عيناه بخبث:

- أيوة بس حسب معلوماتي إن زوجة سامر اللي كان عازمني على ن
هي قريبته الأستاذة بسملة.

@ART_OF_BOOK

فتحت الفتاة فمها لتصرخ في وجهه بعدما اشتد احمرار وجهها. وكأنها تكبت آهات وصرخات وحسرة داخل صدرها وعلى وشك الانفجار الآن في وجه أسامة وفي الواقع أسامة كان أكثر من مرحب لذلك.

لكن وقبل أن تفعل ألقى فدائي نفسه أمام قنبلة صارة يتلقاها هو مانعًا صداها من الوصول لأسامة يردد بجدية:

- حضرتك قولت إنك ليك أمانة عند ساهر، بس معتقدش إننا نقدر لساعدك في الموضوع ده لأن ساهر مجابش سيرة موضوع الأمانة ده، فممكن تسأل شهاب هتلاقيه في صالة النيشان دلوقتي.

وكانت كلمات صريحة واضحة له بانتهاء الحوار مع أسامة والذي بدا في هذه اللحظة كمتطفل مزعج، لكن الضرورة تجبرك أحيانًا لتكون شخصًا تكرهه.

ابتسم لهم بسمة صغيرة يدعي أنه لم يتوقف عند الأمر وأن ما يحدث لا يعنيه، فكل ما يعنيه موأمانته، لذا مزرأسه ينهض عن المقعد:

- تمام بشكرك جدًا وبعتذر لو عطلتكم، والبقاء لله في موت صاحبكم أستاذ ساهر كان يعز علينا كلنا، عن إذنكم.

ومن ثم رحل ببساطة يبتسم بسمة صغيرة وصوت همسات موبخة لسارة تصل لأذنه بكلمات غير واضحة، وأسامة في هذه اللحظة كان يسجل وبدون كل حقيقة وكل كلمة خرجت منهم أثناء جلوسه معهم.

- زوجة بي القبصروزوجة في النادي، وبا عالم فين تاني با أستاذ ساهر.

@ART_OF_BOOK

- فولتلي بقى أنت هنا من امتى يا عم أشرف؟

تحدث العامل الذي كان يعتني بالحديقة وجلال يحمل له خرطوم المياه بينما يفعله.

والأخير بتحدث ببسمة واسعة:

- بووووه يا ابن عمي، من خمس سنين تقريبًا.

- ومالك يا عم كده حسستني إنك معاهم من وقت تأسيس العيلة، قول لي أشرف بما إنك بعني هنا من بحي خمس سنين، يعني حضرت اللي حصل كده؟

نظر إليه أشرف للوان بعدم فهم قبل أن يوضح له جلال ما يقصده:

- وقت ما الجريمة حصلت يعني، كنت فين وقتها؟

رمش أشرف للوان قبل أن يهض وهو بنفض كفيه ببعضهما يحاول الوصول إ كان جلال بتهمه الآن ام شهناله:

- كنت في البلد يا بيه، ولسه راجع امبارح بليل، كلنا كنا واخدين إجا اسبوعًا من أيام لأن بلال باشا عطانا إجازة قبل الفرح لأن فترة الفر مكالش حد هينفع بسبب شغله الخالص، بس أنا طلبت إجازة طو شوية.

- في البلد فولتلي، والحاج بلال هو اللي عطى الكل إجازة؟ يعني اليوم كان فاضي الخالص مش كده؟!

@ART_OF_BOOK

- بالظبط كده، أسامتا انا معرفلتش باللي حصل غير لما وصلت امبارح والصدمت، أصل يعني أستاذ ساهر زي ما نقول كده على الله. دماغه بعيدة عن الكل ومشاكلهم.

الله جلال بكامل حواسه و ابتسم بسمة غريبة وهو بيترك الخرطوم بشكل جعله بيحرك لبعرق ما يحيطه حتى أشرف، لكنه تجاهله و اقترب من أشرف بتزع نظارته السوداء بتظرلي عيلبه بلهة حشره في الزاوية:

- مشاكلهم؟ وهي إيه مشاكلهم يا ترى يا أشرف؟

نظر أشرف إلى خرطوم المياه الذي دمر كل شيء حوله، ومن ثم رفع عيلبه صوب جلال بتحدث بضيق:

- يا باشا دول عيلة كبيرة وواصلين فاكيد يعني ليهم مشاكل مع ناس كتيرة في الشغل، وعشان كده بقولك إنه غريبة لأن ساهر بيه ملوش في شغلهم.

نظر إليه جلال بشرود وهو يحاول التفكير في شيء وقد بدت تعابير غامضة تعلو وجهه، لكن فجأة خرج من شروده حينما فشل في الوصول لخيط من حديثه أو التوصل لشيء يدلله لنقطة ثانية.

لذا أخرج ورقة الأسئلة من جيب بنطاله، يبحث فيها عن سؤال قد يعينه على فتح حوار آخر مع أشرف، لكن لم يجد شيئًا، زفر بضيق، ثم رفع عيلبه صوب أشرف الذي كان يراقبه منتظرًا ما سيفعل، متعجبًا مما يفعل.

@ART_OF_BOOK

- طب يا أشرف هتكتفي بهذا القدر لليوم، ولو فيه شيء تاني ر استدعائك.

كان يتحدث وهو يشير إليه ليرحل، لكن أشرف أشار على الأرض أسفله:

- طب معلش يعني يا باشا ممكن نتزاح شوية عشان الخرطوم خلا هيبوظ الزرعة.

ابتعد عنه جلال وهو يعتذر منه، ينظر حوله يفكر في العودة وتوسل العاج لي ليجلس معه مجددًا لأجل التحقيق.

لكن وقبل التحرك فجأة توقف لثوانٍ، يستدير صوب أشرف ير اقبه للحظات، يحرك نظره في المكان حتى توقف عند بوابة المنزل التي فُتحت من الداخل أمام إحدى السيارات، يتساءل بجدية:

- صحيح يا أشرف قولتلي كلهم كانوا إجازة يوم الحادثة، طب لو كده مين اللي فتح الباب لسامر لما رجع من برة قبل ما يتقتل؟!

هز أشرف رأسه وهو يتدارك الخراب الذي أحدثه جلال في تربته العزيزة:

- أيوة بس الأمن غيرنا أنا بتكلم عن عمال القصر نفسه، لكن الأمن اللي على البوابة موجودين على طول يعني مش بياخدوا إجازة إلا لو فيه واحد استلم مكانهم.

ابتسم جلال وقد شعر أنه ربما وصل لشيء:

- تعرف مين اللي كان ماسك الشيفت يومها يا أشرف؟

@ART_OF_BOOK

من بعد ما سمعته عفاف ولم تفهم ما قيل، نظرت حولها حينما عم الصمت لتترك أن الفتاة في الداخل أغلقت المكالمة، تنهد بصوت مرتفع، ثم رفعت كفها لطرق الباب بتأنٍ للتظرردًا والذي جاءها بعد لحظات قليلة.

- أبوة الفضل.

لتحت عفاف الباب ببطء وبسمة صغيرة وهي تردد بحنان ونبرة متفهمة لحزن الصغيرة:

- أنا بعتذرلو بزعجك بس ممكن نتكلم شوية؟

نظرت إليها بسملة للوان، ترمش بعدم تذكر لعفاف، تحاول أن تحفز ذاكرتها للتذكر أين أبصرت عفاف، وعفاف ساعدتها وهي تحفز ذاكرتها تبتسم لها منحركة داخل الغرفة:

- أنا عفاف من فريق التحقيق في جريمة قتل المرحوم جوزك.

بُهت وجه بسملة بشكل غريب، لكن عفاف تجاوزت عنه وهي تهز رأسها بهدوء تجلس على الأريكة مقابل بسملة تشير لها بجدية حوارها:

- ممكن نتكلم شوية لو سمحتي؟!

ورجفة يد الفتاة لم تخفَ عن عيني عفاف التي ضيقت عينها تراقب حركاتها بالكامل، تشعر بالريبة حول بسملة، الفتاة متوترة وخائفة بشكل غير مفهوم وكأنها مهمة أساسية في الجريمة.

@ART_OF_BOOK

- مش ممطلك ده بس عشان حابة أعرف شوية معلومات عن المرحوم تقدر تساعدنا في إننا نلاقي المجرم.

تحركت بسملة بأقدام مرتجفة حتى توسطت المقعد الذي يواجه عفاف تهمس بصوت منخفض:

- هوانا معرفش حاجة أساسًا... انا كنت برة مصر في الوقت ده.

هزت لها عفاف رأسها تدعي اقتناعًا، ترسم بسمة واسعة على فمها:

- متقلقيش انا بس عايزة شوية معلومات عن ساهر نفسه مش أكتر. وبعدين مش غريبة تكوني برة مصر قبل فرحك بأيام قليلة؟

فركت بسملة يديها وهي تحاول تمالك نفسها، تجفف عرق جبينها بيد مرتعشة:

- انا كنت مع تيتة وصحابي في باريس بنجيب فستان الفرح ووصلنا بعد الجريمة بيوم، ولو تحبي تقدري تتأكدي من ده سواء من سجلات السفر او تذاكر الطيران.
- ملوش لزوم أنتِ مش متهمة أساسًا عشان كل ده، أصل يعني أكيد مش هتقتلي جوزك اللي اخترتيه بنفسك قبل فرحك بأيام ولا إيه؟ سمعت إن كان فيه قصة حب بينكم كمان، قلبي عندك يا حبيبتي.

هل ازداد شحوب بسملة في هذه اللحظة أم أن عفاف مُهَّا لها؟!

ما تراه على هذه الفتاة أثار كل أجراس الإنذار داخلها، هذا يمكن ان يكون اي شيء غير مظهر عروس منكوبة بوفاة خطيبها قبل الزفاف.

@ART_OF_BOOK

- أكيد طبعًا، أنا لمسه مش قادرة أصدق إن ساهر اللي كنت بكلمه قبل الحادثة بساعة واحدة بس يحصل فيه كده و...

صمتت وهي تدفن وجهها بين كفيها باكية بانهيار جعل عفاف تهض لتربت عليها بحنان شديد مواسية:

- بس يا حبيبتي متعمليش في نفسك كده، ادعيله ربنا يرحمه ويردله حقه.

رددت بسملة بشهقات وصوت باك:

- يا رب، يا رب ارحمه، يا رب.

ربتت عليها عفاف، تلتظر حتى توقفت بسملة عن البكاء ومن ثم تحركت لتجلس تتنفس بصوت منخفض، مواسية لها:

- أنا عارفة إنه ممكن ميكونش وقته بس معلش محتاجة بس تساعديني بشوية معلومات عن ساهر، يعني صحابه وحياته وهل فيه أعداء ليه؟
- لا ملوش اويمكن ليه بس أنا معرفش.

تنهدت تنهيدة طويلة وكأنها تحمل داخل صدرها همومًا تنافس الجبال ثقلًا؛ حتى أن عفاف أشفقت عليها في هذه اللحظة، ولولا أنها تخشى جنون أسامة إن عادت له بلا شيء يفيده لكانت تركتها لتتمالك نفسها.

- بصي أنا وساهر مش... هو مكانش بيحكيلي عن صحابه بالشكل اللي ممكن حد يتخيله، أصله كان بيغيرعليا شوية، فمكنتش أعرف صحابه الشباب أوي بس هوكان يعرف اتنين مقربين ليه بيشوي ومعتزبس دول صحابه أوي يعني وممكن تسالهم لويعرفوا حاجة.

@ART_OF_BOOK

هزت عفاف رأسها بهدوء ثم اكملت تحقيقها بهدوء معها:

- وعلاقتك بيه؟

ازداد شحوب وجهها مجددًا، لِمَ كلما تطرقت عفاف لتلك النقطة التي تجمعهم معًا شحبت وتوترت؟

- مالها؟!
- إيه شكل علاقتك بيه، هل كان فيه حب يجمعكم ولا كان جواز تقليدي؟ سمعت إنه كان جواز تقليدي بأمر من أستاذ بلال، يعني مكانش فيه مشاعر بينكم أوي.

أومأت لها الفتاة تردد بصوت مرتجف وكأنها على وشك البكاء:

- أيوة.

ابتسمت لها عفاف بسمة صغيرة وقد لمعت عيناها بشكل غريب تدرك بقيتها هذه اللحظة أن هذه الفتاة تخفي سرًا خطيرًا، منذ دقائق أكدت على فكرة أن زواجها من ساهر كان حبًا، والآن توافقها أنه كان بأمر من جدها، الأمر مثير للاهتمام.

***

صوت ضرب حذائها ذي الكعب المرتفع هو ما يمكن سماعه في الممر بأكمله إلى جانب صوت عقارب الساعة التي تشير أنها قضت حتى الآن ما يعادل ساعة تقريبًا

@ART_OF_BOOK

وحتى هذه اللحظة لم يتفضل ذلك الحقير ليخرج ويخبرها انه مستعد للتحقيق وكأنه يمن عليها بمقابلتها.

وحسنًا إن كان يراهن على صبر هند وقوة تحملها، فحتمًا سيخسر رهانه كما سيخسر ملامح وجهه الوسيمة بعد ثوان.

وعند هذه النقطة انتفضت هند تتحرك بكل هدوء صوب الغرفة تتجاهل المساعدة التي ركضت خلفها تحاول منعها، لكن هند لم تهتم وهي تفتح الباب بهدوء تتحرك للداخل ببسمة واسعة تخطو للمكان ببنطال أسود قماشي وسترة من اللون الأبيض تضع يديها داخل جيب السترة حتى وصلت لمكتبه تجلس على المقعد أمامه بهدوء شديد تبتسم له بسمة صغيرة ومن ثم حركت عينيها صوب المساعدة تهتف برقة لا تناسب ملامحها ولا ما فعلت منذ ثوان:

- قهوة سادة لو سمحتِ.

قالت كلمتها، ثم استدارت صوب طارق والذي كان ما يزال ينظر إليها بعينين سوداوين غريبتين، قبل أن يرفع كفه يشير للمساعدة بالتحرك، ومن ثم عاد بظهره للخلف يجابه هند.

- معتقدش إن أخلاقيات مهنتك علمتك تقتحمي المكاتب بالمنظرده!

رفعت عينيها له تزيح خصلاتها القصيرة، تضع قدمًا فوق الأخرى وهي تتراجع بظهرها على المقعد، تجيبه ببساطة:

- مش شايفة إني قاطعت حاجة مهمة يعني يا أستاذ طارق، ثم إني....

- باشمهندس.

@ART_OF_BOOK

نظرت إليه هند تبتسم ببرود وهي تكمل:

- زي ما كنت بقول يا أستاذ طارق أخلاقيات المهنة دي بنمارسها مع اللي بيحترم نفسه وبيحترمنا، لكن اللي مش بيحترم لا ده ولا ده ليه معاملة خاصة.

رفع طارق حاجبه لها يبتسم بسمة ساخرة، يمنع ظهور ملامح السخط على وجهه. بينما هي تجاهلت كل ذلك وهي تخرج دفترها وقلمها، هتفت وهي تنظر إليه بعينها وكأنها تخترق مكنوناته:

- نبدأ؟!

أشار لها بيده وهو يضم كفيه أمامه يستمع لها بانتباه والاستهزاء يعلو وجهه وهذا ما جعل عينيّ هند تشتعلان وهي تتحدث بنبرة باردة:

- كنت فين يوم مقتل ساهر؟!
- كنت سهران مع العيلة.
- مش غريبة شوية؟

رفع حاجبه بعدم فهم:

- إيه اللي غريب في كلامي؟!
- حسب معلوماتي فالعريس مكانش موجود في الحفلة والسهرة دي من كده؟!

أومأ بنعم، ينتظر ما قد تضيفه، لكنها فقط ابتسمت له بهدوء:

@ART_OF_BOOK

- كان فين؟
- هو مين؟
- أخوك، يوم ما سهرت مع العيلة، يوم قتله كان فين؟

زفر طارق بضيق وهو يهتف؛

- كان لي حفلة مع صحابه.
- وأنت بقى من النوع اللي ممكن يفضل قعدة الكبار على حفلة شباب؟ مش غريب شوية تسيب حفلة أخوك، وتروح تسهر مع العيلة والكبار؟!

تلاعب طارق بمطفأة السجائر أمامه، بحركات لم تغفل عنها هند وهي تراقبه، يشغل كفه بأي شيء أمامه كي لا يظهر توتره، وحينما طال تفكيره، ابتسمت بسمة صابرة؛

- صعب أوي كده؟!

نظر إليها بعدم فهم، لتوضح ببساطة:

- إنك تلاقي حجة، صعب؟
- أنتِ عايزة إيه بالضبط؟! تقدري تسألي الكل إني كنت معاهم طول الوقت ومسبتهمش غير لما رجعنا البيت سوا واكتشفنا اللي حصل.
- مش ده رد سؤالي؟

زفر طارق بغضب وقد بدأت المرأة أمامه تثير جنونه، يلتفت بعنف وهو يخفف رابطة عنقه:

@ART_OF_BOOK

- كان فيه خلاف بيني وبينه قبل السهرة بأيام عشان كده مروحتش، بس غير إني مش برتاح لأصحابه ولا ليا احتكاك بيهم عشان أروح أسهر معاهم يعني.

- سبب الخلاف إيه؟!

نظر إليها بغضب وهو يهتف بنبرة سوداء:

- شيء خاص بيا.

ابتسمت له بسخرية وهي تنفي برأسها:

- للأسف يا أستاذ طارق، احنا في تحقيق مفيش شيء اسمه خاص ببك، أنا مش مستضيفاك في برنامج سهرة مع النجوم عشان تحتفظ بشيء لنفسك، أنت مش عايز توصل للي قتل أخوك ولا إيه؟

تلك المرأة تثير جنونه وغضبه، الشيء الذي لم يفلح به أي رجل قبلها لا في العمل أو خارجه، ربما لأنه يشعر بالضغط هذه الفترة، تنفس بصوت مرتفع ينهض عن مكتبه يسحب سيجارة يشعلها بتوتر التقطته هي ببساطة لتبتسم وقد نجحت في إيصاله لحالة تستطيع استغلالها لأخذ ما تريد.

- تفتكر فيه شخص ممكن يوصل بيه العداء بينكم إنه يقتل واحد منكم؟!

ابتسم بسخرية يزفر أنفاس سيجارته بهدوء:

- احنا في عالم مش بيرحم، القتل أسهل فيه من النفس، لكن عامة سامر ملوش أي علاقة بعالمنا، سامر بعيد عن شغلنا.

@ART_OF_BOOK

- بس انت و أبوك مش بعاد عنه.

نظر إليها باستفهام:

- قصدك إيه؟
- مش يمكن اللي عمل كده بيلتقم منكم أنتم مش من ساهر بالذات؟

غامت عينا طارق للثوانٍ وكأنه يفكر في الأمر بجدية، يدرك أنه لم يصل لهذه النقطة قبلًا، هل يمكن أن يكون هذا ما حدث؟ وفي غمرة شروده هتف بصوت بعيد كل البعد عن الوعي:

- بس الرسالة اللي كانت جنب جثته كان..

صمت لثوانٍ وكأنه استفاق يبلل شفتيه، يسحب نفسًا آخر من سيجارته، وهو بمنحها ظهره يخفي خلف نبرته حسرة وغضبًا:

- معتقدش، كان أسهلهم يتخلصوا مني أنا لو كان غرضهم والدي.

كانت كلمات يحاول بها التغطية على كلماته بخصوص الرسالة التي ذكرها سهوًا منه، لتدرك هند أن هناك أسرارًا تختفي خلف تلك الرسالة، لذا سريعًا دونت ملحوظة عنها.

ثم رفعت عينيها له لتبصره يحدق فيها بشكل غريب يطيل النظر في وجهها وكأنه يبصرها للمرة الأولى، لم تخجل أو تخاف، بل رفعت حاجبها بسخرية، بينما هو ابتسم لها يسمع صوت الباب، يدخل الساعي حاملًا لهما فنجانين من القهوة.

@ART_OF_BOOK

جلس يطلق السيجارة، ومن ثم سحب فنجانه يشير لها أن تسحب خاصتها. لكنه اكتفت فقط بتدوين شيء، ثم رفعت عينها له تتحدث بجدية:

- صحاب أخوك، قولت إنك مش بترتاح معاهم، تفتكر ممكن يكون هم فهم اللي عمل فيه كده؟!

ضحك طارق بصوت مرتفع بهمس من بين رشفاته للقهوة:

- مين؟ شوبة المعاتيه دول؟

صمت وهو يميل على المكتب يقترب منها بوجهه ولم تجفل هي أو تتراجع بل ظلت ثابتة تراقبه يهمس لها بصوت منخفض:

- انتِ شوفتي الجثة؟! معتقدش واحد من صحابه المعاتيه دول يقدر يقتل حد بالشكل ده، اللي قتله كان شخص محترف عارف الرصاصة رايحة فين بالظبط، اللي ضرب الرصاصة شخص بيفهم أوي في الموضوع ده.

نظرت إليه بعينين غائمتين، فابتسم بسمة ساخرة:

- قبل ما تيجي تحقق معايا وتتهمني في حاجات عبيطة، أنصحك تشوفي الجثة والأدلة عشان تقدري تحكمي عقلك.

ابتسمت له هند بسمة غامضة صغيرة، تغلق الدفتر الخاص بها وهي ما تزال تحتفظ بنفس نظرتها إليه، تنهض عن مقعدها:

@ART_OF_BOOK

- تمام انتهى التحقيق على كده النهاردة، بشكرك على ذوقك يا أستاذ طارق.

خدت حديها لسير بكل قوة وشموخ للخارج، تحت عيني طارق الذي مال برأسه بنظر إليها نظرة غريبة قبل أن ترتسم بسمة على فمه وهو يرفع فنجان القهوة الخاص به:

- شكلهم مطلعوش أغبية زي ما تخيلنا.

***

كانت تجلس في الحديقة وهي تراقب المكان حولها باستمتاع شديد تحاول أن تندمج مع الطبيعة المحيطة بها حتى تشفق عليها السيدة حنان وتلتهي من الفحص الطبي وتأتيها للتحقيق.

فجأة سمعت صوت رنين هاتفها، رفعته تبصر اسم أسامة لتبتسم دون شعور وهي تجيب على هاتفها:

- أسامة.
- خلصتِ يا فوفا؟!
- آه خلصت كلام مع بسلمة، بس جدتها لما روحت أشوفها لقيت عندها دكتورة، وقالت متخلص وتنزلي، وأنت؟!

كان أسامة يقود في طريقه للفندق وهو ينظر حوله إلى الطرقات التي لم يألفها بعد:

@ART_OF_BOOK

- ملقيتش شهاب هناك، أول ما وصلت بلغولي إنه لسه ماشي معوار راح فين، بس عامة مجهلي النادي مكانتش على الماشي.

كادت عفاف تسأل عن مقصده، حتى أبصرت شيئًا أمامها جعلها تبتسم بسعادة وعيناها تتحركان مع شخص ما:

- تقريبًا عرفت شهاب راح فين فجأة.

تعجب أسامة من كلماتها ولم يكد يستفسر عنها حتى سمع صوتها يهتف بجذبة:

- شكل كده يا عوفيه حوارات كتير معفرية في العيلة دي.

ابتسم أسامة من وصفها وهو يتوقف بالسيارة جانبًا وقد قرر شراء بعض الطعام للجميع، يتحدث بجذبة وهو يتحرك داخل المطعم الذي قابله في الطريق:

- الموضوع غريب وملهون حواروحوار، عامة أنا خلاص هشتري كام حاجة كده وهشوفك في الجنينة اللي جنب الفندق، وابقي بلغهم بقالوا هناك.

انتبه للرجل الذي يدفع له الأموال ومن ثم أغلق مع عفاف المكالمة وهو يتحرك ليجلس على السور أمامه ريثما يجهز طلبه، يشرد في البحر أمامه، قبل أن يسمع صوتًا خلفه يردد بهدوء:

- ورد يا باشا! خد مني وردة لمراتك هتفرح بيها أوي.

نظر أسامة إليه ولد بدا أنه لا يسمع ما يقال للوان، حتى أدرك فجأة أين هو بعدما سبح بأفكاره بعيدًا عن المكان وعن كل شيء حوله.

@ART_OF_BOOK

لشرصوب الشاب الذي كان يبتسم له بسعة واسعة لطيفة جعلته دون وعي يخرج بعض الأموال ليشتري منه بعض الزهور لعذاف، مبتسما بتأمل ردة فعلها على الأمر، فبعدما ضرب عليها أيام لقاءهما الأولى بسبب المهمة كان هذا أقل ما يقدمه لها.

ابتسم سعيدًا بالزهور بعدما استلمها من الشاب، وما هي إلا دقائق قضاها بتأملها يحاول إيجاد طريقة رومانسية ليقدمها لعذاف، حتى سمع صوت أحد الصبية الذين يعملون في المطعم خلفه يناوله العقائب الخاصة بالطعام.

سعيدا منه أسامة وهو يتحرك صوب السيارة سعيدًا بالزهور أكثر من الطعام يضعها جواره بلطف، ومن ثم انطلق في طريقه يدعو الله أن تكون عذاف أول الواصلين حتى يأخذ راحته في التعبير عن مشاعره.

***

ولأن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه كان أول من أبصر أسامة يتمدد على أحد مقاعد الحديقة هو جلال الذي كان يحمل بين كفه زهرة صغيرة يستلشقها وهو يتهد بعالمية، يضع الهاتف على أذنه:

- وأنتِ أكتر يا لوتا، خلاص هانت يا قلبي اخلص بس من الشرف اللي انا فيه ده و أفوق ليكِ، بعدين أنا عامة قررت إننا هنجيب فستان الفرح بتاعك من باريس.

صمت يستمع الصوت من الطرف الآخر ومن ثم حرك الزهرة في الهواء:

- أنت مستهونة بيها ولا إيه، قولتلك هجيبه من باريس يعني هجيبه من باريس، وفرحنا هنعمله في إيطاليا في البندقية.

تمتم أسامة بغيظ وهو يتحرك صوب السيارة مجددًا يخفي بها الأزهار حتى يجتمع بزوجته في المساء:

- بندلية لما تتفرغ في الوخك يا شيخ.

فجأة توقفت أقدامه وهو يسمع صوت جلال يردد بسخرية:

- اياكش تكوني مفكرة إني هعمل فرح لوكال بمستوى متدني شعبي زي اللي حضرتيه وقت فرح أسامة، لا يا ماما النبي، طب ده مقام أسامة وعلاف، إنما أنتِ بتعملك فرح تشهد بيه البلد وهجيبلك الفنان حسين الجسمي.

رفع أسامة حاجبه وقد ابتسم بسمة جانبية مصدومة من حديث جلال، ألقى الزهور داخل السيارة ومن ثم أغلق بابها بعنف يعود صوب جلال مجددًا واللي انتقل من السخرية من زلمايه إلى السخرية من ثوبه:

- شوفلي أسامتنا بدلة أسامة يوم الفرح كانت عاملة ازاي؟ حاجة كده محلي ومش...

ضرب أسامة جلال بكفه وهو يدفعه عن المقعد بغضب:

- أنت يا خالتي اللتاتة خلص عشان عايزك.

أعتدل جلال في جلسته بسرعة وهو يتمتم بصوت منخفض يشير له بإصبعه:

- خه

@ART_OF_BOOK

- طب يا لولا هكلمك بعدين أفهمك ترتيب كل حاجة يا بيبي، عايزة حاجة.
  يلا في أمان الله.

أغلق معها بملح أسامة كامل انتباهه:

- خير يا أسامة فيه حاجة؟!
- لوكال وشعبي هاا؟ هتجيبلها الفستان من باريس وهتعمل فرحك في البلدقية؟؟
- أنت هنا من امتى؟!
- من أول وصلة الكدب اللي دخلت بيها على خطيبتك يا جربوع.

فتح جلال فمه وما كاد يبرر ما سمع أسامة بحجة أشد غباءة من حديثه حتى قاطعهما وصول هند التي تحركت صوبهما ترفع يدها تدفع جلال جانبًا تجلس تلتقط أنفاسها وهي تتمتم بكلمات حانقة:

- أنا نفسي أفهم امتى متقرروا تخلوني أمسك التحقيق مع ست، أنا خلاص قرفت من التحقيق مع الرجالة، ده إيه الكائنات المزعجة دي بجد؟!

نظر جلال وأسامة إلى بعضهما البعض وخشي أحدهم التحدث للدفاع عن هذه الكائنات حتى لا تبدأ هند في مهاجمتهما، لذا كان الصمت في هذه الحالة هو أسلم الحلول أمامهما.

رفعت هند عينيها تبحث في المكان حولها عن عفاف:

- فين عفاف؟!

@ART_OF_BOOK

أجاب جلال بهدوء:

- لسه مجلش.

لكن فجأة انقض على ضربة هند لكفها بخبث:

- ده اللي ناقص بقى.

نظر أسامة إلى جلال الذي رفع كفيه بعجز هامسًا:

- أنا عملت إيه دلوقتي؟

في اللحظة ذاتها وصلت عفاف لهم وهي تجلس جوار هند تستغل بائع متنقلة بصوت مرتفع وكأنها كانت تسير لأيام بلا قطرة مياه في صحراء، وبمج ان ابصرها أسامة بهذا الشكل تحرك صوبها بسرعة يخرج من الحقائب زجاجة مياه يجاورها وهو يمد يده لها بالزجاجة مبتسمًا بحنان.

رفعت عينيها له تبادله البسمة:

- تسلم يا أسامة.

وأسامة ذلك الشخص الذي كانت هند تتفنن بوصف كم أنه رجل حقير لا مثل له، ولا قلب لديه، ولا يهتم بشيء سوى عمله، ها هو يبتسم كالأبله فقط ل عفاف شكرته فقط.

ولا تدرك أن بسمته تلك لأنه سمع منها اسمه وليس العكس كما اعتادت مدا المسحت بسمته بقوة وهو يخرج لها بعض العصائر يمد يده لها بها بكل براءة لينا المزيد من "أسامة" التي نطقتها، بينما هند تراقب ما يحدث بملامح ملتبا

@ART_OF_BOOK

وجلال لقطط يشعر بالريبة والخوف من أسامة في حالته هذه. أما عن عفاف فانسعت بسمتها بقوة وهي تهتف:

- تعبت نفسك يا أسامة والله. أنا بس تعبت من المواصلات وأنا جاية.
- ابقي خدي عربيتي بعد كده لو عايزة وأنا هقضيها مواصلات عادي. لما ترجع بإذن الله هشتري لينا عربية صغيرة.

لمعت عينا عفاف بشكل خطف أنفاس أسامة ليشرد بها أكثر وأكثر. وقد شعر بقلبه يتضخم بحب تلك المرأة التي خطفت أنفاسه دون شعور منه على مدار سنوات عمل بينهما.

تنفس يحاول الخلاص من شباكها، يخرج من الحقيبة التي أحضرها بعض الحلوى لها، لكن فجأة سمع صوت هند من خلفه وهي تهتف بحنق:

- ما خلاص بقى يا عم خلصت عليها الأكل اللي جيبته لينا كلنا. ده إيه قبضان المشاعر اللي هب عليك مرة واحدة ده. ده أنت كنت ملشف ريق البلت على كلمة واحدة حلوة.

استدارلها أسامة بغيظ، ومن لم عاد بنظراته صوب عفاف يضع الحقيبة بكل ما فيها بين أحضانها يهتف بجدية:

- وانتِ مالك يا بومة يا خرابة انتِ. ثم ده مش أكلكم. الأكل بتاعكم هناك أمو. دي حاجات عفاف بس.

@ART_OF_BOOK

كل هذا وعفاف لا تنزع عينيها عنه تراقبه ببسمة واسعة وحب شديد تر
الحقيبة بين أحضانها وكأنها إن تركتها ستطير من بين يديها، تنظر أمامها بـ
شديد وهي ترفع عينيها للسماء تتلاشى النظر إلى الجميع.

بينما أسامة زفر بضيق وهو يخرج الطعام للجميع يضعه على الطاولة التي
في منتصف المقاعد، ومن ثم انكب الجميع على تناول الطعام بنهم وجوا
خرجوا لتوهم من كهف بعد قرون من سجنهم به، وأسامة يتابعهم بهدوء ثم
تنتبه له عفاف تنظر إليه بفضول تقرب الطعام منه وكأنه لم يكن باستطا
تناوله، لكنه ابتسم لها بحنان بريت على يدها بلا كلمات، ومن ثم أخذ يأكل
بهدوء حتى شعر أنهم انتهوا تقريبًا من تناول ما أحضر، ليبدأ الحديث بهدوء

- تمام كده، نبدأ في الشغل ولا لسه حد عايز حاجة تاني؟

لم يتحدث أحدهم بكلمة ليزيح أسامة بقايا الطعام جانبًا وهو يخرج ورقًا
يبتسم لهم مشيرًا للجميع:

- اعرولي باللي وصلتم ليه.

وبالفعل، بدأ الجميع بإلقاء ما وصلوا إليه على طاولة أسامة، وكان أول من بـ
بالحديث هند، التي قالت بمساعلة وهدوء:

- اللي اسمه طارق ده مش شخص سهل أبدًا، لولا الملامة كنت فرك
إنه دكتور تشريح أو مباحث أو بحث جنائي.

نظر إليها بعدم فهم، لتبدأ في تحريك يدها وهي تصف له ما حدث أثناء حوارها
طارق:

@ART_OF_BOOK

- اسامة احنا لسه مش معانا تقارير الطب الشرعي، طارق قال حاجات كتير بخصوص الموضوع ده، لما واجهته إنه ممكن قتل سامر يكون انتقام منه هو أبوه بسبب الشغل مثلًا، قال وهو سرحان طب والرسالة؟ يعني كان فيه رسالة في مسرح الجريمة متعرفش عنها حاجة.

ضيق أسامة عليه لثوانٍ وهو يفرك ذقنه بهدوء يفكر في الأمر، هو لم يتجاهل مسلسلات الطب الشرعي أو التحقيق الجنائي، لكن الأمر أنهم لم ينتهوا منها بعد ليحصل على التقارير أو حتى لنسخة منها.

اكملت هند ببسمة غريبة:

- ومش بس كده، ده كمان قالي حاجة تانية غريبة، لما سألته ليه ميكولش واحد من صحاب أخوه اللي عمل كده، قالي انتِ شوفتي الجثة؟! الرصاصة اللي مضروبة فيها دقيقة ومش أي حد يصيبها بالشكل ده.

اتسعت عينا أسامة وقد كان يمتلك صورة من الجثة بالفعل، وبسمة غريبة ارتسمت على فمه وفكرة واحدة تدور في رأسه، عبرت عنها عفاف بصوت مرتفع، إذ يبدو أنها كانت تفكر فيها كذلك:

- ما شاء الله كل ده عرفه من بصته للجثة، هو لما اكتشفوا الجثة كان عنده عقل يحلل كل اللي حواليها أساسًا، أنا لو شوفت جثة حد قريب مني بالحالة دي كنت هفقد النطق مش هقعد أحلل.

هزت هند رأسها موافقة، لذلك هي انسحبت بمجرد أن وصلت لتلك النقطة لتفكر فيها جيدًا، هذا الرجل ليس سهلًا وغريبًا وكل ما يدور حوله كذلك.

@ART_OF_BOOK

اكملت قبل أن تلمس ما وصلت له ابضًا:

- آه وكمان عرفت في الشركة إن كان فيه موظف هناك التحرش بسري وإله فضحه وطرده ودمر مستقبله فالتحرش في الشركة، مش ازاي ممكن تفيدنا المعلومة دي ولا إيه؟!

هز أسامة رأسه بهدوء وهو يفكر في كلمات هند، بينما جلال يتابعهم بهدوء وهو يزال يأكل بعض الحلوى التي أحضرها أسامة لعفاف:

- بردضه عم أشرف قالي كده، قالي التامن دول ليهم أعداء كتير بس للأ كمان إن ساهر ملوش في الحوارات دي.

نظر إليه أسامة بانتظار أن يكمل حديثه:

- عم أشرف مين؟
- الجنايني في القصر.
- محققش مع بلال؟

زفر جلال بحنق وضيق وهو يلقي بعض المقرمشات في فمه:

- يا عم ده راجل كبير خلقه ضيق، أنا أساسًا مش بحب العواجيز يبكرنا مش طايقين دبان وشهم، ملحققش أكلمه لص كلمة هوب لقى العصب وقام وسابني فكملت التحقيق مع عم أشرف.

ضم أسامة ذراعيه لصدره بحنق وهو يدرك بغيظًا أن جلال تصرف بغباء مع بلال ليرفض التحقيق:

@ART_OF_BOOK

- وعم أشرف بقى فالك إيه؟
- اللي قولتلك عليه، وقالي يوم الجريمة كله كان إجازة في القصر ما عدا الحارس اللي على البوابة بس وقالي كمان إن اسمه راضي بس هو مختفي من وقتها ومحدش عارف بوصله:

انسحت عنها أسامة شيئًا فشيئًا وهو يبتسم بعدم فهم، بسمة جعلت عفاف تحدق فيه بعدم فهم:

- فيه إيه يا عو بسمتك دي مش طبيعية.

حرك أسامة عينيه بينهم وهو يخرج بسرعة هاتفه يحرك أصابعه بمهارة وسرعة كبيرة على الهاتف، وكأنه يتأكد من شيء في نفسه والجميع يتابعه بترقب وعدم فهم... لحظة، توقفت أصابعه وهو يرفع رأسه لهم ببطء يهمس بشك:

- أنت متأكد من المعلومة دي يا جلال؟ إن كان فيه حارس يومها على البوابة؟!

حرجلال رأسه بهدوء وهو يخبره ما سمع من أشرف بهدوء:

- أيوة عم أشرف قالي إنه كان راضي اللي موجود يومها لأنه كلمه العصر تقريبًا عشان يتأكد إنه محبس الضخ مقفول.

شعرت هند أن هناك شيئًا مريبًا يحدث، لذا تطوعت للسؤال:

- فيه إيه يا عو مالك؟

@ART_OF_BOOK

نظر إليهم أسامة لثوانٍ قبل أن يرفع هاتفه في وجه الجميع بشير للدلالة به لبلكب الثلاثة بأعينهم على الهاتف يحاولون فهم ما يشير له أسامة، والأخير وضع لهم الأمر أكثر يهتف بهدوء:

- يوم الجريمة وحسب التحقيقات والشهود مكانش فيه أسامتا حارس على البوابة.

@ART_OF_BOOK





نحن لا نحيا في هذا العالم وحدنا، فهناك عوالم أخرى تشاركك أنفاسك، عوالم تبصرك ولا تبصرها، عوالم تشعر بك ولا تفعل، لذا لا تتعجب إن اختفى شيء يخصك فجأة، لكن أن يختفي إنسان عن الوجود وكأنه لم يكن، هل هذا ممكن حتى؟

- مش فاهمة يا عويعني إيه مكانش فيه حراسة أساسًا؟

كانت جملة متعجبة من هند التي شعرت بوجود شيء مريب في الأمر، بينما جلال والذي لم يكن يعلم أن معلومة كتلك قد تفيدهم، شعر بالزهو والغرور وهو يضع قدمًا فوق الأخرى يرقبهم بعينين متفحصتين.

ليتحدث أسامة بجدية وهدوء:

- زي ما بقولك كده، مفيش حاجة اتذكرت في التحقيقات مع الشرطة إن كان فيه حارس أساسًا، ده غير إن التحريات اللي عملتها قبل ما أجي مش فاكر إنه اتذكر فيها أساسًا إن فيه عامل أو أمن هنا بالمعنى الواضح.

اتسعت عينا عفاف وهي تنفخ بخوف:

@ART_OF_BOOK

- بسم الله الحفيظ، يكونش عفريت يا عو؟
- أو ممكن يكون أشرف ده كداب أو متهيأله، ثم ازاي مذكرش حاجة كده في التحقيقات، فيه حاجة غلط، أصل سجلات الشغل هنا متبلش فيها أي عامل باسم راضي، فازاي؟

تدخل جلال يبرئ ساحة العم أشرف رافضًا أن يتهمه أحدهم بالكذب، لأن معنى أن يتهموه بالكذب أي أنهم يدحضون الدليل الوحيد الذي خرج به من يومه:

- لا لو سمحت مسمحلكش، عم أشرف أشرف من الشرف ولا يمكن يكدب، بعدين مش يمكن أنت اللي مدورتش كويس؟
- أنت بتدافع عنه ولا كأنه من باقية عيلتك ليه؟

تدخلت هند وهي تجيب بدلًا من جلال:

- جلال للأسف عنده حق يا عو، أصل الجنايني هيكدب ليه في معلومة زي دي؟ احنا محتاجين نحقق في الموضوع، لأن كون إن كان فيه شخص موجود في الليلة دي ومتذكرش حتى اسمه في التحقيقات دي لوحدها تعرفك إنه يعرف حاجة.

صمتت وأسامة صمت وهو يفكر في الأمر يحاول أن يزن الأمور داخل عقله، ومن ثم هز رأسه بهدوء شديد:

- تمام بكرة يا جلال هتكون شغلتك إنك تعرفلي تفاصيل أكتر عن راضي ده، متخرجش من القصر غير بأي حاجة تثبت إنه فعلًا موجود، رقم تليفون عنوان أي حاجة توصلنا ليه.

@ART_OF_BOOK

مزله جلال رأسه بيسمة واسعة وقد امتلأ صدره بالثقة، فها هو يضعهم كعادته على بداية الطريق، والله لا يعلم ما كانوا ليفعلون دون وجوده.

نظر أسامة صوب عفاف وهو يراها شاردة ليتحدث بهدوء وهو يربت على يدها بحنان:

- فوفا.
- نعم؟!
- مقولتيش وصلتي لإيه مع بسملة وحنان؟!

رمشت عفاف لثوانٍ وهي تحاول التركيز، تردد بهدوء ما حدث:

- مقابلتش أستاذة حنان، الست تعبت فجأة والدكتورفضل معاهم كتير وأنا قررت بكرة أكلمها، بس بالنسبة لبسملة البلت دي مربية جدًا.

نظر إليها الجميع بانتباه، لتبدأ بإخبارهم ما وصلت له وتقص عليهم ما سمعته قبل دخول الغرفة، وكذلك أخبرتهم بشكوكها حول ما كان بين بسملة ومساهر وما يحدث بين بسملة وشهاب.

دخلت هند وهي تبتسم بسخرية:

- يعني المفروض دلوقتي شهاب ده بيحب البلت اللي كانت هتبقى مرات ابن خاله؟! مثلث حب يعني؟!
- مربع.

والجميع صوب أسامة الذي ابتسم بسمة غريبة وقد لمعت عيناه بشكل غريب يهتف بجدية:

@ART_OF_BOOK

- مربع حب، ساهر كان متجوز واحدة تانية غير بسملة، واشك إنه كا
جواز رسمي.

ها هي الخيوط تتعقد ببعضها البعض، ولا أحد يفهم ما يحدث حوله، اللهكثير
متناثرة ولا علاقة بين الدليل والآخر.

فركت عفاف رأسها وهي تشعر بها ستنفجر في أي لحظة تلقي بها على الطاولة
أمامها تنفخ بصوت مرتفع:

- حوارات كتير في الموضوع، كل ده وبلتكلم في جثة واحدة أمال لو سلسلة
قتل.

مد أسامة يده بهدوء وهو يربت على رأسها بحنان ويده تتحرك دون شعور منه
لتخفف من الضغط على رأسها يتحدث بجدية وكأن يده تفعل ما اعتادت عليه:

- وده اللي كنت عايز أفكر فيه معاكم، احنا هنا عشان جريمة قتل ساهر،
بس الجريمتين اللي قبله حاسس إن ليهم علاقة بيه.

نظر إليه الجميع بحنق وكان القضية ينقصها تعقيدًا بالفعل ليزيد هو عليها المزيد
من التفاصيل، جثة واحدة ولا يستطيعون الوصول لدليل واحد على القاتل،
الآن يلقي لهم أسامة جريمتين أخريين.

رفعت عفاف رأسها ببطء عن الطاولة وأسامة ما يزال يساعدها في تخفيف وجع
رأسها تهمهم بهدوء:

@ART_OF_BOOK

- لما قولت إن شهاب اختفى، وقتها كانت بسملة خارجة من البيت، شاكة إنها راحت تقابله، ده غير إنها متوترة بشكل غريب مرة تقول إنها كانت هتتجوز سامر عن حب ولو سألتها كان تقليدي تقولك آه.

ابتسم لها أسامة بحنان:

- طب ما سهلة آهي يا فوقا، البنت مستنية ضغطة واحدة وتتكلم.
- أيوة بس هي كانت برة مصر في الوقت ده مع جدتها، رحلتها وصلت بعد الجريمة، وأنا اتأكدت من ده بالفعل.
- يمكن مش هي القاتل، لكن تعرف القاتل.

وعجدًا صمتت الأفواه وبدأت العقول في التحدث والكل يفكر فيما يمكن أن يحدث، يحللون الأدلة للوصول إلى أرض ثابتة.

وبعد هدوء طال لدقائق علا فيها ضجيج الرأس للجميع، تنهد أسامة وهو يحمل القلم الخاص به يدون كل ما وصلوا إليه من معلومات.

- شاهد لا أثر له.
- علاقة غامضة بين بسملة وشهاب وسامر ومارو.
- معرفة طارق الغريبة بالأدلة الجنائية قبل خروج التقرير.
- رسالة جوار جثة القتيل.
- خلاف طارق مع القتيل.
- الغرض الذي تخفيه بسملة.
- جريمة انتحار الموظف بشركة الخواجة.
- حارس البوابة وشهادة البستاني.

@ART_OF_BOOK

ترك القلم على الطاولة بعدما راجع ما وصلوا له مرة ثانية بشكل سريع، برلع عيليه للجميع ليبصر الفضول يتسيد نظراتهم، في ترقب للقادم، وأسامة ابلسم بسمة صغيرة هادئة:

- تمام، بما إن الموضوع بدأ يكبر والكل حرفيًا دلوقتي متهم في الجريمة احنا متلعبهاش بشكل تالي خالص.

***

كانت تجلس أمامه على شاطئ البحر بعيدًا عن الأعين منهارة في بكاء حار تشعران المكان يضيق بها، ألقيت في غياهب الجب ولا قافلة مارة لتنتشلها.

- بسملة ممكن تهدي شوية، أنتِ كده هتلبثي على نفسك جريمة أنتِ حتى ملكيش علاقة بيها.

ارتجفت يد بسملة وهي تحاول أن تتمالك نفسها ليخرج هو منديلًا يمده لها بهدوء يتحدث بصوت خافت حنون:

- حبيبتي امدي والله الموضوع مش مستحق كل ده.
- انت... أنت مشوفتش كانت بتبص ليا ازاي، انا حسيت إنها بتتهمني ومكنتش عارفة.... مكنتش عارفة أتكلم وارد على اسئلتها و...

صمتت قبل أن تنفجر في بكاء حار وهي ترتجف متحدثة:

- انا كنت مش عارفة أساسًا أنا بقول إيه، خايفة أكون بهدلت الدنيا ويتهموني ويقبضوا عليا و...

@ART_OF_BOOK

توقفت عن الحديث وهي تشعر به بجذبها لأحضانه بحنان وحب يربت عليها بكلمات الحزن كلماتها الناعمة في صدره يحاول أن يبعد عن رأسها كل تلك الأفكار السلبية:

- حبيبي اهدي ملهش شيء هيحصل متقلقيش أنا جنبك. بعنين أكيد مش هيهموك عشان بس كنت متوترة، حبيبني دي جريمة قتل يعني محتاجين دليل ملموس يثبت الجريمة. وأنتِ معملتيش حاجة أصلًا ومكنتيش في مصر وقتها. فاهمني.

رفعت عينها تنظر إليه بعينين حمراوين باكيتين ليبتسم لها بحب ورقة. يعنها بصوت قوي:

- محدش هيقربلك منك خطوة واحدة طول ما أنا فيا نفس، بكرة كل ده يخلص ونبعد عن كل الناس، هنبعد عن كل اللي أذونا تمام؟!

هزت رأسها وهي تضم نفسها له بقوة ترتجف، تحاول أن تهدأ بين أحضانه. بينما هو ربت عليها واسودت ملامحه بشكل غريب يشرد أمامه قبل أن ترتسم بسمة غريبة على فمه.

***

انهت من تجهيز نفسها للنوم، تبتسم لنفسها في المرآة تتفحص بشرتها تتأكد أنها خالية من أي عيوب، ونعم كانت عفاف ورغم اللامبالاة التي تدعيها، إلا أنها كانت أكثر النساء اللواتي يهتممن ببشرتهن.

@ART_OF_BOOK

تنفست وهي تنظر إلى المرآة ببسمة واسعة لا تصدق أنها وبعد كل تلك السنوات نالت نصيبها من السعادة متمثلة بأسامة، أسامة زوجها والذي يختلف تمامًا عن قائدها في الفريق.

شردت دون شعور وهي تتذكر لحظاتها الأولى معه حينما أبصرها يوم زفافهما ترتدي فستان زفافها، تهبط سلمًا طويلًا تتمسك بيد والدها وهو يقف في الأسفل بعينين متسعتين وفم مبتسم وبشدة، يحمل بين يديه باقة كبيرة من الزهور كما تحب هي، كانت تهبط ببطء صوبه وكل جزء من جسدها يرتجف من تلك اللحظة، وأسامة يقف على جمرٍ يلتظر أن تصل له ليختطفها من بين أنامل والدها، لمعت عيناها أخيرًا عندما وصلت لنهاية الدرج وكأنها تبصر أحلامها وقد تحولت لواقع.

تنفس أسامة بصوت مرتفع، يتجهز للتحرك صوبها، وبالفعل بدأ يتحرك ببطء ناحيتها، في حين أن جلال كان يحمل هاتفه وهو يتحرك أمامه بظهره كي يسجل تلك اللحظة بحماس شديد يراقبها بسعادة ويقفز أمام أسامة بشكل مضحك وكأنه وُلد ليكون مصورًا فوتوغرافيًا.

وأثناء تحرك أسامة صوبه بغية الوصول لعروسه، تعرقلت أقدامه بجلال الذي يقفز أمامه بغباء ليسقط الاثنان بقوة أمام الدرج وأمام الجميع، ولولا ستر الله عليهم لكان أسامة قتل جلال يومها، انفجرت عفاف في الضحك وقتها وهي تراقب هند تحاول جذب جلال من أسفل يد أسامة، الذي أفسد باقة الزهور فوق رأس جلال، وهو يصرخ بجنون:

- يا أخي ارحمني بقى، ارحمني حتى النهاردة.
- ده جزاتي إني حابب أعملك فيديو يعيش معاك العمر كله؟!

@ART_OF_BOOK

جذبته منذ بسرعة وهي تشير صوب عفاف التي لم تتوقف عن الضحك:

- خلاص يا عوسيهولي وروح للبنت اللي واقفة مستنية دي.

وبالفعل نهض أسامة يعدل ثيابه بضيق، قبل أن يرفع عينيه صوب عفاف يراها تضحك ليلمس فجأة ما حدث وهو يقترب منها سريعًا يمنحها باقة من جنون الزهور وبعض الورقات التي نجت من هجومه على جلال، يبتسم لها بحب كبير:

- بي القمر يا عفاف، حاسس قلبي هيقف من جمالك.

وعفاف التقطت منه باقة الزهور بثغر مبتسم ووجه مشرق وعيون عاشقة.

- عفاف حبيبتي أنتِ كويسة؟

استفاقت عفاف في وقتها تنظر حولها وكأنها للتو استوعبت أنها أطالت التواجد داخل المرحاض، تبتلع ريقها متحركة صوب الباب:

- أيوة يا أسامة أنا كويسة بس كنت بـ

فجأة توقفت عن الحديث حينما أبصرت باقة من الزهور تقابلها بمجرد أن خرجت من المرحاض وأسامة يحملها مبتسمًا، رفعت عينيها له بصدمة وهو قابلها بحب

- يا رب يعجبك.

منت عفاف يدها بصدمة وهي تلتقط منه الباقة ببسمة واسعة تضمها لها بحب فقد كانت تلك باقتها الثانية من أسامة أوربما الأولى بعدما خربت الأولى.

@ART_OF_BOOK

جذبته هند بسرعة وهي تشير صوب عفاف التي لم تتوقف عن الضحك:

- خلاص يا عوسيبهولي وروح لليلت اللي و اقفة مستلية دي.

وبالفعل نهض أسامة يعدل ثيابه بضيق، قبل أن يرفع عينيه صوب عفاف ير انها تضحك ليلمى فجأة ما حدث وهو يقترب منها سريعًا يمنحها باقة من جذورالزهوروبعض الوريقات التي نجت من هجومه على جلال، يبتسم لها بحب كبير:

- زي القمر يا عفاف، حاسس قلبي هيقف من جمالك.

وعفاف التقطت منه باقة الزهوربثغرمبتسم ووجه مشرق وعيون عاشقة.

- عفاف حبيبتي أنتِ كويسة؟

انتفضت عفاف في وقفتها تنظر حولها وكأنها للتو استوعبت أنها أطالت التواجد داخل المرحاض، تبتلع ريقها متحركة صوب الباب:

- أيوة يا أسامة أنا كويسة بس كنت بـ

جأة توقفت عن الحديث حينما أبصرت باقة من الزهور تقابلها بمجرد أن نرجت من المرحاض وأسامة يحملها مبتسمًا، رفعت عينيها له بصدمة وهو قابلها حب:

- يا رب يعجبك.

ت عفاف يدها بصدمة وهي تلتقط منه الباقة ببسمة واسعة تضمها لها بحب د كانت تلك باقتها الثانية من أسامة أوربما الأولى بعدما خربت الأولى

@ART_OF_BOOK

- أسامة دي عشالي؟!
- لا عشان جلال خلي بالك منها عشان أديهاله الصبح.

رفعت عينيها له ليضحك وهو يمد يده يداعب خصلاتها الحبيبة:

- لو مش ليك لمين؟! ليا مين غيرك أجيبله ورد يا فوفا.

ارتجفت عفاف من كم المشاعر وهي تلقي نفسها بين أحضانه بحب، بينما تنفس هو براحة يربت عليها بحب:

- عجبتك؟!
- جدًا، دي تاني واحدة بعد بتاعة الفرح.

اتسعت بسمته قبل أن تتلاشى بتكملة حديث عفاف:

- ده لو اعتبرنا في الفرح كان فيه بوكيه، بعد ما نزلت بيه فوق دماغ جلال عشان الفيديو الجامد بتاعه.

ختمت حديثها تنفجر في الضحك وأسامة اشتد غضبه وهو يتذكر ذلك الموقف الذي تعرض له في زفافه:

- متفكرنيش، في الآخر طلع الأستاذ مصورلي مناخيره من كل الزوايا ويقولي فيديو للعمر.

ازدادت ضحكات عفاف أكثر وهي تحاول التنفس من بين ضحكاتها تتذكر اللحظة التي اكتشف فيها جلال أنه لم يكن يصور سوى أنفه طوال الوقت متحججًا أنه توتر حينما أبصرها تهبط مع والدها ولمسي قلب الكاميرا.

@ART_OF_BOOK

رائيها أسامة وهي تضحك ليبتسم عليها، وفجأة شاركها الضحك دون شعور. لتنقضي ليلتهما ما بين ضحكات وذكريات قريبة.

****

وبأتي الصباح حاملًا على كفته المزيد والمزيد من الأسرار التي تبدو أن لا نهاية لها؛ فها هو جلال يدور خلف العم أشرف يحمل له على كتفه سلة بها العديد من البذور كي ينثرها معه لربما يخرج منه ببعض المعلومات المفيدة في هذه القضية الغريبة.

- وبعدين قام الواد ابني حالف ميت يمين ما هو قاعد ولا متعلم في البلد، وقال إيه مش هدرس غير في الجامعة اللي في القاهرة.

جلس جلال أرضًا مقابل أشرف والفضول بدأ يأكله من الداخل، ينثر البذور ويتأكد أنها توغلت في التربة المناسبة:

- وبعدين يا عم أشرف عملت إيه في الحوارده، وكل شغلك كان في البلد؟!
- عملت إيه يعني يا ابني، ما أنا قدامك أهو، والأرض اللي كنت بزرعها كانت بالإيجار، جمعت الكام قرش اللي كانوا محايا وجيت هنا أجرت بيت نقعد فيه أنا والولد والحكومة وكل فترة بنزل البلد نطل عليها.
- الحكومة! أنت ساكن في مديرية الأمن ولا إيه؟

نظر إليه أشرف بعدم فهم وجلال ينتظر منه توضيحًا حول ما سمع:

- مش بتقول عايش مع الحكومة؟

@ART_OF_BOOK

انطلقت ضحكات أشرف وهو ينفي برأسه ما وصل لجلال:

- لا يا ابني الحكومة دي يعني المندام مراتي.

هز جلال رأسه بهدوء وهو يتابع بن أشرف التي كانت تبدو خبيرة في شؤون الزراعة وكأنه ولد في تربة خصبة وتعلم الفلاحة منذ كان زبجوت في مرحلة التكوين.

أمسك جلال بعض البذور أمامه يحركها بين كفه متحدثًا بفضول:

- قولي يا عم أشرف، أنت لما قولتلي امبارح إن اللي كان بيحرس لبن وقتها هو راضي، متأكد من الموضوع ده؟

رفع له أشرف نظره وقال بنبرة عادية:

- إلا متأكد، بقولك كلمته بنفسي قالي إنه هيروح يتأكد من المحبس وكل موجود هناك.

- طب وأنت ليه مقولتش في التحقيق إن كان فيه بواب يومها؟!

رفع أشرف عينيه صوب جلال بتعجب:

- تحقيق إيه يا بلشا أنا من وقت ما رجعت محدش اسأشا كلمني ولا حتى معايا خالص.

رفع جلال حاجبه وبدون أن استلناء أشرف له جعله يشعر بالحنق، كيف لم يحقق معه أحدهم وهو حقق معه بالفعل، هل يستهين به وتحقيقه؟!

لكن يبدو أن أشرف لم يتنبه لكل ذلك وهو يرفع رأسه صوب جلال كي يأخذ منه باقية البذور، لكن فجأة انقض وهو يبصر جلال يتناول البذور بشرود.

@ART_OF_BOOK

- بتعمل إيه يا بيه، بتاكل الهدوم حبة، كده متتنيت يعني؟

مش بتوه جلال ولم يهتم بكل ذلك، يقوم بالتفكير في الخطوة التالية، يحاول أن يجد مدخلًا لها يحصل منه على أي معلومة عن هذا الراضي والذي كان كشبح عليه الحصول على تلك المعلومات بشكل غير مباشر لا يثير التساؤلات، شكل متواري وذكي لا يليق له أشرف.

- بقولك إيه يا عم أشرف ما تديني رقم راضي كده وعنوانه لو تعرفه عشان عايزة في مصلحة.

***

توقفت بسيارتها التي استأجرتها أمام المشفى تصدر صوتًا مزعجًا كعادتها، تتحرك بسرعة داخل المشفى دون حتى أن تتوقف لتبصر نتائج قيادتها المشهورة بالعادة.

تسير في الممرات وهي تبحث بعينيها عمن يرشدها صوب ما تحتاجه لتبصر ممرضًا يحمل بعض الملفات ويتحرك في المكان لتوقفه بهدوء:

- لو سمحت الآنسة فين الدكتور خالد؟!

توقف الممرض يشير صوب نهاية الممر بهدوء:

- آخر الممر على الشمال.

@ART_OF_BOOK

ابتسمت له تتحرك في الممر بهدوء شديد وهي تتجهز نفسيًا للتعامل مع هذا المريض والذي كان بداية كل شيء، رجل غريب مريب لا تستطيع سبر أغواره، جامد التعابير وكأنه نُحت من الجثث التي يعمل عليها طوال اليوم.

وصلت أمام مكتبه تقرأ الاسم المدون عليه بهدوء (دكتور/ خالد المصري).

ها نحن مجددًا خالد العزيز.

طرقت الباب تنتظر رده ليصل لها صوته الرخيم الذي كان سابقًا عامل تشتيت قوي لها وما زال ولكن هي لن تقول ذلك أو حتى تفكر به بينها وبين نفسها، فتحت الباب بهدوء وهي ترسم على وجهها بسمة صغيرة ترتدي ثوبًا غير رسمي كما اعتادت، تراه منكبًا على بعض الملفات أمامه للشرد به، لم يتغير به أي شيء سوى زيادة التضاب ملامحه.

- دكتور خالد صباح الخير.

شعر خالد فجأة أن ضربات قلبه توقفت للثانية، ذلك الصوت يدركه ويعلمه جيدًا، حاول أن يتذكر ما وصل لعقله، رفع عينيه ببطء ليتأكد مما يحاول أن يتذكره.

رفع حاجبه بصدمة مما يبصر وقد ارتسمت بسمة غريبة على فمه:

- هند؟!

فتحت هند ذراعيها له تبتسم برقة لا تلائمها ولا يصدقها هو:

- وحشتك مش كده؟!

@ART_OF_BOOK

نهض خالد من مقعده وهو ينظر إليها نظرة جعلتها ولأول مرة تتوتر وأمام رجل، لكن خالد لم يكن أي رجل في الواقع.

ابتسم بسمة غريبة أمام عيني هند التي حاولت ادعاء أن بسمته تلك لا تعني لها الكثير، هي تخطت كل هذا منذ ثلاث سنوات.

تتحرك أمامه حتى وصلت أمام مكتبه تجلس بهدوء تشير له بنبرة مستفزة:

- اتفضل يا دكتور واقف ليه؟!

نظر خالد إل يدها الثوان قبل أن تملأ عيناه نظرات ساخرة، يجلس بهدوء أمامها يضع قدمًا فوق الأخرى يردد بهدوء شديد:

- نورتي المشرحة يا آنسة هند.
- مأمورة بجثتها يا دكتور خالد.

صمتت الثوان، ثم أخرجت تقريرًا بهدوء شديد وتصريح استطاع أسامة أن يستخرجه في وقت قياسي.

- محتاجة مساعدتك يا دكتور.

نظر خالد صوب التصريح الذي تحمله، ينتزعه منها يقرأه بجدية بعينين هادئتين باردتين، ومن ثم نظر إليها بهدوء يلقي التصريح أمامها:

- لسه التقارير مخلصتش بخصوص الجثة دي، التشريح المبدأي خلص ومنتظرين تقارير المعمل الجنائي.
- أيوة بس أنا مش عايزة تقرير يا لودي.

@ART_OF_BOOK

أظلمت ملامح خالد وهو يحرك عيليه بعيدًا عنها يحاول ان يتجاوز استفزازها هذا، يتنفس بصوت مرتفع ليهدأ:

- والالسة عابزة إيه يا ترى؟ مش آلسة برضه ولا بقيتي مدام؟

اشتعل وجه هند وهي تتنفس بصوت مرتفع، لكنها أجابت بهدوء وهي تضع لنفسها فوق الأخرى تتجاهل سؤاله المعلق:

- هتساعدني ولا أشوف غيرك يا خالد؟!
- وانتِ لو فيه غيري هيساعدك مكونتيش جيتي لبا يا هند.

ونعم هذا كان أحد أسباب كرهها لخالد، انه كان يفكر ويقرأها بكل سهولة، وهي تكره الرجال الأذكياء، خاصة لو كان هذا الرجل هو خالد العزيز.

- عندك حق، وبما إن اللعب على المكشوف هتساعدني ولا لا؟

تنهد خالد بصوت مرتفع؛

- عابزة إيه يا هند؟!
- عابزة أشوف الجثة.

تحرك داخل النادي لنفسه على أمل أن يجد اليوم شهاب في مكانه، ليس الأمر انه لا يمكنه مقابلته مثلًا بالقصر، لكنه يفعل ذلك لشيء في نفسه، يتحرك في المكان بمال من يقابله ابن يمكن أن يجد شهاب، والكل إجابته واحدة "صالة التيشان".

@ART_OF_BOOK

وفي طريقه ابصر مجندًا أصدقاء سامر انفسهم يجلسون في المكان نفسه وكأن لا متزل لهم، ابتسم بسخرية وهو يتحرك صوب منطقة التصويب، وبمجرد أن رمقها أخذ يبحث عن شهاب، ليبصره يعيليه في الكابينة الأخيرة يقف معطيًا له ظهره يلقي أذنه بوائي لأجل أصوات الرصاصات الصاخبة مرتديًا نظارة خاصة بالرماية.

التزب منه بهدوء يراقبه دون أن يحدث صوتًا، وعيناه تفحصان ما يفعل بهدوء وانتباه شديد، يضم يديه لصدره وعيناه تضيقان وهو يبصر طريقة تصويب شهاب الدقيقة.

ولا يسمع سوى جملة هند التي رددتها على مسامعه سابقًا.

"لما سألته ليه ميكولش واحد من صحابه اللي عمل كده، قالي انتِ شوفتي الجثة؟! الرصاصة اللي مضروبة فيها دقيقة ومش أي حد يصيبها بالشكل ده."

ردد أمامة الجملة وهو يطيل النظر في دقة تصويب شهاب المخيفة:

- الرصاصة اللي مضروبة فيها دقيقة ومش أي حد يصيبها بالشكل ده، مش أي حد غير حد محترف ليشان.

بعد دقائق طويلة انتهى شهاب من دورة التصويب الخاصة به يخلع أدواته تاركًا إياها على المنصة أمامه ومن ثم استدار بهدوء ليتحرك صوب حمام المساحة ليتنحى من دروس مساحته، لكنه تفاجأ بأسامة يلتظره بهدوء والذي بمجرد أن ابصره ابتسم له:

- فاضي شوية نتكلم؟

@ART_OF_BOOK

وعلى عكس المتوقع لم يتفاجأ شهاب أو يهتز له شعرة واحدة، بهز رأسه بهدوء شديد يشير لأسامة أن يسبقه للخارج وسار معه حتى وصل لمكان خاص بالجلوس والذي كان بالمصادفة جوار أصدقاء ساهر، ليطيل أسامة النظر إليهم وينتبه لـ شهاب.

- تعرفهم؟!

انتبه شهاب للسؤال وهو يفتح زجاجة المياه أمامه بهدوء يرتشف منها ومن ثم أغلقها بهدوء يتحدث بنبرة عادية:

- مش أوي، كانوا صحاب ساهر، بس مكالش ليا كلام واحتكاك قوي بيهم
- اشمعنا مع إن اللي عرفته إنك كنت قريب جدًا من ساهر، يعني المفروض طالما قريب منه تكون قريب من صحابه اللي بيقضي معاهم أطول وقت.
- مش شرط، أنا كده كده مكنتش بستريح ليهم أساسًا، مش مظبوطين كده وتصرفاتهم غير مسؤولة أبدًا.

هز أسامة رأسه بهدوء وهو يستمع له، ومن ثم تحدث مبتسمًا وكأنه يثني عليه بشكل اعتيادي:

- صحيح شوفتك وأنت بتلعب تيشان، ما شاء الله شكلك محترف في الموضوع.

ابتسم شهاب وهز رأسه وهو يشرد في المكان حوله:

@ART_OF_BOOK

- امم عامة نقدر نقول إن النيشان ده الرياضة الرسمية لعيلة الخواجة، واخديها ورالة زي ما بيقولوا.

بص أسامة بكل حواسه لكلمات شهاب بتساءل بصوت حاول صبغة بنبرة تفاؤلية أكثر منها مشككة:

- يعني قصدك العيلة كلها بتلعب نيشان؟!
- تقريبًا، حتى ساهر كان أشطر مني في النيشان.

إزاي أسامة، بدعي التفكير وبدأ يسأله بهدوء:

- يوم الجريمة ممكن تقولي كنت متواجد فين؟
- كنت سهران مع العيلة عشان بنحتفل بالفرح اللي مكملش ده.
- العيلة كلها كانت موجودة؟!
- كلنا ما عدا العريس كان في حفلة مع صحابه رغم إني حاولت أقنعه يجي معانا بمكن كان زمانه لسه محانا لو كان سمع كلامي، وكمان بسملة وتيتة كانوا مسافرين، وخالو يسري كان عنده شغل مع طارق بس حصلونا بعدين.

نعم هذا كان شيئًا يسمعه للمرة الأولى ولم يذكره أحدهم سابقًا:

- يسري وطارق مكانوش معاكم من بداية الليلة؟
- لا كانوا فيه اجتماع مهم في الشركة وقالوا هيحصلونا وفعلًا حصلونا.
- تفتكر كان امتى الكلام ده؟
- مش فاكر أوي يمكن على بعد المغرب بشوية أو قبل العشاء بخمس دقايق، مكنتش مركز أوي.

@ART_OF_BOOK

إجاباته كانت ثابتة وبسيطة وكأنه يدرك أي نوع من الأسئلة سيطرح أسامة، ومن كان مثيرًا للريبة، الشاب لم تظهر عليه علامة توتر أو تفكير حتى، بل كان يصلح لإلقاء الإجابة في وجه أسامة وهذا كان سببًا آخر يوضع على قائمة الأسباب التي تؤهل شهاب ليكون متهمًا في هذه القضية.

***

- ألف سلامة عليكِ يا حاجة حنان، إن شاء الله عدوينك يا رب، كنت عايزة أقابلك امبارح بس عرفت إنك تعبتي.

تنفست السيدة حنان بصوت منخفض وهي تربت بكفها على رأس بسملة التي كانت مستقرة على قدمها تحفل بلحظات سلام لا تشعر بها سوى مع جدتها الحبيبة والتي تولت تربيتها بعدما رحل والديها عن الحياة في عمر صغير.

- الحمد لله على كل حال.

شعرت عفاف بأنها تثقل على السيدة الحديث، لكنها لا تستطيع تجاوز التحقيق معها، تهتف بصوت خافت مخافة أن تزعج بسملة التي يبدو أنها غفت دون شعور:

- شكل الالسة بسملة متأثرة أوي بموت الأستاذ سامر، الله يكون في عونها، شكلها كانت بتحبه أوي.

والبسمة الغريبة التي ارتسمت على فم حنان كانت مستهزئة ساخرة بلا معنى:

@ART_OF_BOOK

- بسملة محبلش سامر، هي بس كانت متعودة عليه، وجدهم شافهم مناسبين لبعض لقرروا يجوزهم.

.تفكري مين ممكن يكون ليه مصلحة في قتل أستاذ سامر؟

اتلات عينا حنان بالدموع وهي تتمالك نفسها وبدها ما تزال تتحرك على خصل بسملة دون شعور:

- معرفش، هو سامر مكانش قريب مني عشان أعرف، بس ممكن... معرفش بجد مين اللي ممكن يقتل سامر بالذات، اسمعنا هو رغم إنه كان الوحيد اللي بعيد عن كل دوشة العيلة.

كانت تتحدث بصدمة، ومن بعدها نظرت صوب عفاف لتوان تهمس بصوت منخفض:

- ممكن يكون مثلًا اختلف مع حد من صحابه، أنا عمري ما ارتحت لحد فيهم، كانوا مش من مستواه وتصرفاتهم كلها غلط في غلط، سامر قبل ما يعرفهم كان بريء جدًا وملوش في أي مشاكل، ومن وقت ما اتصاحب عليهم وهو...

صمتت لتوان تتلفظ بصوت مرتفع، تمسح وجهها بيد مرتعشة وهي تهمس بصوت مقهور تكبت به غصة بكاء:

- سامر كان أطيب واحد في أحفادي وملوش في أي مشاكل بس من وقت ما اتصاحب عليهم وكان كل يوم يدخل علينا بمصيبة.

@ART_OF_BOOK

نظرت إليها عفاف لثوانٍ قبل أن تهتف بصوت خافت وهي تنظر صوبه بـ
تتأكد أن الأخيرة نائمة أو على الأقل لا تشعر بهما، تلقي بمقابلتها في وجه م

- مصيبة زي جوازه من سارة صاحبته؟

اتسعت عينا حنان بقوة وقد شحب وجهها بقوة واشتد ارتجاف يدا
بسرعة صوب بسملة التي لم تبدِ أي ردة فعل تدل على وعيها بما يحدث
عينيها صوب عفاف تتحدث بصوت حاولت جعله متماسكًا:

- مين... مين اللي قالك كده؟!

***

مالت تجلس نصف جلسة تقرب وجهها من الجثة وهي تر اقبه بعينين متسع
تتأكد من كلمات طارق التي نطق بها في لحظات عدم وعي منه.

الرصاصة كانت مستقرة في مكان دقيق دون اهتزاز طفيف حتى وكأنها تعرف
مكانها.

رفعت عينيها صوب خالد الذي ير اقبها وهو يضم يديه لصدره بهدوء شديد
وعيناه تر اقبها بنظرات غامضة، لتتساءل بصوت مرتفع وكأنها تجبره على
مشاركتها التحليل:

- تفتكر إيه احتمالية إن يكون القاتل أول مرة يمسك فيها مسدس هو
وقت القتل؟

رفع حاجبه بمركزته وهو يردد بهدوء:

@ART_OF_BOOK

- احتمالية ضلهلة بس مش مستبعدة، الضربة كانت مباشرة في منتصف القلب وكان اللي ضرب الرصاصة متعود على الموضوع، لكن فيه بعض العلامات اللي كانت بتنفس الدقة وكان القاتل أول مرة يمسك المسدس عادي.

- وإيه هي الحالات دي؟

- حالات الصدفة، وقت الجسم بيكون فيه نسبة الادرينالين عالية في الجسم فالقاتل مش بيكون واعي باللي بيعمله وبيصيب هدفه بدون ارتعاش، بس ده احتمال صغير جدًا.

هزت رأسها وهي تعتدل في وقفتها بهدوء شديد وأخرجت هاتفها لتلتقط بعض الصور لكامل أجزاء الجثة:

- هل بالصدفة لقيتوا أي شيء مع الجثة، أي غرض، رسالة مثلًا؟

نظر إليها بعدم فهم، يلقي برأسه الأمر وهو يوضح لها الموضوع ببساطة:

- مكانش فيه أي شيء مع الجثة، مجرد أغراضه الشخصية.
- بصمات؟

لف خالد برأسه بهدوء وجود أي نوع من البصمات لتلتفس هند بصوت مرتفع وهي تحاول أن تتذكر أي شيء قد يساعدهم في الأمر.

وخالد طوال هذه اللحظات يراقبها باهتمام شديد وشرود غريب، قبل أن يتذكر شيئًا ليتحدث لها وهو يلتفت ليخرجها من شرودها:

@ART_OF_BOOK

- صحيح مش عارف إذا كانت المعلومة دي ممكن تساعدك اولا، بس ج
القتيل لما لقيوها كان مسرح الجريمة فيه آثار حذاء رجالي مدس
وكمان الأثر ده فيه جزء منه على يد القتيل.

نظرت إليه بعدم فهم ليوضح لها وهو يكشف الغطاء عن يد ساهر يشير لجز
باهت صغير لا يُرى بالعين المجردة إلا عند الاقتراب يتحدث بجدية:

- بقايا دماء بين خلايا الجلد، ولو ركزتي فهي هتلاقي كأنها مقدمة حلا
مطبوع على الجلد، نفس الآثار على أرض الحمام.

اتسعت عينا هند وقد لمعت مقلتاها بهدوء، تلتقط صورًا مقربة لما ترى:

- الدم ده بتاع القتيل؟!

هز رأسه بنعم وهي ظلت تراقب تلك البقعة بفضول شديد، تبلل شفتيها وهي
تفكر في شيء ما قبل أن تردد بتفاجؤ وهي تتحرك صوب رقبة القتيل تشير لجزء
صغير منه:

- إيه ده؟

نظر خالد حيث تشير ليجد أنها تشير على خدش بارز على رقبته، ترفع عينيها لخالد
الذي قال بهدوء:

- خدش أظافر حديث، تم تقريبًا قبل القتل بساعة
- خدش! تعرف ده خدش إيه؟
- ما قولتلك خدش أظافر.

@ART_OF_BOOK

ابتسمت بسمة غريبة وهي ترفع عينيها له تكمل كلماته:

- أظافرست، خدش أظافرست يا خالد.

***

خرج من القصر وهو يرتجف بصدمة يتحرك جانبًا يحاول تمالك نفسه، يتنفس بصوت مرتفع يرفع هاتفه يحدق لما وصل له.

كان جلال يشعر أنه يحلم، حتى أنه شكك في النتائج التي وصل لها، فبمجرد أن حصل على رقم الهاتف أراد أن يسبق الجميع بخطوات ويريهم مهاراته فأرسل الرقم للرجل الذي يساعدهم في بعض الأحيان للوصول لبيانات الاتصال لبعض الأشخاص أثناء التحقيق يطالبه ببيانات صاحب الرقم، وبالفعل وصلت له البيانات بعد ساعتين تقريبًا، رفع هاتفه يحدق بالبيانات مجددًا.

سارع بطرق بعض الأرقام على هاتفه، ومن ثم رفعه على أذنه يوقف سيارة أجرة لتأخذه صوب الفندق ينتظر وصول الباقيين.

مرت دقائق ولا إجابة من الطرف الآخر ليعاود الاتصال بإلحاح مجددًا.

وعلى الجانب الآخر، كان أسامة يتحرك بسيارته خارج النادي، يسمع رنين الهاتف، لكنه تجاهله مؤقتًا حتى يخرج للطريق ويجيب، لكن استمرار الرنين جعله ينفخ بضيق وهو يرفع يجيب بحنق:

- إيه يا جلال مش عارف تصبر لما أخرج من أم الزحمة دي؟!

@ART_OF_BOOK

لحتم حديثه يضرب بوق السيارة بقوة مشيرًا بكفه لمن أمامه كي يتحرك. وسيد جلال يأتيه من الطرف الآخر وهو يردد:

- أسامة أنا جبت رقم راضي اللي كان مع عم أشرف.
- طب عظيم هاته واستناني ونتقابل في مطعم الفندق و....

توقف عن الحديث وهو يسمع صوت جلال يصل له مرتجفًا:

- أنا كلمت مختار عشان يجيبلي بيانات الرقم ده قولت أتذاكى واسبق بخطوة.

ابتسم أسامة سعيد بالمرحلة التي وصل لها جلال بالفعل، يتحدث بفخر:

- طب والله جدع يا جلال وفرت علينا شوية و...

قاطعته نبرة جلال وهو يردد بنبرة تبدو باكية لأسامة يلطم وجنته بكفه الآخر:

- وربنا ربنني ما عملت كده.

لم يفهم أسامة ما يحدث:

- فيه إيه يا جلال، ماله الرقم؟!

أجابه جلال بخوف وصوت مهتز:

- الرقم طلع فعلًا لراجل اسمه راضي عوض الحسيني، بس...
- بس إيه يا جلال! ما تنطق فيه إيه يا ابني؟

وكلمات جلال التي وصلته جعلت ينظر أمامه بصدمة:

@ART_OF_BOOK

- راضي عوض الحسيني ده ميت من ٢٠١٧ يعني مات وشبع موت يا عو.....

***

@ART_OF_BOOK





وحسبك أن الأسرار دُفنت، لكنها فقط متوارية خلف جدار الحقيقة، تنتظر لحظتها المفضلة للظهور، اللحظة التي سيكون ظهورها بها مدويًا كوقع قنبلة نووية.

وهي ظنت أن سرهم الصغير سيظل مخفيًا أبد الدهر، السر الذي عملت مع زوجها والجميع لتخفيه عن الأعين كي لا يُفتضح أمر عائلتهم، لكن يبدو أن لا أسرار تظل أسرارًا لوقت طويل.

نظرت بحركات متوترة صوب بسملة. ومن ثم رفعت عينيها صوب عفاف تحاول أن تتجاوز تلك النقطة:

- مين قالك كده؟
- مصادر خاصة.

استشاطت حنان بقوة وقد كانت مقيدة بوجود بسملة تنظر إلى عفاف نظرة غضب قوي لا تدري عفاف أكانت منها، أم من الموقف برمته.

صمتت وهي تربت بقوة بعض الشيء على كتف بسملة:

@ART_OF_BOOK

- بسملة... بسملة حبيبتي اصحي.

لكن بسملة أخذت بعض الدقائق لتعي ما يحدث حولها، تفتح عينيها بعدم انتباه تحاول أن تستوعب ما يحدث حولها، لكن الضباب الذي غشى عينيها بعد الاستيقاظ جعلها تفرك وجهها كثيرًا وحنان تبتسم لها بسمة رقيقة:

- روحي يا حبيبتي نامي في أوضتك عشان رقبتك متيبسش.

نظرت إليها بسملة لثوانٍ تحاول أن تعي ما يحدث، ومن ثم أومأت تميل على جدتها تقبل خدها بحنان متحدثة بصوت أبح من النوم:

- أوك تيتة، تصبحي على خير.

تحركت صوب الخارج بخطوات مترنحة، وكأنها خرجت من غمرة سكروليس من نومة، تتحسس الطريق أمامها وعفاف تتابعها بعدم فهم تتساءل بصوت مرتفع بعض الشيء:

- هي كويسة؟

لتوضح لها حنان بهدوء:

- بسملة عندها حساسية والتهابات في عينها عشان كده لما بتصحى من النوم بيكون فيه زي شبورة على عيونها.

هزت لها عفاف عليها وهي تسمع صوت حنان تضيف بجدية:

- ودلوقتي نرجع لموضوعنا، وصلتي ازاي لمعلومة زي دي؟

@ART_OF_BOOK

استدارت لها عفاف تمنحها كامل التركيز لتعتدل حنان في جلستها رغم ألمها المرضية التي تراها عفاف، تغمض عينيها لثوانٍ وهي تحاول التنفس بشكل صحيح:

- البنت دي وشليتها هما اللي دمروه، ودخلوه في حوارات هو ملوش فيها. دبسوه في جوازته من البنت دي، وهو لأنه كان ساذج حصل اللي حصل.

كانت تحاول التبرير لتصرفات حفيدها أمام عينيّ عفاف، التي كانت تتابع ما تتحدث به، محاولةً الخروج بأيّ دليل من كلماتها.

- مش فاهمة ازاي دبسوه في جوازة هو مش عايزها؟! هو مش بيحب البنت دي؟!
- لا ولا كان يحرفها أساسًا، دي صاحبة زميله رؤوف تقريبًا، البنت حالتها الاجتماعية على قدها وصاحبة رؤوف من الجامعة، ومرة واحدة بدأت تقرب من سامر، وتحاول ترمي بلاها عليه، لغاية ما...

صمتت وهي لا تدري إن كان يجب أن تقول ما ستقوله، أم تحتاج إلى التفكير في البداية، فها هي تحمرح وتلطق بما سحت لإخفائه، شعرت في هذه اللحظة بحاجتها الماسة إلى التحدث مع زوجها والذي كان ناصحها طوال الوقت.

تحدثت عفاف وهي ترى انسحابها من الحوار والذي لن تقبل به.

- لغاية ما إيه يا أستاذة حنان؟ أرجوكِ لو تعرفي أي حاجة ممكن تساعدنا قوليلي عشان خاطر حفيدك ميضعش.

رفعت حنان عيليها صوب عفاف وقد بدأت تبكي دون شعور بقهر:

@ART_OF_BOOK

ومن اوعدهي، إن اللي هقولك عليه ميتذكرش في التحقيق عشان سمعة حلوة، مش عايزة اسمه يتذكر بالسوء بعد ما مات كفاية اللي حصل ليه.

كانت تتحدث وهي تتمسك بكف عفاف التي تنفست بصوت مرتفع تهز رأسها دون كلمة، بينما حنان ابتلعت ريقها وهي تهتف بصوت ضعيف بعض الشيء:

- كانت حفلة عيد ميلاد واحد فيهم في شقته، واتعزم عليها ولما راح هناك شهر معاهم عادي وفجأة حس إنه دايخ ووقع منهم ولما صحي لقى نفسه معاهما في سرير و...

صمتت وهي تشعر أنها غير قادرة على الإكمال، وقد ارتجفت يدها مما تتحدث به:

- سامر ملوش في كل ده، هو ممكن يكون طايش شوية بس.. هو كان بيحب بسملة.

رفعت عينها تنظر إلى عيني عفاف تهتف بصدق:

- يمكن مشاعر بسملة ناحيته كانت محايدة بس هو عمره ما حب غير بسملة، يمكن ده السبب الوحيد اللي خلاني أقنع بسملة تقبل الجواز منه، لأنه بيحبها وهيحافظ عليها.
- تفتكري ممكن تكون البلت دي ليها يد في اللي حصل لما عرفت إنه هيتجوز؟!

هزت حنان رأسها بعجز لا تفهم ما يحدث حولها تلقي رأسها على الوسادة خلفها للتلمن بشكل رتيب:

@ART_OF_BOOK

- معرفش إذا كانت أسامتا تقدر تعمل كده أو لا، بس اللي عمل كده حد كان عارف إن حفيدي في القصر لوحده اليوم ده، ومحدش كان يعرف الموضوع ده غير اللي كان معاهم.

***

توقف بسيارته أمام الفندق يتحرك صوب الاستقبال حيث أخبره جلال أنه ينتظر وهو ما يزال لا يستوعب ما قال جلال له في الهاتف، وبمجرد أن وطأ منطقة الاستقبال حيث يجلس جلال، أبصر الأخير يلتفض من مكانه وهو يتحدث بصوت مرتفع دون وعي:

- بقولك إيه يا عولو متدخل في حوارات العفاريت واشتاقا اشتوت ده فانا برة المهمة دي، أنا مليش في الدجل و.....

ولم تكتمل كلماته التي جذبت أنظار الجميع من حوله، إذ ارتفعت الهمسات، بعدما كبّت أسامة بقيّة حروفه بيده، هامسًا بصوتٍ مختاظ:

- اسكت يا مصيبة، اسكت هتوديني في داهية، اتحرك معايا، اتحرك يا زفت.

كان يدفعه بغضب وجلال يحاول أن يفلت منه ويصرخ بجنون مما علم:

- والله ما ليها فيه أنا مش....

@ART_OF_BOOK

لكن أسامة كان يكمم فمه كلما حاول حتى أن يتنفس بدفعه صوب المصعد، وبمجرد أن أغلق المصعد عليه دفعه أسامة بقوة صوب الجدار وهو يرفع يده بتهديد:

- قسمًا بالله نفس واحد منك هعلقك، سامع هعلقك يا جلال.

صمت جلال يضع يده فوق فمه حينما أبصر غضب أسامة الواضح والذي كان ينبئه بوضوح أن أي كلمة ستكلفه رأسه في هذه اللحظة، أما عن أسامة فتنفس بقوة يحاول أن يهدأ قبل الوصول للطابق الذي يقطن به في الوقت الحالي كي لا يتخلص من جلال قبل الحصول منه على المعلومات التي يحتاج إليها.

فُتح باب المصعد ليخرج بسرعة جاذبًا جلال من ثوبه خلفه يفتح باب غرفته ومن ثم أغلقه خلفه بقوة ينظر والشر في عينيه صوب جلال.

ليتراجع الأخير على الأريكة وهو يضم مقدمة ثوبه بريبة من نظرات أسامة:

- إيه بتبص كده ليه؟ والله لو قربت مني لأصوت وألم عليك كل اللي..

قاطعه أسامة وهو يضرب رأسه بضيق ونفاد صبر صارخًا:

- ولا أنتَ عبيط يلا! أقرب منك إيه يا حيوان أنت؟
- ما أنت اللي نظراتك مش طبيعية.

عض أسامة شفتيه بغضب يحاول أن يتنفس وبالفعل بدأ يأخذ شهيقًا، يخرجه زفيرًا يحاول أن يهدأ وجلال يتابعه حتى انتهى.

@ART_OF_BOOK

جلس أمام جلال بهدوء يغمض عيليه وكأنه في حالة تأمل وصفاء ذهني، وجلال كان من الذكاء الذي يجعله يتلاشاه ويبتعد عنه في هذه اللحظة تاركًا له كامل الوقت ليعود لطبيعته، وبالفعل استمرت تمارين كُبتِ النفس التي كان يمارسها أسامة قرابة عشر دقائق، وخلالها سمع جلال صوت قرع الباب، فتحرك بسرعة ليفتحه، مشيرًا إلى هند أن تتوقف عن الطرق:

- بطلي خبط شوية واهدي.
- إيه فيه إيه؟ مالك وفين أسامة؟!
- أسامة بيشحن جوا، ادخلي بس حاولي متقربيش منه دلوقتي لغاية ما يخلص.

نظرت إليه هند بعدم فهم وهي تتحرك صوب الغرفة تراقب أسامة وهو يستند برأسه على ظهر المقعد يغمض عينيه ويتنفس ببطء شديد، استدارت لجلال تتساءل بعينيها عما يحدث، لكن جلال فقط أشار إليها بالصمت.

جلست هند جوار جلال أمام أسامة، بينما الأخير ادعى أنه يحتاج إلى وقت للحصول على السلام الداخلي، في حين أنه في الحقيقة يحتاج إلى بعض الوقت ليفكر وكذلك ينتظر وصول عفاف.

مالت هند على جلال تهمس له بصوت منخفض:

- إيه اللي وصله للحالة دي؟!
- معرفش لوحده، أنتِ عارفاه مجنون أساسًا.

رفعت حاجبها بسخرية وهي تخرج هاتفها تبعث بعض الرسائل لرفع ما وجلال جوارها ينظر إلى الهاتف بفضول، قبل أن يبتسم بسمة خبيثة:

@ART_OF_BOOK

:

- إيه ده! راجل؟! بتكلمي راجل واسمه خالد؟

حركت له هند عينها بشر وكأنها تحذره أن يتمادى في الأمر، لكن أي تحذيرات تؤتي ثمارها مع جلال، وقد اتسعت بسمته غامزًا لها:

- إيه ربنا تاب عليكِ وبقيتي زي البنات؟

همست هند همسة بصوت مخيف وهي تنظر إليه بتحذير:

- صدقني يا جلال لو سمعت منك كلمة تانية، يعني لا تلومن إلا نفسك.

وصمت جلال بحنق وهو ينظر إليها ولأسامة يتمتم كلمات غاضبة مغتاظة:

- كله جلال جلال، والله أنتم من غيري ولا تسووا، أنا مليش في الفريق ده غير عفاف أساسًا.

فتح أسامة عينيه فجأة ونظر إلى جلال بشر ليتراجع جلال لظهر الأريكة يهتف ببسمة صغيرة:

- حتى عفاف التانية مش بتطيقني، أنا مليش غير ربنا.

ابتسم أسامة بسخرية، بينما تحدثت هند حينما أبصرت أنه خرج من حالة تأمله:

- كلمت عفاف يا عووولا إيه؟ هي فين دلوقتي؟

سهم بهدوء وهو ينظر إلى هاتفه مجددًا:

- هي خلاص داخلة على الفندق.

@ART_OF_BOOK

وبالفعل، مرت دقائق حتى سمع الجميع صوت طرقات هادئة على الباب، فهش أسامة بتحرك صوبه يستقبل عفاف ببسمة صغيرة، وهي دخلت تقول ببسمة واسعة:

- أما أنا جبتلكم شوية معلومات.....

توقفت عن الحديث حين أبصرت جلال يجلس منكمشًا في الأريكة بعيدًا عن هلا، وهند ترمقه بترقب، نظرت صوب أسامة الذي أغلق الباب وأشار إليها للتدخل.

وبالفعل تحركت للداخل تنظر صوب جلال تهمس له بصوت منخفض:

- فيه إيه يا جلال حصل حاجة وأنا مش هنا؟!

مال جلال نحوها هامسًا بصوت منخفض:

- جوزك وهند اتجننوا.

نظرت إليه بحاجب مرفوع ولكنها لم تعلق، تبصر أسامة يجلس أمامهم يخرج من جيبه دفتره والقلم، ومن ثم رفع عيليه لهم يتحدث بهدوء:

- ها وصلتوا لإيه؟

كان أول المتحدثين هي عفاف التي بدأت تقضي بما حصلت عليه من السيدة حنان، وقد كانت حريصة ألا تغفل عن معلومة صغيرة:

- قالت إنها متعرفش ممكن يكون مين القاتل. بس كان كل كلامها إنها بتتهم صحابه، خاصة بعد ما دبسوه في جوازة غير مرغوب فيها.

@ART_OF_BOOK

اعتدل أسامة في جلسته بتردد بعدم فهم:

- جوازة لمين مرغوب فيها؟

- أصل المعلومة اللي قولتها إن فيه بلت اسمها سارة بتقول إنه جوزها، أنا واجهتها بيها.

ضيق أسامة عينيه وعفاف ظنت أنه غاضب من فعلتها غير المقرر لها، لكنها أكملت بسرعة وهي تشرح له ما حدث:

- وهي ما أنكرتش بالعكس اتصدمت إني أعرف المعلومة دي وحكت ليا اللي حصل بالضبط.

ومن ثم شرعت عفاف تقص عليهم كل كلمة نطقت بها حنان ولم تغفل عن تفصيلة صغيرة، تحاول أن تتذكر كل شيء كما تم إخبارها وهند تسمع ما يحدث وهي تبتسم بسخرية حتى انتهت عفاف من قصتها.

- ولله عبط أحنا عشان نفكر إن بلت ممكن تشربه حاجة أصفرة وتعتدي عليه؟

رفع لها أسامة عينيه وقد ظن أنها تدافع عنها لمجرد أنها فتاة كما اعتادت أن تفعل في العادة:

- وإيه اللي يمنعها تعمل كده، خاصة إنها زي ما قالت عفاف حالتها الاجتماعية مش أحسن حاجة وممكن تكون شافت فيه طوق نجاة من الفقر؟!

هزت هند رأسها وهي تفتح هاتفها تلقي به على الطاولة أمامهم:

- ممكن فعلًا، لو مكالش الأستاذ مقضي ليلة حمرا قبل قتله بساعة.

نظر إليها أسامة للثواني قبل أن يحرك عيليه صوب الهاتف يقرأ التقرير الذي أرسله لها خالد منذ دقائق قليلة يوضح به ما وصل له أثناء التشريح والذي يثبت أنه وقبل القتل بساعة تقريبًا أو ما يزيد بدقائق كان المجني عليه يقضي ليلته مع إحدى الفتيات، وقد حدث ما يشبه مقاومة أثناء ذلك.

رفع أسامة عيليه صوب هند وقبل أن يتحدث بكلمة ضيقت عفاف عيلها وهي تتذكر جملة بسملة التي رددتها باكية.

"أنا لسه مش قادرة أصدق إن سامر اللي كنت بكلمه قبل الحادثة بساعة واحدة بس يحصل فيه كده "

ونظرات عفاف وبسمتها الغريبة التي ارتسمت جعلت أسامة يدرك أن مضخات عقل عفاف بدأت تعمل بقوة ليهمس بترقب:

- النظرة اللي على وشك دي يا فوفا توحي إنك وصلتي لحاجة مش كده؟

اتسعت بسمتها وهي تعيد الكلمات مجددًا في عقلها:

- مش أوي... بس كانت بسملة في نص كلامها قالت إنها كانت في مكالمة مع سامر قبل قتله بساعة، ازاي وهند بتقول إنه كان مع بلت تانية؟ أكيد كان ممكن بسملة تلاحظ إلا لو...

- بسملة بتكدب.

كانت تلك كلمات جلال، الذي شاركهم التفكير أخيرًا بعدما سئم من تهميش عقله والتظاره حتى يحين دوره.

@ART_OF_BOOK

شعرت عفاف بالريبة بالفعل من بسملة وتصرفاتها، بينما أسامة فكر في الأمر، وهند استرسلت في حديثها:

- كل اللي ذكره طارق كان صح، الرصاصة استقرت في منتصف القلب بالضبط وكأنه اللي عمل كده قناص محترف كمان، ومش بس كده خالد قالي إن مفيش أي أدلة كانت في مسرح الجريمة غير...

صمتت لثوانٍ وهي تزن الأمر في عقلها:

- كان فيه بقايا آثار حذاء مدمم على أرضية الحمام و جسد المجني عليه، وكأن الجاني من غيظه وغضب بعد ما قتله داس عليه.
- جزمة؟ عرفتي ممكن يكون نوعها إيه؟
- لسه التقارير مع المعمل الجنائي، وخالد قالي لما يوصل لحاجة هيبلغني، بس عامة أنا أخدت صور لكل حاجة عشان نشوف لو قدرنا نوصل لحاجة.

تدخل جلال في الحديث وهو يتساءل بجدية:

- إذا كان المعمل الجنائي لسه مخلصش والتقارير لسه مخلصلش، يبقى طارق ده عرف منين إلا إذا كان هو القاتل نفسه؟

نظرت إليه هند لثوانٍ وهي تدير الأمر داخل عقلها ليلقي أسامة بأوراقه على الطاولة أمامهم:

@ART_OF_BOOK

- حسب شهادة شهاب فطارق وبسري وصلوا للتجمع العائلي بوبها متأخرين عن الكل بسبب اجتماع في الشركة، لكنه قال إنهم وصلوا قبل العشاء والجريمة تمت بعد كده.
- ما يمكن اللي ارتكب الجريمة مكالش بنفسه يمكن قاتل مأجوروعشان كده كانت الضربة بالدقة دي.

كان ذلك اقتراح عفاف بعد تفكير لثوان، وأسامة ربما يميل لذلك الاحتمال؛ فالأدلة معهم بدل مساعدتهم تتراكم عليهم وتزيد من تعقيد الأمور.

- ممكن، بس المعلومة اللي عرفتها من شهاب إن نص أفراد العيلة أساسًا محترفين نيشان، الرياضة شبه متوارثة بينهم، يعني بسهولة أي شخص يقدريصيب رصاصة زي اللي اتقتل بيها سامر.

تحدثت هند وهي تفرك خصل شعرها بحيرة:

- يعني إيه العيلة كلها خلصت عليه يعني عشان العار؟
- معتقدش لوكان ده الغرض كانوا عملوا كده أول ما اكتشفوا جوازته الأولى مش يخططوا لجوازتاني ليه.

تنفس أسامة وهو ينظر إليهم وقد صمت الجميع تاركين لعقولهم القيادة تعمل بلا هوادة في محاولة يائسة للوصول إلى أي دليل يساعدهم في الأمر.

قبل أن تنظر عفاف صوب جلال فجأة وتقول:

- صحيح يا جلال مقولتش وصلت لإيه في موضوع راضي ده، الراجل ده اختفاله مريب وممكن يكون دليل قوي في القضية.

@ART_OF_BOOK

وجلال الذي نسي للحظات ما حدث، شحبت ملامحه مجددًا بشكل لافت جعل هلال تشعر أنه أبصر الجنة تطارده بهولها.

ارتج جلال ريقه وهو يهمس بصوت متلعثم محاولة أن تستمع له الجدران حوله، وقد بدأ صوته يخرج بلهجة مهتزة وعيناه تتحركان في المكان بشكل مذموم، وأسامة بر القبه بحلق.

وأخيرًا وبعد التشويق نطق جلال بهمس:

- أخدت الرقم من عم أشرف ولما بعته لمختار بجبهلي قراره، قالي إن صاحبه هوراضي عوض الحسيني.

ابتسمت هند بسعادة:

- طب ما زي الفل، ده معناه إنه فعلًا فيه شخص كان اسمه راضي موجود، أمال ليه مفيش معلومات عنه في أوراق العاملين في القصر؟!

ارتجف جلال وهويتحدث بخوف:

- عشان راضي عوض الحسيني ده مبت من ٢٠١٧.

***

كان يتابع الاجتماع بعينين هادئتين، يظهر التباهًا يخفي خلفه شرودًا، أصوات تصل له ولا تعبر لعقله كي يستوعبها، أشخاص يتحركون أمامه ولا يبصرهم.

@ART_OF_BOOK

تتحرك عيناه على الشاشة المضيئة التي يُعرض عليها المشروع المعماري الجديد الذي تقوده شركة الخواجة وهو فقط يحاول أن يخرج من تلك الهوة التي سحبته، تلفمن بصوت مرتفع حينما شعر بيد والده تهزه ليستفيق ويجيب سؤال أحد الموظفين حول رؤيته للمشروع، ترك القلم الذي كان يظهر شرودًا به على طاولة الاجتماع أمامه، يرفع عينيه للجميع يحاول ألا يبدو بعيدًا عن دفة الحوار:

- رأيي هبلغكم بيه في إيميل بمجرد ما أدرس الوضع كويس.

رفع يسري حاجبه وهو يشعر بالريبة، وكذلك منصور الذي ابتسم بسخرية يتراجع بظهره على المقعد، بينما بلال يتابع حفيده بعينين دقيقتين، يبصر حالته غير المطمئنة مثل قتل شقيقه.

أنهى منصور الاجتماع وبدأ الجميع يغادر واحدًا تلو الآخر، ولا يبدو على أحد أفراد العائلة نية المغادرة حتى، وبمجرد أن خلت الغرفة من الجميع نهض يسري يغلق الباب خلفهم ثم عاد ينظر إلى ولده بحنق:

- طارق فيك إيه؟! بقالك فترة مش مركز في الشغل خالص.

رفع له طارق عينيه اللتين كانتا غائمتين بمشاعر عدة ويده مقبوضة أسفل الطاولة وكأنه يكبت شياطينه عن الخروج، يخشى أن تخرج وتنفجر في الكل.

ابتلع ريقه ولم يتحدث، بينما منصور لم يترك الفرصة تضيع هباءً، يتدخل في الحديث وما زالت نيران صدره على رحيل ولديه تغلي:

- الظاهر كده طارق مهقاش قدها، يبقى نفضها سيرة منه.

@ART_OF_BOOK

يرفع له طارق عينيه بنظرة جعلت عيني منصور تتسعان بصدمة وخوف باطني، وقد بدت نظرة قاتل مختل، نظرة تحذيرية جعلت منصور يلتفت حوله بسرعة ليرى وكأنه يطلب منه معونة، وبالفعل تدخل بلال في الحديث وهو يهتف بصوت منخفض:

- طارق أنا مدرك إنك أكيد زعلان على أخوك واللي حصل ليه، واحنا مش ساكتين وأديك شوفت بنفسك عملت فرقة تحقيق تدور على اللي عمل كده و...

فجأة انتفض الجميع بقوة حينما ضرب طارق الطاولة بقوة وهو ينهض عن طاولة الاجتماع يهتف بصوت مرتفع لم يكبته:

- بعد إيه؟ بتدوروا على إيه بالظبط يا جدي، كان من باب أولى بدل ما تجروا تدوروا على حقه إنكم تاخدوا بالكم من تصرفاته، مليون مرة اقولكم ساهر ماشي غلط، ساهر مع النامس الغلط، طلبت مليون مرة منكم تساعدوه يخرج من أم المستنقع اللي هوفيه وأنتم عملتوا ايه؟

صمت بتنفس بعنف وكأنه كان يركض في ماراثون، يكمل صراخ وهو يحرك كفيه في الهواء بغضب:

- كنتم ماشيين ترقعوا من وراه مصايبه وآخرها المصيبة اللي.....
- طـارق، اخـرس.

توقف طارق عن الحديث وهو يستدير صوب والده يبتسم له بسمة واسعة مختلة يلتفت بعنف، ومن ثم حرك عينيه بين الجميع يهتف بصوت منخفض وغضب:

@ART_OF_BOOK

- حتى لو مكنوش انتم اللي قتلتوا ساهر، بس انتم كنتوا السلاح اللي القتل بيه، عمري ما هسامحكم ولا أسامح أي إنسان كان سبب إنه يضيع الحوريا ووقف يتفرج عليه.

خلص حديثه يخرج من المكان بقوة وغضب، كاد يحطم ما يقابله من أبواب لعنت أعين الباقيين والذين كانوا يتابعون برهبة ما حدث، طارق والذي كان أكبر الأحفاد كان أشدهم قسوة وأكثرهم بطشا، لكنه ورغم ذلك كان مطيعا لجده ووالده، وللأسف انه كان، فقد أضاع أخاه أسفل أقدام طاعتهم المزعومة.

***

هدوء طويل حل في المكان وكأنهم في صحراء في منتصف الليل حيث لا صوت يعلو سوى أصوات الحشرات الليلة، وحتى هذه لا صوت لها في الجلسة.

الجملة التي ختمها جلال جعلت الجميع يشعر بالريبة وأن القضية تتجه نحو مالا يحمد عقباه البتة.

ابتلعت عذاف ريقها وهي تحاول أن تستوعب ما يقال، وهند جوارها لا تصدق ما سمعت تحاول الخروج بأي مبرر؛

- مش ممكن... مش ممكن يكون حد أخد الخط او نقله ليه، او حتى سرقه؟

هز أسامة رأسه وقد كان هذا ما يفكر به بالفعل:

@ART_OF_BOOK

- يس ازاي .. ازاي يشتغل في القصر حضرتك كلام الشرف بدون أوراق رسمية، ازاي محدش في القصر جاب سيرته أساسًا، وليه احنا فجأة ملهوش سؤال بيدور حوالين الراجل ده.

بصوت عالي بالمراح!

- هو مش ممكن طالما الراجل ده مات عادي للناس ملكوش خط التليفون لأهاليه؟ ما ممكن اللي كان معاه الخط ده ابنه مثلًا.

أجاب جلال ببساطة:

- يس عم أشرف قال إنه كان راضي لنفسه، مش ابنه مثلًا.

مسح أسامة عليه بلطف وهو يشعر بالحيرة:

- طب أنت يا جلال طلعت من مختار سجل المكالمات أو تفاصيل الخط ولا يس عرفت الاسم وجربت؟
- ودي برضه تقولي يا هو، طبعًا عرفت الاسم وجربت.

ولعم كان هذا متوقعًا والله لو كان جلال اتخذ إجراء آخر بعد معرفته حقيقة صاحب الخط، لسحبه أسامة الآن ليتحقق من هويته، إن كان هو جلال رفيقهم ام أستبدل.

أمسك القلم وهو يخط بسرعة كل ما وصلوا له ليتوزعوا مجددًا في محاولة حل الألغاز التي توصلوا إليها.

@ART_OF_BOOK

- راضي عوض الحسيني وسر اختفائه.
- رسالة الجثة المختفية.
- اعتراف بسملة المتضاربة.
- حقيقة زواج سارة وساهر.
- غياب طارق ويسري عن الحفلة.
- تقرير البحث الجنائي.
- الغرض الذي تحتفظ به بسملة.
- الموظف الذي انتحرفي مجموعة الخواجة.
- التحقيق مع منصوروبسري.

وأثناء كتابة أسامة لكل ما وصلوا له فجأة توقفت أنامله واتسعت عيناه وهو يحدق في الورقة أمامه وكأنه أدرك لتوه نقطة مفقودة، شيء غفل عنه في خضم كل تلك الفوضى.

رفع عينيه للجميع يتحدث بصوت خافت:

- التليفون.

نظر إليه الجميع بانتباه ليعتدل في جلسته وهو يردد بجدية:

- تليفون الضحية، ازاي لسينا تليفون الضحية؟ مفيش شيء اتذكر عنه في التحقيق وقالوا إنه مفقود، مفقود ازاي وحسب كلام بسملة كانت بتكلمه قبلها بساعة؟!

@ART_OF_BOOK

- ما هي ممكن كانت بتكدب.
- حتى لو يا عفاف، أكيد يعني شاب زي ده عمره ما هيسيب تليفونه من إيده، أكيد كان موجود معاه وقت الحادثة، السؤال هو اختفى فين؟

خدت هند وهي تضع احتمالاتها على الطاولة أمامهم؛

- ممكن يكون مع نفس اللي أخذ الرسالة... طارق.

نظر إليها أسامة وقد بدا ذلك مقنعًا، وهند فقط عبرت عن حيرتها في نقطة صغيرة وهي تضيف؛

- لو الأغراض دي كلها اختفت من مسرح الجريمة ازاي محدش ساب وراه بصمات؟ أصل متقنعيش إنهم لما راحوا واتصدموا بالجريمة كانوا لابسين قفازات جاهزة وخبوا الأدلة عشان مثلًا يخفوا شيء ممكن يضر سمعته زي ما بيقولوا، اللي عمل كده أكيد هو القاتل لأنه أكيد بيكون محضر نفسه عشان ميسيبش أثر.

مسح أسامة وجهه وهو ينظر إلى الورقة أمامه بتفكير:

- الدايرة بتوسع أوي بينا والموضوع بيتعقد، محتاجين نوصل لطرف خيط، أي طرف خيط يساعد.

ثوالي من التفكير قبل أن يكمل بجدية وملامح حادة:

- عفاف أنتِ مسؤوليتك دلوقتي بسملة، تعرفي هي مخبية إيه في أوضتها أو توقيعها في أي كلام والبلت كده كده متوترة استغلي ده كويس.

@ART_OF_BOOK

نظر صوب هند يلقي لها بالمهمة التالية:

- طارق ده وراه سر، عشمي في ربنا ثم فيكِ تعرفي هو مخبي إيه يا هند، وكمان تابعي كل شيء مع خالد أول بأول، تمام؟

هزت هند رأسها بهدوء دون كلمة، وأخيرًا نظر أسامة صوب جلال يتحدث بجدية:

- أنت هتتابع مع مختار وأول ما يسلمك أي معلومة بخصوص راضي تـ...
- لا يا عو أنا لغاية هنا وحكايتي مع الجثة دي خلصت، شوفلي أي حاجة بعيد عن اللبش ده، أنا مش هخطي خطوة واحدة في موضوع راضي ده على جثتي يا عو.

***

- بقولك يا أخويا متعرفش الاقي فين الحاج راضي الله يرحمه؟

كان سؤالًا غبيًا يسير بين الطرقات يطرحه على الجميع؛ البعض يتجاهله ويرحل والبعض الآخر يضرب كفًا بكف ويتمتم بالحولقة بعيدًا عنه، وها هو يدور في المنطقة المسجلة في بيانات السيد راضي، بعدما تولى أسامة بنفسه إحضار بياناته بأسرع وقت عنادًا مع جلال.

زفر بضيق وهو يتحرك صوب قهوة شعبية يجلس عليها يرفع يده ينادي الصبي الذي يتحرك بين الجميع:

- واحد مانجا يا بني.

أخرج هاتفه وهو يتصل بأسامة متذمرًا بغضب شديد:

@ART_OF_BOOK

- بقولك بقالي نص ساعة بلف شوارع سيدي بشر كلها ومش لاقي بني آدم واحد يعرف راضي عوض ده، يا عم احنا بندور عن إبرة في كومة قش.

إشار جلال للصبي بوضع العصير ومن ثم صرخ بضيق وغضب:

- أسامة أنا مش هكمل في العبط ده الراجل ميت ومش معانا عنوانه بالضبط. أعمل إيه يعني؟ أروح الجامع أنادي و أقول يا ولاد الحلال اللي يعرف راضي عوض الحسيني يجيبه الجامع، ما هو مش منطقي يعني و....
- انتَ بتسأل عن عم راضي الله يرحمه ليه؟

رمش جلال وهو يرفع عينيه صوب صبي القهوة والذي كان يقف جواره يستمع لمكالمته بفضول شديد، ومن ثم نظر صوب الهاتف يضعه على أذنه:

- طب اقفل انت يا أسامة كده، أنا هتصرف.

وضع الهاتف على الطاولة أمام الصبي والذي كانت عيناه تدوران على جلال بفضول وقد أحسن جلال اختيار أكثر حلة راقية عنده وكأنه ذاهب لخطبته، ابتسم للصبي يهتف بجدية:

- تعرف هو فين؟
- هو مين لا مؤاخذة؟
- عم راضي؟
- الله يرحمه يا بيه، بس أنت يعني عايز منه إيه بالضبط؟
- ليه أمانة عندي وكنت عايز أوصلها ليه، أو لحد من عياله.

@ART_OF_BOOK

هز الصبي رأسه وهو ينظر بتفكير إلى جلال قبل أن يتحدث بجدية وهو يحدق عيليه بتفكير:

- أمانة قولتلي، وهتدفع كام لو وصلتك ليه؟!
- هو بفلوس؟!
- أمال هساعدك صدقة؟!
- لا ازاي ميصحش هي الدنيا لسه فيها خير ولا إيه؟ قول عايز كام وتوصلني لأي حد تبعه.

مد الصبي يده بعدما جففها في ثوبه:

- إيدك على ١٠٠ جنيه.

وبالفعل دس جلال يده في جيب بنطاله يخرج المبلغ ويعطيه للصبي، ليبتسم له الفتى وهو يرفع يده يشير صوب مبنى أيل للسقوط أمامهما، يتحدث ببسمة:

- الدور التالي شقة ٧ هتلاقي بيت عم راضي الله يرحمه.

ختم حديثه بانطلق لتنفيذ طلبات باقي الزبائن تاركًا جلال يتابعه بصدمة وهو يحرك عيليه على ذلك المبنى الذي كان أمام عيليه وعلى بُعد خطوات فقط منه.

- والله لأحاسب أسامة على الـ ١٠٠ جنيه دي

@ART_OF_BOOK

كانت تجلس معها في غرفتها وقد استغلت فرصة أنها هناك لتفعل، تبتسم بلطف لبسملة التي كانت تعالي كلما أبصرت وجه عفاف، لأن رؤيتها يعني أنها ستضطر لمحاولة السيطرة على نفسها والتحدث بهدوء، وهذا ما لا تتقنه بسملة.

- أنا آسفة لو بزعجك مرة تانية، بس محتاجة اتكلم شوية.

فركت بسملة يديها بتوتر وهي تحاول الابتسام بلطف تحت عيني عفاف الحنونة والتي ابتسمت لها تربت على يدها بهدوء:

- اهدي يا بسملة أنتِ مش متهمة أنا بس محتاج منك شوية معلومات مش أكتر وبعدين همشي على طول.

شعرت بسملة ببعض الراحة، تنظر صوب عفاف بامتنان، تومئ برأسها في إشارة السماح لعفاف أن تتحدث:

- تمام أنا لما حققت مع جدتك فالتالي إن أنتِ محبتيش ساهر مش كده؟

نبعت عيناها له وكأنها ترغب في معرفة غرض عفاف من السؤال لتدرك ما ترد به، عفاف فقط جعلت تعابيرها محايدة لا تظهر شيئًا مما تضمره لها، لكنها في الوقت ذاته ابتسمت تضيف:

- عايزة أعرف هل كانت علاقتك معاه سلمية؟ هو كمان كان بيحبك أو لا؟!
- يعني اعتقد آه.
- لعتقدي؟!

@ART_OF_BOOK

- أصل هو مكانش من النوع اللي بيعبر عن مشاعره أوي يعني، بس هو كان على الأقل في قبول بينا.

هزت عفاف رأسها مبتسمة وهي تنظر إليها بعينين جعلتا الفتاة تتململ في جلستها:

- بس ده عكس اللي قالته جدتك؟!

ومجددًا عاد توترها يطفو على السطح وهي تسمعها تردد بنبرة مهتزة:

- تيتة قالت إيه؟
- قالت إنك مكنتيش بتحبيه وكان عادي، بس هو كان بيحبك جدًا عشان كده هما و افقوا عليه لأنه هيحافظ عليكي.

بللت بسملة شفتيها وهي تشير بنعم تو افق على كلمات عفاف:

- يمكن كان كده بس أنا أخدتش بالي.
- ما أخدتيش بالك إنه بيحبك؟! دي جدتك مأكدة ليا إنه كان واضح أوي إنه بيحبك للكل. أمال هما و افقوا على جوازكم ليه؟! ولا أجبروكي؟!

شعرت بسملة بأنها على وشك الانهيار في هذه اللحظة، تشعر بجسدها يكاد ينهار أمام عيني عفاف لولا صوت رلين هاتفها الذي كان كطوق نجاة بين أمواج عاصفة، لتلتقطه بسرعة كبيرة تجيب عليه تسمع كلمات من الطرف الآخر جعلتها تتمسك بها وهي تردد:

- تمام ثواني وجاية حالًا.

نظرت صوب عفاف تقول بتلهف للهرب من أمامها:

@ART_OF_BOOK

- عن إذنك، فيه أوردر باسمي هانزل بس أشوفه.

حركت عفاف لها رأسها ببسمة تشير لها بالذهاب وهي تجلس بكل هدوء حتى سمعت صوت غلق الباب لتتسع بسمتها بقوة تنهض عن مكانها:

- في وقتك يا عو والله.

ولقد كانت تلك خطتهم، اللعب على نقطة توتر الفتاة، حيث تبدأ عفاف في استنزاف كامل تماسكها، ومن ثم يرسل أسامة طرد باسمها وكأنه هدية زفاف من صديق، طالبًا حضورها شخصيًا للتوقيع على الاستلام، كانت مجرد خطة إما تنجح أو تفشل، لكن قلق وخوف وتوتر بسملة ساعدهم لتنجح.

تحركت عفاف بسرعة كبيرة في الغرفة وهي تتجه أول الأمر صوب الخزانة الخاصة بها تبحث بين ثيابها عن شيء غريب، في الإدراج، في كل ركن من الخزانة بطريقة محمومة وهي ترهف السمع للباب وكل ثانية تنظر إليه، ابتعدت عن الخزانة تبحث في كامل أرجاء الغرفة، تدور حول نفسها وهي تحاول وضع نفسها مكان بسملة، إن كانت تمتلك شيئًا هامًا كهذا، أين يمكن أن تضعه؟!

شعرت بالحيرة والضيق، هذه فرصة والله وحده يعلم متى تتاح لها مرة ثانية، بدأت ترفع الفراش وهي تبحث أسفله، لكن لا شيء أيضًا، تحركت صوب المكتبة التي كانت عبارة عن خمسة أرفف في الجدار جوار النافذة تبعد الكتب عن طريقها بسرعة، وهي تنظر خلفها بسرعة خوفًا أن تعود بسملة، لكن فجأة بيدها تصطدم في شيء صلب، عادت بعينيها بسرعة صوب المكتبة لتبصر ما كانت تبحث عنه وتلسع عيناها بصاعقة كبيرة... "الهاتف"

@ART_OF_BOOK

تتحرك بالسيارة وسط الزحام وهي تضرب المقود بغضب وقد كانت قد قررت أن أدلى من النزول وحمل عصا وتحطيم كل سيارات الرجال أمامها.

- ويقولوا الست مبتعرفش تسوق وحما اللي شوية مواشي متعلمة في تربية.

خلصت حديثها تضرب البوق بقوة وهي تخرج رأسها من النافذة تصرخ بجنون

- يا عم ما تتحرك ما الشارع فاضي أهو.

أخرج الشاب رأسه من السيارة وهو ينظر إليها بغضب واستهزاء، قبل أن يتجاهلها ويكمل طريقه بهدوء كما يريد بل ويبطئ السرعة أكثر وكأنه يفعل ذلك بمتعة بقلبها وقهرها وصبرها هند.

رفعت هند حاجبها وهي تصرخ:

- والله؟!

توقفت فجأة السيارة بعنف، تفتح الباب ولم تكد تخرج لتحطم سيارته لولا رأسه، حتى سمعت رنين هاتفها، نظرت إلى الخارج بغضب تقارن أيهما أهم، تحطيم رأس ذلك الحقير الذي نظر إليها باستهزاء، وكأنها لا ترتقي حتى للتحديث معه، أم تجيب على خالد والذي ربما جاءها بشيء هام في المهمة؟!

وبحسبه سريعة كان الأمر محسوم لصالح شقين الحقير درسًا لن ينساه، لكن ما كادت تخرج من السيارة حتى سمعت مجددًا صوت رسالة وصلت لها، نظرت صوب السيارة أمامها لتجد أنها ابتعدت، زفرت بضيق وعنف وهي تفتح الهاتف

@ART_OF_BOOK

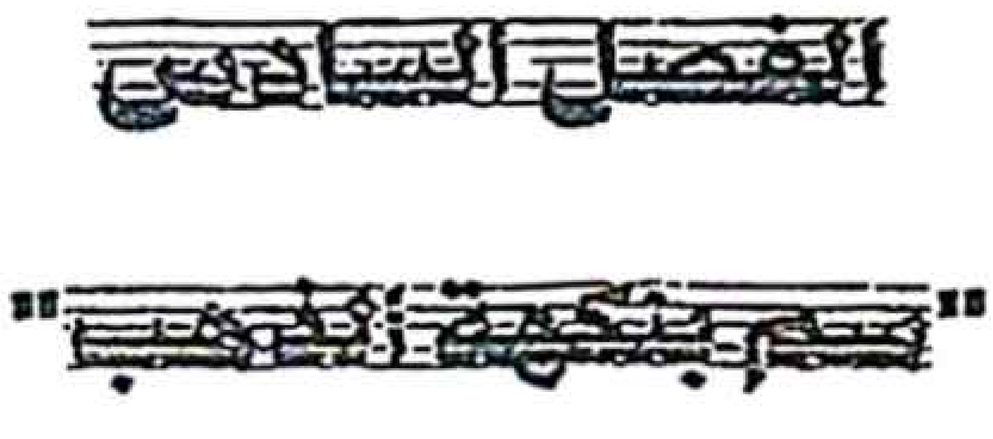
تنتصر رسالة جديدة في دردشة قديمة ظنت أنها لن تُفتح مرة ثانية المتبقي من حياتها.

رسالة صوتية من خالد بمجرد أن ضغطت عليها سمعت صوته يصدح في أرجاء السيارة متحدثًا بلهفة واضحة وكأنه اكتشف سرًا خطيرًا.

"هند تقرير المعمل الجنائي خرج ومش هتصدقي اللي اكتشفناه".

***

@ART_OF_BOOK



الأدلة، كلمة من المفترض أن تساهم في حل الألغاز، لكن في حال تراكمها وتعقيدها، فهي لا تساهم في شيء سوى في تسريع وصولك للجنون واللاشئ بينهم.

وها هي تقف أمام مكتب خالد بعدما كانت في طريقها إلى طارق، لكن اتصالًا هاتفيًا من خالد جعلها تغير طريقها وتتوجه بسرعة صوب المشفى التي يعمل فيها الأخير بلهفة لتعلم ما يقصد.

ابتسم خالد وهو يلاحظ ملامحها، فإن كان هناك شيء في هذه الحياة يتمثل به شغف هند غير كره وقتال الرجال، فهو عملها وحل الألغاز وكشف الأسرار، امرأة غريبة، لكنها مميزة، ولهذا توقف عندها منذ سنوات ولم يتخطَّ بعد رحيلها.

- اقعدي الأول يا هند عشان الموضوع طويل شوية.
- خالد اخ..
- اقعدي يا هند لو سمحتي مش هنقضي الحوار على الواقف.

@ART_OF_BOOK

زفرت بصوت مرتفع وهي تجلس أمام مكتبه وهو يراقبها بكل هدوء وبرود، تحاول التماسك وعدم الانفجار بفضولها أمامه.

اما عنه راقبها لثوانٍ، ومن ثم مد يده يلتقط ملفًا يدحرجه لها وهي التقطته بسرعة تحاول فحصه باهتمام شديد ولهفة، وعيناها تمران على الصفحات أمامها بشكل محموم تقليبا بين يديها بشكل غريب قبل أن تلقيه أمامه تهتف بعجز عن فهم أسماء المركبات الكيميائية في الملف:

- يعني إيه أنا مش فاهمة حاجة.
- ما هو لو كنتِ صبرتي عليا كنت فهمتك.

زفرت بصوت مرتفع وهي تنظر إلى عيليه تبصر نظراته التي اعتادت عليها سابقًا، هذا الرجل الذي يجلس أمامها كان أشد أصدقائها ذكاءً وخبثًا وغموضًا، ولهذا انجذبت له كالمعدن للمغناطيس، قبل أن تحل قطيعة بينهما أنهت كل شيء.

- اطربني.

ابتسم لها بسمة صغيرة وهو يلتقط الملف بهدوء، يردف بصوت رخيم بعض الشيء:

- الموت زي ما كتبت في تقارير التشريح، تم عن طريق رصاصة في منتصف الصدر مباشرة فمات في ثواني، وأثناء التشريح مظهرش أي شيء غريب تاني مفيش علامات تسمم ولا خنق ولا مقاومة ولا أي شيء، لغاية ما التحليل الجنائي اكتشف شيء غريب في معدة المجني عليه.

@ART_OF_BOOK

نظرت إليه بعينين لامعتين واهتمام كبير، ولم يخبر فضولها كليزا، بل ردد بجدية وهو يشير لجهزية بالملف أمامه:

- مادة هيدروسيانيك، أو السيانيد كانت موجودة في جسد الضحية بكمية مش كبيرة، هي كمية مش قاتلة، لكنها مش طبيعية أبدًا.

وعدم الفهم بدأ يظهر على وجه هند، فهي ليست عفاف التي حينما تتحلق لها اسمًا كيمائيًا ستعلم كل ما يتعلق به وحتى قد تخبرك مما يستخلص وعدد ذراته وأيوناته وكل تلك الأمور التي كانت تسبب لها صداعًا قديمًا.

- يعني؟!
- يعني الشخص ده يا إما كان بيحاول الانتحار، أو شخص كان بيحاول يقتله بالمادة دي، ولما فشل استخدم الرصاص.

فتح جهاز الحاسوب الخاص به وهو يحرك أصابعه بسرعة ومهارة كبيرة عليه، يتحدث أثناء ذلك بتركيز:

- والهيدروسيانيك لو متعرفيش دي مادة سامة تخطي الحد المسموح فيها بيقتل الشخص في ثواني.

نظرت إليه بفضول:

- وساهر إيه اللي ممكن يوصله للمادة دي، وازاي مماملتش، أكيد مش محاولة انتحار يعني، أصل لو كده إيه اللي هيخليه يتقتل بعدها؟!
- السيانيد هو عنصر بيتم استخدامه في استخلاص الذهب، فمش صعب توصلي ليه يعني، وليه ساهر مماتش لأن النسبة كانت قليلة جدًا

@ART_OF_BOOK

لدرجة عدم وجود أي أعراض ظاهرة، تقريبًا شخص كان بيحاول يقتله وإثبات إنه انتحار، وساعر مخلتش ليه ده فاضطر يقتله.

صمت وهو بيطول النظر في عيني هند بشكل جعل الأخيرة تتوتر، وهو فقط ابتسم بسمة هادئة يقترب منها هامسًا وهو يدير شاشة حاسوبه صوبها يشير صوب جزء بها:

- أما ازاي ساعر وصل للمادة دي، فده نفس السؤال اللي اتعمل عليه علامات استفهام في انتحار ابن عمه الأول.

اشتد ذهول وشحوب هند وهي تنظر إلى عيني خالد بصدمة تبتسم بعدم تصديق والأخير بادلها البسمة بأخرى جادة وهو يحرك أصابعه مجددًا على لوحة المفاتيح:

- ابن عمه سعد لما وصل عندنا جثة وشرحتها تم إثبات إن الوفاة تمت بسبب جرعة زيادة من المسكنات وسلمت الملفات للشرطة وتم غلق القضية إنها انتحار، لحامية إن مكالش فيه أي علامات مقاومة على جسد القتيل تثبت إنه اتجبر ياخد الجرعة دي، اتفضلت القضية إنها انتحار وطبعًا كان لحيلته إيد في كده عشان الشوشرة.

صمت للثوانٍ وكأنه يفكر في شيء:

- ابن عم ساعر التاني اللي وصل متنحر كان فاتح في الرسغ فاتح قوي أدى للموت بعد دقايق، ووقتها ظهر في التحاليل إنه كان واخد أدوية مضادة للأكتئاب بكميات مش طبيعية فبرضه زي الأول اتفضلت انتحار بأمر من عيلته عشان سمعتهم.

@ART_OF_BOOK

رفع عيليه لها يبتسم بسمة مريبة وكأنه قاتل متسلسل وفي الحقيقة ولولا انها تعرفه حق المعرفة لقالت أنه سفاح، فكيف بالله يصل لتفكير كل مجرم يتعامل معه؟

- الظاهر بقى إن القاتل لما وصل للشخص التالت واللي هو سامر، فشلت كل طرق إنه يوصله لمشهد انتحاري سينمائي زي ولاد عمه، وعشان كده لجأ للحل الأخير، رصاصة في القلب.

تنهد يعود بظهره للخلف مبتسمًا بسمة واسعة:

- في الحقيقة القضايا كلها مكانتش تحت إشرافي، بس أول ما شوفت التقرير افتكرت سعد وجمعت بيانات التلاتة وعرفت إنه فيه حاجة غريبة، اللي قبله مكانوش انتحار وسبق وقولت كده، لكن عبلته مكانتش مستعدة تعافر في موضوع ممكن يمس سمعتهم فقفلوا القضية على إنها انتحار للاتنين.

وهذه كانت من المرات القليلة التي تصمت هند وتفتح المجال أمام رجل ليتحدث لها دون أن تقاطعه أو توقفه، لكن الرجل أمامها كان يتحدث بكلمات هي تحتاج إلى سماعها كي تستطيع إكمال الخيوط في رأسها.

وخالد فقط يتابعها بصمت، يراها تنظر أرضًا وكأنها تفكر في شيء ما، قبل أن ترفع عينيها إليه تهتف برجاء لأول مرة:

- ممكن تقابلني بعد الشغل؟ محتاجك تبلغ الفريق المعلومات دي عشان ممكن معرفش أوصلها بطريقتك.

@ART_OF_BOOK

ثانيا خالد من طلبها وهو يطاول النظر إليها لدوان، ثم ودون وعي هز رأسه بالموافقة للمرة وسمعها وهي تشكره، ثم تهتهت تردد بجدية:

- تمام أقابلك بعد الشغل بإذن الله.

***

هذه المرة الخامسة تقريبًا التي يطرق بها الباب دون رد، والمرة العشرة التي يلعن بها أسامة واليوم الذي استحكمت به نظام المحسوبية العمل في مصر ليصبح هو من بين جميع البشر قائده.

ومن بين سخطه وغضبه وتضرعاته لله أن يصب غضبه على أسامة، وجد الباب أمامه يُفتح بقوة ويطل عليه رجل بملامح ساخطة غاضبة ينفخ بصوت مرتفع الماء تحرك كفه على وجهه ينفض لعاسه بعدما أبقاه جلال من نومته الحبيبة.

- إيه يا جدع أنت، حد يضبط على حد كده في الوقت ده؟!
- وقت ده إيه؟!

نظر في ساعة يده يتأكد من الوقت وقد كانت الساعة الخامسة عصرًا تقريبًا، رفع عينيه صوب الرجل مجددًا يحاول التحدث، لكن الأخير تأفف حينما سمع صوت رنين الهاتف في الداخل ليغلق الباب في وجه جلال بقوة وكأنه هواء متحركًا للداخل حانقًا.

- يا رب نخلص بقى من القرف ده على المسا.

@ART_OF_BOOK

وجلال ما يزال أمام الباب يحدق به دون فهم لما حدث منذ ثوانٍ، وكان أول رد فعل فعلها أنه استدار حول نفسه يتأكد أن لا أحد أبصر إهانته تلك، بعدها عاد يحدق بالباب مجددًا يحاول التنفس بشكل يهدئ من ضيقه، ثم ابتسم بسمة صغيرة يرفع كفه طارقًا الباب مجددًا.

دقائق مرت حتى فتح له الرجل الباب وهو يتحدث في الهاتف:

- بقولك مش محايا فلوس وأعلى ما في خيلك اركبه يا محمن، إيه هوا فزا مش لمسه عاطيك جزء من أسبوعين؟

تحرك الرجل داخل المنزل تاركًا جلال يراقبه بعدم فهم، هل يدخل أم ينتظر؟! لكنه قرر في النهاية الدخول للمنزل يدور بعينيه في المكان، كان منزلًا متهالكًا رثًا، تتعجب إن وجدت ركنًا به خاليًا من الشقوق، أثاث المنزل كان عبارة عن بعض الوسائد في الأرض وأمامهم طاولة خشبية بثلاثة أرجل، والقدم الرابعة يضع محلها إناء ماء بلاستيكي.

نظر إلى الجدران والصور التي تعلوه، ومن ثم حرك عينيه في المكان يبحث عن شيء غريب ولم يجد شيئًا أكثر غرابة من كون المنزل لم يسقط فوق رؤوس قاطنيه حتى هذه اللحظة.

- أنت بتعمل إيه عندك؟

رفع جلال عينيه صوب الرجل وهو يبتسم له بسمة صغيرة بلهاء بعض الشيء:

- كنت... مش أنت اللي قولتلي ادخل؟!
- وأنا أقولك ادخل ليه يا عسل من باقية عيلتي ولا إيه؟

@ART_OF_BOOK

- عسل؟
- اخلص عايز إيه؟! مش فايقلك على المسا.

ابتلع جلال ريقه وهو لا يعلم ما عليه فعله، فأسامة لم يخبره حتى ما يجب عليه فعله، هو أخبره بالبحث عما يخص راضي، والآن ماذا؟

- عم راضي، كنت جاي أسال عن عم راضي.

نظر إليه الرجل وهو يضع سيجاره في فمه بضيق وتأفف، يجلس على الوسادة التي كانت ملقاة أرضًا ليخرج منها غبار جعل الرؤية في المكان غير واضحة لثوانٍ.

- وانت بقى عايز إيه من راضي؟
- أصل هو كان له عندي أمانة و...

رفع الرجل عينيه صوب جلال بلهفة شديدة:

- أمانة؟ فلوس يعني؟

رمش جلال وهو لا يعلم ما يحدث حوله وقد شعر أنه يورط نفسه في شيء لا علم له به، لذا رفض التحدث أكثر مع الرجل:

- مقدرش أقولك إيه الأمانة لأنها تخص عم راضي و...
- يا صاحبي راضي الله يرحمه من سنين أنا مرتضى أخوه الصغير، يعني اي امانة أخويا كان سايبها ليك تبقى ليا.
- ليه أمال فين ولاد عم راضي؟ هو مش كان ليه ولاد؟! أصل هو قالي أديهم لولاده لو هو مش موجود ف

@ART_OF_BOOK

نهض مرتضى بلهفة شديدة يتحرك صوب جلال يحرك يديه في الهواء:

- ولاد مين يا عم صلي على النبي، أخويا أساسًا مكانش ليه غير بنت وحدة هجت مع جوزها لبلاد برة، فأي حاجة محاك اديها ليا أنا.

- أيوة بس أنا اللي باعتني موصيني إن لازم عم راضي بس اللي يسلم لأ حد من عياله، بعدين ازاي بتقول عم راضي ميت وأنا كلمته من أيام على رقمه؟! أمال أنا كنت بكلم مين؟

ختم حديثه وهو يخرج بسرعة هاتفه من جيب بنطاله يتقرعلى شاشته باحثًا عن رقم العم راضي بشكل محموم يعرض الرقم أمام مرتضى يتساءل بجدية وفضول:

- هو مش ده رقم عم راضي برضه؟!

فرك مرتضى عينيه وهو يحاول رؤية الرقم بشكل صحيح وجلال يترقب، ودقات قلبه تعلو بشدة، حتى كادت تتوقف حين سمع صوت مرتضى يصدح بجملة غريبة:

- أيوة هو رقم راضي، بس ازاي بتكلمه أساسًا وتليفونه معايا جوا مركون ومحدش بيستخدمه؟

صمت ثم أردف بمزاح وهو يسحب بعض الأنفاس من سيجارته:

- إيه الأمانة كبيرة أوي كده عشان المرحوم يكلمك شخصيًا من التربة ولا إيه؟!

@ART_OF_BOOK

ومن لم صدحت ضحكة مرتفعة بعد كلماته، لكن جلال في هذه اللحظة كان فقط يرتجف من الصدمة والرعب.

- يعني محدش بيستخدمه؟!

- لا يا خويا محدش بيستخدمه حتى مش عليه رصيد وجيت أبيعه مش جايب همه فقولت خليه يمكن سعره يزيد أنت عارف سوق المحاميل بيزيد كل يوم.

نظر إليه جلال بوجه شاحب وهو يبتلع ريقه محاولًا أن يتمالك نفسه:

- طب معلش ممكن توريني التليفون ده، يعني عشان أطمن وأتأكد من الموضوع قبل ما أسلمك أي حاجة.

لمعت عينا مرتضى بقوة وهو يتحرك صوب الداخل بسرعة ولهفة:

- يا سلام أوي أوي.

غاب لثوانٍ، كان جلال خلالها يحاول تمالك نفسه وهو يلطم وجهه برعب:

- يا مصيبتك يا جلال يا مصيبتك.

فجأة عاد مرتضى ليعتدل جلال في وقفته يلتقط منه الهاتف بيد مرتجفة وهو يحاول ألا يسقط مغشيًا عليه، وقبل التحدث بكلمة وجد الاثنان مجموعة من الرجال يقتحمون شقة مرتضى مع أسلحة بيضاء وأحدهم يهتف بصوت جهوري وهو يتحرك صوب مرتضى يسحبه من ثيابه:

- كنت بتقول إيه بقى في التليفون يا روح أمك؟!

@ART_OF_BOOK

مجددًا، النادي نفسه، والأشخاص نفسهم، دخله أسامة بهدوء وبكل بساطة بتصريحه الخاص وقد كان من الصعب دخول هذه النوادي إلا إن كنت من المشتركين به أو رفيق لأحدهم.

توقف بسيارته في مكان جانبي بعدما فشل في إيجاد مكان جيد في الأمام، يهبط وهو يتحرك داخل المكان يبحث بعينيه عن أحدهم حتى أبصرها ليبتسم كاشفًا عن أسنانه.

يدور في النادي على مقربة منها وهو ينتبه لكل حركة تصدر منها، محاولًا ايجاد فرصة ليتفرد بها بعيدًا عن الجميع وخاصة ذلك الشاب الذي كان يقف له كالشوكة في الحلق آخر مرة.

لكن يبدو أنهم لا يَلتَوُون الرحيل بسهولة، طلب مشروبًا وقضى قرابة النصف ساعة، وعيناه تدوران على سارة ومن معها، وقد انتوى أن لا يرحل اليوم إلا حينما يتحدث معها.

دار بعينيه في المكان وهو يبحث عن شيء يساعده لتسريع وتيرة هذا الأمر، يحرك عينيه بين الأشخاص حوله، حتى توقفتا على صورة شخص مألوف له ليبتسم وهو ينهض يتحرك صوبه.

- صباح الخير.

استدار الرجل والذي كان رجل الأمن نفسه الذي أرشده سابقًا لأصدقاء سامر.

نظر إليه الرجل وهو يهز رأسه بهدوء له:

- تفضل ازاي أساعدك؟!

@ART_OF_BOOK

- انت مش فاكرني ولا إيه؟!

نظرإليه الشاب بعدم فهم، ليبتسم أسامة بسمة واسعة وهويعرفه على نفسه:

- انا أسامة. كنت قابلتك قبل كام يوم كده لما سألتك عن ساهروقولتلي إنه اتوفى.

والرجل يحاول التذكر حتى هزرأسه وقد كانت الذكرى ضبابية أوربما غير مهمة له ليتذكرها:

- أيوة يا فندم اتفضل ازاي أساعدك؟

نظرأسامة مجددًا صوب سارة ومن معها يهممن بهدوء:

- في الحقيقة الأمانة اللي كنت محتاجها من ساهر، هي حاجة خاصة بيا، وأنا مقدرتش أتكلم بيها قدام صحابه، بس ساهر سبق وقالي إنه فيهم شخص ممكن يساعدني لو مقدرتش أوصل ليه وأعتقد إنه الشخص ده ممكن يساعدني أوصل للي محتاجه. فمحتاجك تساعدني أكلمه بعيد عن الكل لوسمحت الموضوع خاص جدًا.

نظرالرجل صوب الجهة التي ينظرإليها أسامة يهتف بتخمين لأنه يعلم أن أقرب الجميع لساهركان:

- أستاذ معتزقصدك؟
- لا الالمسة سارة.

@ART_OF_BOOK

نظر إليه الرجل بذهول شديد وكأنه يتعجب التقاء سارة بالتحديد من بين كل رفاق سامر، لكن أسامة قطع كل نظراته تلك وهو يبتسم بسمة صغيرة يخرج من جيبه قطعة نقدية يدسها داخل جيب الرجل:

- أرجوك محتاج الأمانة دي بشكل ضروري وأعتقد هي اللي تقدر تساعدني.

نظر الرجل إلى جيب سترته لثوانٍ قبل أن يبتسم بسمة صغيرة ويخرج القطعة النقدية يضعها في يد أسامة مجددًا:

- ولا يهمك يا باشا احنا في خدمتك ثواني هبلغها إن حد محتاج يتكلم معاها، تحب أبلغها تقابلك فين؟

نظر أسامة إلى النقود بكفه مبتسمًا قبل أن يرفع عينيه صوب الرجل:

- ممكن الكافيتريا اللي قصاد صالة الاسكواش هناك دي.

حرك الرجل رأسه بإيجاب وهو يتحرك تاركًا أسامة والذي راقبه يتحرك صوب سارة يقف باحترام جوارها ومن ثم تحدث وهو يشير على المنطقة التي أخبره بها أسامة ورحل.

ابتسم أسامة بسمة واسعة وها قد ألقى سلارته، بقي سحب الطعم.

خطا بهدوء صوب الكافيتريا التي أشار إليها سابقًا للرجل، في الوقت الذي ارتفع به رنين هاتفه، أخرجه يتحدث به بهدوء:

- ألو يا فوفا طمنيني...

@ART_OF_BOOK

فجأة توقفت أقدامه بصدمة يستمع صوتها وهي تردد بلهفة كبيرة وعدم تصديق بينما كانت في طريقها خارج القصر بعدما حارت ما تريد ولم تلتظر حتى عودة بسملة لإكمال ما كانت تفعل:

- التليفون يا عو... لقيت تليفون المجني عليه.

***

- إصرارك على مقابلتي للمرة التانية ده شيء غريب، ولولا إنك متعرفنيش كنت قولت إنك معجبة وبتتحججي كتير عشان تقابل.

كانت كلماته تخرج من فمه بسيحلة خبيثة وهو يحدق في هند التي حركت خصلاتها بعدم اهتمام، تلتقط كوب الماء أمامها ترتشفه بهدوء شديد ولامبالاة:

- أخرك تحلم إني أبصلك أساسًا.

انطلقت ضحكة طارق ترن في أرجاء المكتب وهذه المرأة أمامه كانت حقًا مريبة ومثيرة للاهتمام بشكل غريب.

- اممم أمال، أعتقد تحقيقك معايا كان مجرد جمع أدلة بسيطة لأني مش متهم، ليه بقى طلبتي تقابليني تاني؟
- ومين قالك إنك مش متهم؟!

اعتدل طارق في جلسته وهو ينظر إليها بجدية بعيدًا عن مزاحه وقد بدأت ملامحه تنقبض بشكل غريب، وهي فقط ابتسمت، تتناول كوب القهوة الخاص بها تشرب منه بتمهل واستمتاع، تأخذ كامل وقتها في الأمر، وهو ورغم كل خلايا جسده التي

@ART_OF_BOOK

تطالبه بالانفجاروتحطيم شيء في هذا الوقت، إلا أنه تماسك يعطيها كامل الوقت للمستفزه.

- كل إنسان في دايرة علاقات المجني عليه متهم حتى تثبت الأدلة إنه مش كده، وأنت حتى الآن مفيش دليل يبراك.
- ولا فيه دليل يتهمني.
- دي مسالة وقت يا عزيزي.

ضرب طارق المكتب بغضب شديد لم تفزع منه هند ولم تهتم وهي تحرك عينيها من يده صوب وجهه تبتسم له بسمتها نفسها التي لم تهتز مقدار شعرة:

- قبل الاحتفال الخاص بالعيلة يوم الجريمة اتعرف إنك مكنتش في الحفلة من بداية اليوم ووصلت هناك متأخرعن الباقيين بساعات.

نظر إليها بعدم فهم:

- أيوة كان عندي شغل واجتماع مهم خلصته وروحت هناك.
- بس مش ده اللي قولته لما حققت معاك أول مرة.
- لأنه مش مهم و...
- لا لأنه دليل يثبت إنك لفترة من الزمن مكنلش مع عيلتك وكنت بعيد عنهم، وقت كافي إنك تتفق مع اللي هيقتل أو ترتب جريمة مثلًا.

نهض طارق بغضب من مكانه صارخًا بجنون:

- ده أخويا، انتِ بتتهميني إني قتلت أخويا؟ اتجننتي

@ART_OF_BOOK

- انا متهملش، انا بواجهك بكدبك، لو عايزني أتهمك انا جاهزة عامة، الولك بدل الدليل تلاتة وأربعة إنك متهم رئيسي في الجريمة دي.

بتشر إليها بصدمة من كلماتها بينما هي نهضت تواجهه بعينين مشتعلتين تتحدث بنبرة قوية كما كان يفعل قبل قليل:

- عدم ذكرك أمر الاجتماع في كلامك، قدرتك الجميلة على تحليل جملة أخوك من نظرة المتأرض إنها مصدومة، قدرت تحدد احنا في الرصاصة، ده غير قدرتك العالية على التيشان حسب معلوماتي، والرسالة اللي ذكرتها واللي ملهاش اي اثر في مسرح الجريمة ومش بعيد تكون أخدتها عشان تساعد المتهم أو تخفي هويته.

تلفس طارق بصوت مرتفع وهو يصرخ بصوت حاول أن يجعله ثابتًا:

- انا مقتلتش أخويا.
- بس بلمساعد القاتل بسكوتك عن الأدلة.

كانت تصرخ مقابله، وهو شعر بعدم قدرته على استمرار هذا الحوار اكثر ليصرخ في المقابل:

- أنا مش بساعد حد، أنا بهور على اللي عمل كده في أخويا ولما أوصله مش هرحمه، وباللسبة للجملة والرصاصة فأنا ليا طرقي اللي اشوف بيها الجملة قبل اللتشريح وأعرف كل ده.
- والرسالة؟!
- مفيش رسالة.
- بس أنت قولت...

@ART_OF_BOOK

- اثبتي.

كانت كلمة قاطع بها أي محاولات في استدراجه وقد ادركت هند في هذه اللحظة أن الرجل أمامها الآن منيع وحقير، لا يرضخ ولا يتوتر ولا يتزحزح.

هزت رأسها بهدوء ومن ثم تساءلت بجدية:

- تعرف إيه عن جواز أخوك؟
- أعرف إيه يعني اللي كل العيلة تعرفه، هو وبسملة كده

ابتسمت وهي تهمس:

- لا يا أستاذ طارق مش بسأل عن بسملة، انا بسألك عن مرات اخوك الأولى، سارة.

والصدمة التي اتضحت على وجه طارق في هذه اللحظة كانت أكثر من كافية لتخبر هند أنها أصابت الوتر المناسب، أما عن طارق فقد تراجع بصدمة يهتف بكلمات مرتجفة:

- أنتِ عرفتي منين عن سارة؟
- وانت مش عايزلي أعرف عنها؟ عامة الموضوع أبسط مما تتخيله، مفيش معلومة مش بتوصل ليها كلها مسألة وقت يا أستاذ طارق لغاية ما القاتل يقع بين إيدينا.

ارتجف فك طارق للوانٍ وهو يهمس بصوت منخفض:

- عايزة إيه أنتِ دلوقتي؟!

@ART_OF_BOOK

بهمست بانتصار:

- تحكيلي بالظبط عن سارة وازاي بقت مرات أخوك؟!

***

- انت قصدك إيه؟!

تراجع أسامة للخلف مبتسمًا بسمة واسعة وهو يبصر ملامح الرعب التي علت وجه سارة بعدما أبصرت بطاقته الشخصية.

- أنا هنا عشان أساعدك، محتاج بس كام سؤال تجاوبي عليهم عشان تطلعي من أصابع الاتهام.

سقطت دموع سارة وهي تشعر أن قلبها سيتوقف من شدة الرعب بعد ما أخبرها به أسامة، لتلعن نفسها حين أعلنت عن سرها الدفين والذي أجبرت قدميها على دلله بعد التهديدات التي وصلت لها.

- أنا معملتش حاجة، والله ما ليا علاقة بيه هو... هو اللي....

صمتت وهي تشهق بصوت مرتفع تضع يدها أمام فمها تهتف بصوت مرتجف:

- أنا... هو اللي...

دفع أسامة الكوب أمامها بملحها فرصتها للتلمس وهو يبتسم لها بلطف:

- اهدي يا سارة أنا هنا بحاول أساعدك. وصدقيني لو كنت ناوي ليكي ضرر مكنتش جيبتك بالشكل ده وكنت بعتلك استدعاء رسمي للقسم.

@ART_OF_BOOK

شحب وجهها اكثر وهي تتحدث برعب:

- لا لا... قسم إيه لا لا... ده كان أهلي قتلولي اكترما هما متبربين مني.

اعتدل في جلسته يلتقص بهدوء:

- والسبب جوازك من سامر؟!

هزت رأسها باكية وهي تحاول أن تتحدث من بين شهقاتها:

- يا ريتني ما صدقته، يا ريتني ما عرفته ولا شوفته، سامر دمر حياتي وسابني بعد ما مات أواجه لوحدي.

ضيق عيليه، بدعي التفكير:

- مش ده كان اختيارك من الأول؟ حسب علمي إنك أنتِ اللي دبرتي لجوازك منه.

توقفت فجأة عن البكاء بعينين ملسعتين وصدمة واضحة على وجهها، ترفع رأسها له وقد شعر أسامة في هذه اللحظة أن روح الفتاة سُحبت منها:

- أنت بتقول إيه؟ مين قالك كده؟ ده هو... والله هو اللي ضحك عليا، وبعدين قالي هتجوزك، قالي إنه هيتجوزلي رسمي بعد لما يقنع أهله، وعيال عمه كانوا شهدوا على عقد الجواز و.... انا دبرت ازاي؟ أنت بتقول إيه؟ بتقـول إيه؟

@ART_OF_BOOK

شدم أسامة من انهيارها وصراخها الهستيري وهي تضرب الطاولة وقد بدا له أن الثلاثة أمامه على وشك السقوط أرضًا من صدمتها، وهذا جعله يلعن لفسه لتلهام بمثل هذا التحقيق في هذا المكان العام.

- طب اهدي يا سارة أنا هنا معش...

لكن سارة لم تتوقف وهي تنظر إليه بعينين حمراوين وشكل محموم تهتف بصوت حارلت جعله منخفضًا وجسدها بالكامل يرتجف:

- هو اللي ضحك عليا وبعدين عشان يسكتني كتب عليا عرفي بشهادة عيال عمه سعد وعادل، ووعدني إنه مش هيتخلى عني ومحتاج وقت يواجه عائلته ويبني جوازه المخطط من بلت عمته، أنا.... عيلتي... أنا هربت منهم لو عرفوا حاجة زي دي احتمال يقتلولي.

صمتت وهي تراقب أسامة بملامح شاحبة وهيئة مبعثرة تهتف بصوت مرتجف:

- أنا حياتي ادمرت بعد ما مات، لا أنا قادرة أخد حقي من عيلته ولا أنا قادرة أرجع لعيلتي، دمرلي حياتي ومات.

صمتت وهي تتحدث بكلمات يبدو أنها لا تشعر بها:

- لو كان لسه عايش أنا كنت ممكن أقتله بنفسي، بس للأسف شخص تالي سبقني.

ختمت حديثها بملامح مذبوحة ولقد بدا في هذه اللحظة أنها جادة في كل كلمة قالتها. هي بالفعل كانت على استعداد للقتل ساهر مرة ثانية إن كان حيًا.

@ART_OF_BOOK

- بس تعرف الغلط في الأول والأخير مش عليه هو بس، الغلط مشترك، ان اللي أذيت نفسي بمعرفتي بيه، هو أخد جزاته واتقتل بشكل يناسبه، وأنا أخدت جزاتي بإني أعيش متعلقة كده بعد موته.

ختمت حديثها في اللحظة التي وصل بها أحد رفاقها والذي كان لمسه رؤوف الذي عرفها في المقام الأول على ساهر بتحدث بجدية بعدما انتبه لما يحدث:

- فيه حاجة يا سارة؟!

كان يتحدث وهو يمسك يدها بينما سارة ضربت يده بغضب وقد امتلأت فجأة حنقًا وسخطًا على الجميع، وشعرت في هذه اللحظة برغبة عارمة في تحطيم وتدمير كل شيء، لذا خرجت من النادي ركضًا تعلم الطريق الذي ستسلكه، فإن لم تتجوهي بقاربها المثقوب، إذن لتغرق السفينة والجميع.

***

وصلت الفندق تلتظر في منطقة الاستقبال بعدما صعدت غرفتها أخذت الهاتف الذي وجدته، ثم هبطت تلتظر أسامة بهدوء حتى أبصرته يتقدم منها بسمة:

- فوقا.

كان يتحدث وهو يفتح ذراعيه بحنان وقبل اقتراب عفاف منه توقف يسمع رنين هاتفه الذي انطلق في المكان، أشار إليها بهدوء وهو يرفع إصبعه، يجذبها جواره بحنان يجيب جلال والذي تعجب عدم اتصاله منذ رحل.

- ألو يا جلال، وصلت لإيه؟!

@ART_OF_BOOK

- للقسم.

وبرة جلال الغريبة جعلت جسد أسامة يلتفض في وقفته، يتحرك بعيدًا عن ضوضاء المكان صوب النافذة في هدوء وعفاف تتحرك خلفه برعب أن يكون شيء أصاب جلال:

- جلال مالك؟!
- الحقني يا عوا أنا متاخد القسم في قضية، تعالى طلعني من هنا.

لثانيت ملامح أسامة بصدمة مما يسمع:

- قسم إيه يا متخلف أنت، ما توريهم بطاقتك يا جلال أنت بلستهبل؟!
- ما أنت عارف إني سايبها رهن عند بتاع الموتوسيكل، قولتلك يا أسامة صلح الموتوسيكل خليني أجيبها، عاجبك اللي حصل فيا بسببك ده؟!
- بسببي أنا يا حيوان؟! اتليل قولي قسم إيه خليني أتليل أشوف هعمل إيه.

كل هذا وعفاف تتابعه بريبة وبمجرد أن أغلق الهاتف نظرت إليه بقلق:

- أسامة فيه إيه؟ قسم إيه ده اللي جلال فيه؟
- فيه إيه! فيه إني خلاص جبت آخري من جلال والله العظيم خلاص أنا روحي هتطلع منكم.

ختم حديثه يتحدث بسرعة خارج المكان تاركًا عفاف تر اقب اثره بصدمة كبيرة:

- طب وأنا مالي طيب؟ أسامة استنالي.

@ART_OF_BOOK

ركضت بسرعة خلفه صوب السيارة الخاصة لتصعد معه، بينما انطلق هو بالسيارة بسرعة مرعبة وقد كان جنونه يسبقه صوب جلال، في اللحظة التي كانت هند قد وصلت بها مع خالد تهبط من سيارتها تنظر صوب سيارة أسامة بصدمة.

- إيه اللي بيحصل؟

نظر إليها خالد بعدم فهم، لكن فجأة وجدها تصعد للسيارة، ليصعد خلفها بسرعة كبيرة وهي انطلقت بالسيارة خلف أسامة.

واسامة كان قاب قوسين او أدنى من الانفجار، يقسم أنه إن أبصر جلال في هذه اللحظة سوف يقتله، سوف يقطعه اربًا، فقط يبصره.

***

- جلال؟

كانت صرخة أسامة المصدومة حينما أبصر جلال يجلس في أحد ممرات قسم الشرطة مع ملامح مشوهة من الضرب لتلمع عيناه بشر وهو يهرول صوبه بصرخ بجنون:

- مين عمل فيك كده؟!

كان يتحدث وهو يمسك وجهَ جلال ليتأكد أنه بخير، وعيناه تشتدّ سوادًا، ويشتعل الشرد اخلهما حينما أبصر إصابات جلال.

في اللحظة التي اقتحمت بها هند المكان لتبصر هيئة جلال وتفزع من منظره تتحرك صوبه متحدثة بشر بفوق شر أسامة:

@ART_OF_BOOK

- ليه اللي حصل؟

ابتسم جلال براحة بمجرد أن ابتسرهم وهو يشير صوب المكتب الخاص بخالد الشرطة، يحاول أن يحسن مما حدث له ويقلل من مقدار الضرر الذي أصاب صورته الشامخة في عيون الجميع:

- متقلقوش انا برضه ضربتهم كتير أوي، بس هما كانوا أكتر مني والكثرة تغلب الشجاعة و...

أمسكه أسامة من كتفه وقد كانت دماؤه تغلي داخل عروقه مما حدث لجلال:

- اخلص وقولي ليه اللي حصل بدل ما أدخل اكسر المكتب على دماغ اللي جوا.

امسكت عفاف يده وهي تحاول أن تهدئه، لكن أسامة لا يبصر سوى جلال الذي كان مصابًا بشكل جعله يجن جنونه، شعر بالوجع وهو يتخيل جلال وحده يُضرب هناك بلا حول ولا قوة من مجموعة كبيرة العدد، وكل هذا بسببه لأنه أرسله وحده، لكنه بقسم لم يكن يعلم أن شيئًا كهذا سيحدث.

تحدث جلال وهو يبتسم بسمة صغيرة يرسم به صورة غير مبالية لما يحدث وكأنه معتاد على الصعاب في حين أن جسده يصرخ من الوجع:

- الراجل اللي روحتله البيت عشان أسأل عن راضي، كان مديون لجماعة بلطجية جم لبيه وأنا هناك وحصلت خناقة حاولت أهرب منهم بس هو قالهم إن معايا فلوس وهو هياخدها ويديها لهم وحشرلي في الموضوع فدوروا فيا وفيه الضرب.

@ART_OF_BOOK

وكان هذا مختصر ما حصل ولم يذكر جلال أي إضافات أو في الحقيقة لم يمنحه أسامة الفرصة لذلك وهو يتحرك صوب العسكري بستاذنه للدخول وتبعته هند التي كانت مشتعلة بغضب يوازي غضب أسامة، بينما ظلت عفاف في الخارج مع جلال وكذلك خالد الذي كان يتابع ما يحدث بهدوء وترقب.

- ده أنت مبقاش فيك حتة سليمة يا ولداه، ابقى فكرلي أجيبلك كمادات تلج لأحسن وشك بتنفخ.

نظر جلال صوب عفاف والتي نظرت إليه بشفقة وحزن وقد كان جلال أصغرهم عمرًا ورغم كل ما يفعل، ورغم كل تأففهم الذي يظهرونه إلا انه يعني لهم أكثر مما يتوقع هو، وهي تعلم يقينًا أن زوجها لن يخرج من المكتب خلفه إلا بعدما يثأر لجلال.

وقد كان.. فأسامة بمجرد دخوله الكب يضرب مَن بالداخل دون أن يتحدث بكلمة حتى وهند تحاول جذبه بعيدًا عنهم والضابط تهض يصرخ به أن يتوقف، وقد عمت الفوضى في المكان،

وأصوات الصراخ تخرج للجميع من المكتب، وعفاف تراقب تنتظر أن ينتهي كل هذا وينتهي هذا اليوم على خير.

***

بعد ساعات كان الجميع يجلس في غرفة صغيرة داخل مشفى خاص في الإسكندرية وعفاف تربت على كتف أسامة تحاول تهدئته، بينما هند تنظر حولها وهي تمازح جلال حتى يتناسى ما حدث له:

@ART_OF_BOOK

- والله يا شباب كبرتوا الموضوع، مستشفى خاصة وأوضة خاصة ومصاريف، كان ممكن دكتور خالد يلملم الدنيا بشوية شاش وقطن.

رفع جلال عينيه صوب خالد الذي كانت ملامحه غامضة بشكل غريب لا يظهر على وجهه أي علامات لأي تعابير، رغم النيران التي كانت مشتعلة داخلة وهو يرى تحدث هند بهذه الأريحية مع جلال. وهذا ما لم يعتده منها.

- ليه هو دكتور إيه؟

ابتسمت هند بسمة باردة مستفزة وهي تنظر إليه ببرود:

- لشريح.

دفعها جلال بعيدًا عن فراشه بغضب لتتفجر في الضحك، وخالد يجلس يتابع كل ذلك بملامح باردة ولولا قبضة يده التي كان يضغطها بقوة لما علم أسامة أنه يشتعل داخلها.

رفع حاجبه بابتسامة مصدومة، ينظر صوب عفاف التي لم تكن تبصر ما يحدث. والفكرة تثير الضحك "أحدهم يغار على هند من جلال".

تعدلت هند بعد وصلة مزاحها مع جلال:

- صحيح مقولتش لي الأخر وصلت لحاجة ولا الضرب كان على القاضي؟!

رفع جلال ذقنه بكبرياء:

- عيب يا ماما أنتِ بتكلمي جلال الأبنودي، يعني الحنكة والمهارة والخبث، طبعًا وصلت.

@ART_OF_BOOK

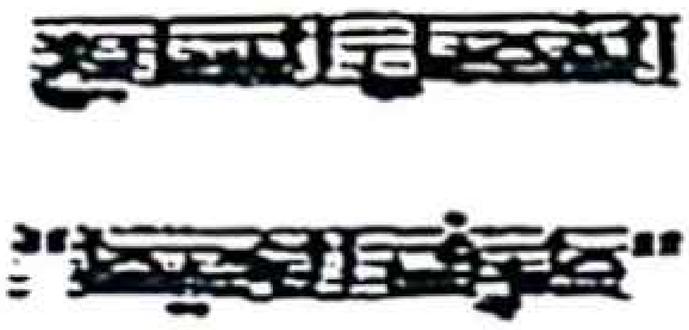
- وصلت لإيه بقى؟ لقيت راضي عايش ما هوانا اتوقع كل حاجة في المهمة المريبة دي؟

ابتسم بسمة ملتوية وهو يخرج الهاتف من جيبه:

- ملقيناش عم راضي، بس لقيت تليفونه لقيته، ومش هتصدقوا لقيت عليه إيه.

* * *

@ART_OF_BOOK



حلقت نظرات الفضول حول رأس جلال الذي كان يرمي معلوماته ويلتقط لثوان حتى تلقى صداها المطلوب منهم، قبل أن يشعر بيد هند ترتفع في استعداد لضرب رأسه ليتحدث بسرعة وهو يتراجع للخلف:

- فيه رسايل غريبة موجودة في صندوق الواردات. عاملة زي الشفرات كده.

انتزعت منه هند الهاتف بلا مقدمات وهي تفتحه بسرعة تتوجه صوب صندوق الرسائل تبحث به عن ذلك الشيء الغريب الذي يتحدث عنه جلال. لتجد رسائل تتكون من كلمات قليلة مقتضبة غير مترابطة ورسائل أخرى من رموز بلا كلمات، رفعت عينيها صوب أسامة الذي مد يده يطلب منها الهاتف لتفعل وتعطيه له وتلتظر أن يصل لشيء ربما، كل هذا وخالد يلتزم الصمت ويتابع ما يحدث بفضول ولأول مرة يحضر تحقيقًا مع هند ويرى ذلك الجانب منها.

انتبه لصوت أسامة الذي ضيق عينيه وقد استهدفت نظراته جزء معين من الرسالة بعيدًا عن الشفرات:

@ART_OF_BOOK

- تواريخ الرسايل آخرهم يوم الجريمة.

رفع نظره إليهم وقد ابتسمت بسمته:

- معنى كده إنه أيًا كان بقى الشخص اللي كان بيستخدم التليفون وبيبعت عوض فهو شخص له علاقة بالجريمة أو على أقل تقدير ملمتر على معلومات تخصها.

نظر صوب هند يلقي لها الهاتف لتلتقطه بسرعة وهو يردد بجدية:

- بكرة تتحركي لمختار وحاولي تعرفي صاحب الرقم اللي كان بيكلمه والرسايل المشفرة دي لعبتك يا هند مش هوصيك.

ابتسمت هند له بسمة واسعة ومن ثم استدار أسامة صوب خالد بلتقط نظراته التي تدور بين الجميع قبل أن تتوقف في محطتها المعروفة والملشودة؛ وجه هند.

- بعتذر على اللغبطة دي، متعرفناش كويس، أنا أسامة. ودي عقال مراتي وأكيد عرفت جلال.

ابتسم لهم خالد بسمة صغيرة بمد يده لأسامة برقي وسلام شديد تعجب أسامة عن كيفية الدماجه مع شخص ديناميكي كهند؛

- خالد المصري، دكتورة في مشرحة إسكندرية.

رحب به أسامة ومن ثم هتف بجدية:

- هند قالت إنك عندك أدلة مهمة بخصوص الجريمة.

@ART_OF_BOOK

حزن راسه بحركة موافقة لكلماته ومن ثم حاول تلخيص ما حدث باسلوب مبسط وقد ظهر على عفاف الاهتمام الشديد بعدما ألفت أذنها ما يتحدث بشأنه.

- أثناء الفحص الظاهر والتشريح لجثة ساهر كان سبب الوفاة المعروف هو الطلق الناري، وده هو السبب بالفعل، بس تقرير المعمل الجنائي أثبت إن كان فيه نسبة ضئيلة تكاد تكون منعدمة من مادة هيدروسيانيك.

رفعت عفاف حاجبها بعدم فهم:

- السيانيد، ومالوش عليه ازاي؟!
- اللي حصل ورجحنا الأمر إنه بسبب نسبته الضئيلة أو ربما المجني عليه أخد شيء أبطل مفعوله مع إن ده مستبعد شوية.

صمت لم أضاف بعدما أبصر التيه الجميع:

- الفكرة مش هنا لأنه كده كده مات بالرصاصة مش بالسم، الفكرة إن ده كان نفس السم اللي التحريه سعد ابن عم ساهر.

ومن ثم لا شيء، لا ردة فعل ولا شيء فقط صمت وكأن خالد للتو منحهم الرابط الذي سيربطون به الثلاث جرائم معًا بعدما كادوا يسلمون أنهم مجرد جرائم للحار لا علاقة لهم بقضية ساهر.

هتفت عفاف بذهول:

- طب والجثة التانية اللي هي بتاعة عادل أخو سعد؟!

@ART_OF_BOOK

- عادل حسب التقارير فهومات متنحر بقطع في الشريان الرئيسي ومفيش اي اثر للسم ده.

مال أسامة يستند على ركبتيه بيديه وهو يضمهما لوجهه مفكرًا وصوتٌ غريب يرن في أذنه.

" هو اللي ضحك عليها وبعدين عشان يسكتني كتب عليا عرفي بشهادة عيال عمه سعد عادل....."

- سعد عادل، سعد وعادل وساهر وسارة.

كانت أسماء يرددها أسامة بهدوء وهو يدور في الغرفة وعقله يحاول تحليل ما يحدث حوله والجميع يراقبه بلا ردة فعل، ينتظرون لحظات تحليله التي انتهت بالفعل ونظر إليهم يلقي بالدليل الذي خرج به من تحقيقه مع سارة.

- حسب كلام سارة فالمفروض إن ساهر هو اللي ضحك عليها، وكتب عليها عرفي عشان يلم الليلة بشهادة سعد وعادل، مش كدي ما حنان قالت إنها هي اللي رمت بلاها عليه.

أضافت هند بجدية وهي تتذكر كلمات طارق وقد ارتفع صوتها بسخرية:

- وده نفس اللي قاله طارق، نفس كلام جدته، إن البلت هي اللي ضحكت على أخوه ودبسته في الجواز منها.

صمتت ثم أضافت بضيق:

@ART_OF_BOOK

- على أساس الراجل مسكين أوي وهي اللي بالنهاب وقرون، بعدين ما طبعي بدافعوا عنه ما هو اينهم أكيد مش هيظلموه زيادة واين ....

اتسعت عينا خالد مما قيل على مسامعه وقد ابتسم بعدم تصديق من شخصية هند، بينما هند شعرت بالفقاعة التي كانت تحيطها بسبب الغضب تنفجر لتبصر حولها ما يحدث، وتبصر صدمة خالد.

احمر خدها وهي تنظر أمامها تتلاشى النظر إلى وجهه تحت تشنجات عفاف والتي التهت أخيرًا لما يحدث، بينما عاد أسامة لحديثه السابق:

- وأنا كمان حسيت نفس الشيء، الهلت كان ردة فعلها كبيرة جدًا وكانت هتنهار، ده غير إنها شكلها مكانتش بالية على حاجة واعترفت إنه لو كان لسه عايش كانت هي اللي قتلته.

وضعت عفاف كفها على خدها وهي تهتف بتفكير:

- بسملة دي برضه غريبة الهلت بتقول الكلمة وعكسها، مش واعية للي بتقوله وطول الوقت متوترة، ده غير إني لقيت في الأوضة بتاعتها تليفون القتيل.

رافقها الكل بصدمة مما وصلوا له، وأسامة جلس وأخيرًا بعدما شعر بالإرهاق لكثرة ذهابه وعودته يجلس على الأريكة يحاول التفكير وربط الخيوط.

- دلوقتي احنا عندنا خيط بربط بين التلاتة جرايم والخيط ده له علاقة بشكل أو بآخر بجواز ساهر من سارة، ده غير إننا عندنا واحد منتحل شخصية راضي واشتغل في الفيلا من غير ما حد يعرف ومن غير ما

@ART_OF_BOOK

بتسجل في أوراق العاملين، ومن غير شهود على وجوده يوم الجريمة غير اشرف اللي بشكل أو بآخر تم تجاهل التحقيق معاه.

صمت يضيف مجددًا ببسمة غير مصدقة لما يجده في طريقهم:

- ده غير تليفونه اللي عليه رسايل مشفرة آخرها يوم الجريمة، وغير الرسالة اللي طارق اتكلم عنها وملعرفش عنها أي حاجة.

تدخلت هند توضح هذه النقطة:

- أنكر كل شيء يخص الموضوع، وشكل كده الرسالة دي فيها شيء ممكن يدمر سمعتهم أو بيخبيها علشان يعرف الجاني مثلًا.

تدخل خالد وهو يطرح تساؤله بعدم فهم لكل ذلك:

- ثواني بس تليفون القتيل والرسالة وكل ده بيكون في مسرح الجريمة، ازاي أخدوهم بدون بصمات، إلا لو كانوا رابحين عاملين حسابهم في جوانتات.

وعفاف عبرت عن حيرتها في الأمر تضيف بشك كبير:

- وبالنسبة إن بسملة أساسًا يوم الجريمة المفترض إنها كانت في باريس عشان الفستان، ازاي وصلت للتليفون؟

وهذا سؤال آخر ليؤرق عقولهم، كل شيء يدور في دائرة مفرغة لا فرار لهم منها.

تحدث أسامة بتفكير:

@ART_OF_BOOK

- وكمان باللصبة لراضي هل عنده أولاد؟! ما ممكن مقلا واحد من ولاده اللحل شخصية أبوهم المتوفي عشان يعمل اللي عايزه ومعدش يوصل لبه، ولا إيه يا جلال وصلت لشيء يخص عيلة راضي؟!

لكن جلال لم يتحدث بكلمة، رفع له أسامة رأسه ولم يكد يبادر بتكرار سؤاله، حتى ادرك أن جلال الآن غادر عالمهم وذهب في رحلة لعالمه الموازي، حيث يدهس راية أسامة ويقود فريقهم، وضع أسامة يده على وجهه وهو يتنهد بصوت مرتفع يستغفر ربه بصوت مرتفع، وهند التوى فمها بحنق وهي تتحرك لتوقظ جلال:

- أنا هصحيه.

وقبل التحرك أمسك خالد مرفقها بسرعة ينظر إليها نظرة غريبة جعلتها تنظر إلى يده بحدة وهو يقابلها النظرة بحدة أكبر من خاصتها وكأنه يتحداها، أما عن أسامة فكان يتابع ما يحدث مع عفاف بسمة مصدومة، والاثنان لا يصدقان أن هند في هذه اللحظة تتعرض "للقمع الذكوري المتعسف" كما كانت تحب أن تصف هذه التصرفات قديمًا.

همس أسامة بدبرة متعجبة:

- مش مصدق إني شايف بعيوني واحد بيتحكم في هند وبيغير عليها.

وعفاف فقط حركت رأسها بصدمة وهي تراقب ما يحدث:

- أنا مش مصدقة إن هو بيغير عليها من جلال.

***

@ART_OF_BOOK

عين بمجلس في مكتبه وهو شارد في نقطة بعيدة عنه بعيد لقاءه مع تلك المحتالة المستفزة والباردة والـ..

قاطع أفكاره صوت مرتفع في الخارج وهرج جعله ينتفض عن مقعده. يتحرك بسرعة صوب الباب بعينين مشتعلتين يفتح الباب صارخًا دون رؤية ما يحدث

- فيه إيه أنت وهو؟ قلهناها سويعة ولا إيه؟

تحدثت المساعدة بسرعة وهي تشير إلى رجل الأمن أن ينتهوا من الفتاة بسرعة.

- أسفين يا طارق باشا. حالًا هنتصرف يا فندم.

لكن وقبل اقتراب الأمن من المنسيب في هذا الهرج رفعت الفتاة يدها في الهواء وهي تصرخ بجنون وقد بدا أنها لا تعي ما تفعل:

- قسمًا بالله خلقني لو حد لمسني لأكسر إيده ومش هخرج من هنا غير بروحه وبفضيحة تقفلكم أم المخروبة دي.

كانت تتحدث بشراسة مرعبة وصوت بدا وكأنه خرج من قعر الجحيم. وضاق صدر الشاب ما تفعل بعينين متسعتين لا يعلم من هي وما سبب ما تفعله. وقبل أن يقرر التساؤل عما تريد. كانت هي ترفع عينيها تنظر إليه بشكل مباشر جعله يتوتر لحظيًا من نظرتها والتي بدت كمن يثقبه برصاصة:

- أنت بقى طارق باشا؟

نظر إليها طارق بتعجب وما زال لم يتعرف عليها التهم بسمة صغيرة

@ART_OF_BOOK

- أكيد مش عارف شكلي. بس عارف اسمي. أنا أبقى سارة يا طارق بيه. تعب أوضحلك سارة مين ولا الصورة وصلت؟

تبسمت عينا طارق وقد كانت تلك المرة الأولى التي يبصر بها سارة لوبتلع ريقه وهو يبتعد عن باب مكتبه بهدوء يشير إليها باحترام لتناخل:

- اتفضلي لشوف ازاي اقدر أساعدك.

تبسمت بسمة سارة بسخرية وهي تتحرك صوب المكتب تردد بصوت وصل له فقط:

- بقى وصلت.

بعد طارق وهو لا يدرك على يلتقي هذا اليوم يا ترى؟!

من مصيبة لأخرى.. تحركت داخل المكتب يراها تتطر حولها في المكان بهدوء. وهناك كانتا بارودين وبينهما مسافة.. فجأة توقفت عيناها على صورة تعلو مكتبه نه وتسمر. أمسكها تطالعها بعينين غاضبتين من أي مشاعر. قبل أن تستعيد له بهدوء شديد وبسمة صفراء غريبة:

- تفتكر ابني كان هيبقى شبه أبوه؟

شعب وجه طارق بقوة وشعر أن ضربات قلبه توقفت لثانية من الزمن قبل أن تعشه في ضحكة صفراء وكلمة جعلته يتنفس:

- متقلقش ما أخوك خلاني أستحفظ. أصله بيحب يتصفى من ورا قفايه.

أغمض طارق عينيه بقوة وهو يهتف بصوت حاول صبغه بشدة اشمئزاز:

@ART_OF_BOOK

- انتِ طالبة إيه دلوقتي؟! على حسب معرفتي إن كل ده كان بمزاجك يعني أخويا مجبرش حد وكمان أنتِ اللي خطفتي لده من الأول.

ضحكت ضحكة مرتفعة وهي تتحرك في المكان بهدوء:

- بمزاجي فعلًا، أحسن حاجة إنكم مقتنعين إن أخوك كان الملاك البريء اللي العيبة متطلعش منه وكل اللي حواليه هما اللي مزبوش. إيه يا باشا هو أخو حضرتك مقالكش إن الحوار كله بدأ بالاعتداء عليا؟

تابعت صدمته الواضحة على وجهه لتكمل بكل بساطة وهي تضع قدمًا فوق الأخرى تخفي ارتجاف جسدها من البقاء أمامه بعد كل ما سمعت عنه:

- أصل واضح كده إن أخو حضرتك يعني كان ما شاء الله عليه عنده موهبة تأليف رائعة وماشي بألف قصص ويصدقها عن إني أنا الحيوانة اللي غرغرت بيه، طلب والله عيب عليه، كنت هقولك تسأل عادل وسعد مين اللي بدأ لأنهم كانوا حاضرين بس هما كمان سبقوه.

رفع طارق عينيه لها وقد اشتعلت بغضب مرعب وهي فتحت ابتسمت:

- وبما إن أخوك الجميل اقتنع الكل إني أنا اللي بدأت، فخليني أنا اللي أنهيها.
- عايزة إيه؟

نظرت إليه لثوانٍ وهي تفكر فيما ستفعل، ستبخس نفسها للمرة التي لا تعلم عددها، لكن كان هذا طوق النجاة الأخير لها لتنجو من هذه الحياة القذرة ولتعزل الجميع، لتتحدث بدموع قهر وغضب مدفون:

@ART_OF_BOOK

- ورقة رسمية تثبت إني كنت متجوزة وورقة طلاق رسمية تثبت إني اتحررت من قذارتكم.

***

كانت النظرات المتبادلة بين هند وخالد كافية لتشعل المشفى وما يحبطها. لكن لسامة فصل كل ذلك بأن أخبرهم أن يدعوا جلال يرتاح قليلًا فقد عانى كثيرًا خلال اليوم. وربما يستيقظ كان الجميع يعمل على تحليل الأدلة التي جمعوها.

- كده احنا عندنا معلومة إن سعد وعادل وسامر التلاتة متورطين في مشكلة سارة، يعني ممكن اللي قتل يكون سارة نفسها او تكون أجرت حد تبعها للموضوع.

كانت تلك كلمات عفاف التي قاطعت بها الصمت السائد في المكان، بينما أسامة يتابع أمامه ورقة الأدلة بشرود قبل أن يتحدث بتخمين:

- ممكن تكون هي اللي عملت كده انتقامًا على اللي حصل لها، خاصة إن نظراتها مكانتش بتلقي أبدًا رغبتها في قتل ساهر.

صمت للوان بينما هند شردت لحظات قبل أن تنظر صوب خالد تهتف بتفكير:

- خالد فاكر الخدش اللي كان على رقبة ساهر وقولت إنه خدش أظافر بنت وكان غالبًا مع ست قبل قتله بساعة؟

هز خالد رأسه وقد شعر أنه استشف ما تفكر به وقد صدق حدسه حينما قالت بنبرة صغيرة:

@ART_OF_BOOK

- طب ما ممكن تكون البلت دي كانت سارة؟ أصل الأظافر دي كانت محاولة مقاومة، ما ممكن يكون الحيوان ده حاول يقرب منها بالإجبار.

أضافت عفاف بتخمين وهي تتابع ما تقول هند:

- ولسبة السم ممكن تكون مثلًا هي حطت ليه سم في العصير وهو مكملش وحمن بحاجة عشان كده اللسبة كانت ضليلة.

كل ذلك وأسامة يتابع ما يحدث وعقله يدور في نقطة معينة، ينظر صوب عفاف مضيقًا عينيه:

- بسملة قالت اتصلت بيه قبلها بساعة، يعني لو أثبتنا إن البلت اللي كانت معاه سارة ممكن نعرف إذا كانت بسملة صادقة في كلامها ولا كانت بتخبي عننا حاجة.

هزت هند رأسها بحماس وهي تحمل بين قبضتها هاتف راضي:

- وراضي ده اعتبر موضوعه اتحل أنا وراه لغاية ما أعرف اللي حصل، بس الفكرة لو الاتهامات كلها بتدور حوالين سارة إيه دخل الحارس اللي كان مسي نفسه راضي؟
- ممكن تكون عطيته رشوة عشان يسهل دخولها القصر في اليوم ده، وممكن يكون هو اللي ساعدها برضه عشان توصل الاتنين اللي قبله للانتحار، مليون سبب ممكن يخلها تشتري واحد عشان رغبتها.

@ART_OF_BOOK

كانت تلك كلمات خالد الذي شعر برغبة عارمة في مشاركتهم التحليل، وقد كانت تلك الأسرار التي تعرض أمامه تستفزه للمشاركة، وكما قيل سابقًا فأطباء اللشريح يمتلكون تفكير مجرمين.

نظرت إليه هند لثوانٍ قبل أن تبعد عينيها عنه، تهز رأسها باقتناع، بينما أسامة بدأ يفكر في القادم يوزع في عقله الأدوار لتغطية ما يحدث قبل أن يستدير صوب هند يتحدث بجدية:

- هند عايزك تحققي مع منصور ويسري، وأنا هدور على عيلة الشخص اللي اتحرق في الشركة، محتاجين نكتشف إن الموضوع ملوش علاقة بالشغل عشان نحصر الاحتمالات في سارة.

أومأت هند برأسها بهدوء وهي تبتسم بسعادة وقد شعرت بالحماس يندفع لأوردتها وهي تقترب من حل هذه العقدة، بينما استدار أسامة صوب عفاف يهتف بجدية:

- عفاف أنتِ محاكِ تليفون الضحية مش كده؟ مهمتك تخرجي منه أي دليل ممكن يساعدنا، وكمان عايز عيونك متغبش عن بسملة، وأنا هكون حوالين سارة وشهاب وصحاب ساهر.

نظر أخيرًا صوب خالد يردد بجدية كبيرة:

- دكتور خالد مش عارف أشكرك ازاي على مساعدتنا، تعبانك محانا.

اعتدل خالد في جلسته يعطي كامل انتباهه لأسامة، مبتسمًا بسمة صغيرة يهز رأسه ببساطة وهدوء:

@ART_OF_BOOK

- ولا يهمك انا في الخدمة اي وقت.

امتسم له أسامة ونظر امامه وهو بر القب جلال ينتظران بقيق من غفوته وعقله يعمل على جمع كل ما يستطيع لمواصلة كل هذا. بينما شعرت هند بأن الغرفة تخنقها خاصة مع نظرات خالد التي تكاد تحرقها. لذا استأذنت بهدوء تخبرهم انها ستذهب لإحضار بعض الطعام والمشروبات للجميع.

وخالد يتابعها بعينين غانمتين وقد اشتد فكه بغضب من هروبها وجبنها، لكن يكفي ثلاث سنوات، يكفي هروبًا كل هذا. انتفض من مكانه يتحدث بكلمات مقتضبة يستأذن من الجميع للرحيل، يغادر مهرولًا خلف هند تاركًا أسامة بر اقبه بعدم فهم. بينما عفاف نظرت إلى أسامة تحاول فهم ما يحدث:

- هو فيه حاجة بينهم ولا أنا اللي شكلي فهمت غلط؟
- لا يا فوفا مفهمتيش غلط. شكل هند عندها تجربة سابقة ومين عارف يمكن ده اللي لسعها القلم اللي خلاها تمشي تلطش في الرجالة.

ضحكت عفاف بصوت منخفض وهي تنظر تهز كتفها، ليجذبها صوبه بحنان برت على كتفه وهو يعود برأسه على ظهر الأريكة يتنهد براحة هامسًا:

- بإذن الله نخلص من كل ده ومعوضك يا فوفا عن شهر العسل اللي باظ.

***

خرجت من المشفى وهي تتنفس بصوت مرتفع تهرول بخطوات سريعة صوب السيارة بغية الهروب من تأثيره عليها، ظنت أنها نسيته، ظنت أنها تخطت كل ذلك، ظنت أنها كرهت كل ما يتعلق بالحب والمشاعر والرجال، كانت كلما شعرت

@ART_OF_BOOK

يضمك غلات نفسها بالكره وذكرت نفسها بما حدث. ارتجف صدرها وهي تشعر بغصة تتحكم حلقها.

لا، ليس مجددًا هند تجاوزنا كل هذا. تجاوزنا كل هذا منذ سنوات ليس مجددًا.

- هند.

توقفت أقدامها على صوت أقدامه خلفها وهي تتنفس بصوت مرتفع كي تتحكم في غصتها. تستدير ببطء له مبتسمة ببرود شديد:

- نعم يا دكتور.
- هند بصي اسمعيني بس م...
- متأخر يا دكتور والله.

ولم تكد تتحرك لتهرب من أمامه من مواجهة رفضت خوضها قديمًا، ولن تخوضها الآن. لكن يبدو أن خالد قد وصل لحافة صبره يمسك مرفقها وهو يجذبها بغضب لتقف أمامه صارخًا بصوت حاد:

- وبا ترى متأخر ليه؟ عشان الكونتيسة هتد رفضت زمان تقف تسمعني وقررت خلاص إني حيوان وخاين بدون ما تسمع مبررات و...
- مبررات إيه؟ مبررات إيه أنت مصدق نفسك يالا؟

اتسعت عينا خالد بصدمة:

- يالا؟!

لكن هند لم تستمع له وهي تصرخ بجنون:

@ART_OF_BOOK

- ميرات لايه؟ ميرات لانك كنت متجوز وجاي تحسب فيا وتبلبلي لسه على خمبتك، وهتجوزك وهتخلفلك، وتالي يوم لجبلي المدام بدعوة الفرح؟

كانت تتحدث بقوة وهي تضرب صدرها، وهو يراقبها بعينين ملسعتين وفكين مصدومة جعلته يفقد قدرته على الصمت، بينما هند رفعت يديها تحركهما في الهواء تتحدث بقوة وتجبر:

- انت مش مكسوف من نفسك، بالله عليك ما مكسوف من نفسك وانت واقف قدامي دلوقتي تتكلم معايا ولا كأن فيه حيوانة قاعدة في البيت عشان تفقد طلبات مني السيد لما يرجع من الشغل؟!

كل ذلك وخالد يستمع لها وهو ما يزال غارقًا في صدمته، لكن فجأة حينما وصلت لكلماتها الأخيرة تحرك لها بغضب وهو يشير بيده أمامها:

- انتِ يا بت هبلة، عبيطة، مرات مين يا متخلفة انتِ، أنا عمري ما اتجوزت، ولو بتتكلمي على ميران فهي كانت خطيبتي وفسخت معاها أساسًا.

كانت هند تتنفس بصوت مرتفع وهي تنظر إليه بشر:

- والله مرات خطيبتك بلت أختك، مبقرفش معاها غير إنك كنت بتكلمني وعلقتني بيك، وأنت فيه على اسمك بنت تانية و....

أصمتها خالد بجنون وهو يرفع يده في الهواء وكأنه على وشك لكمها، قبل أن يعض قبضته بعصبية كبيرة يحاول أن يهدأ وقد بدا أن غضبه قاده صوب طرقات لا

@ART_OF_BOOK

يمكن أن يملكها، وما كاد يتمالك نفسه حتى أبصر نظرة الاستخفاف الخاصة بها تتلمس وهو يتحدث إليها:

- هتقابلي عليك. أنا كنت متخيل فاسخ معاها من قبل ما أعرفك. ولو كنت كنتي نفسك وقراتي دعوة الفرح اللي جات توديها لبيت كنت هتشوفي الشارع قدهم لكن احنا اتفصلنا بعد حوارات كتير.

نظرت إليه بصمتة من كلماته، وهو لم يصمت بل أكمل بجنون:

- تلات سنين، تلات سنين يا هند قضيت منهم سنة بحاول أوصلك بعد ما غيرتي عنوان سكنك وغيرتي كل حاجة، كل ده عشان غبائك وتخلفك.

كانت تتابعه وهو يتحدث ووجهها محمرّ بشدة قبل أن تتسع عيناها وهي ترفع إليها نعوه لتصرخ في وجهه بصوت أشد قوة من خاصته:

- الغباء والتخلف ده اللي مكنش صريح من البداية. يعني حضرتك لو قولت كل ده أول ما اتعرفت عليها مكنش وصلنا لهنا.
- أقولك ازاي وأنتِ كل القطر مستنية تمسكي عليا غلة عشان تسودي عيشة اللي خلفولي.
- ما أنتم اللي كلكم خاينين، ومكسّش أمان.

كان هذا الجدال الحاد على مرأى ومسمع من الجميع حولهم، حتى أنه وصل لغرفة جلال، حيث يقف أسامة مع عفاف يتابعان ما يحدث في المكان وأسامة يردد بنبرة ساخرة:

- شمتنا الراجل، شمت متعفنة من قبله، لله يعتبه ويلعنه.

@ART_OF_BOOK

- تفتكر المفروض نقولهم يوطوا الصوت شوية؟!

ابتسم أسامة بسمة واسعة وهو يشاهد ما يحدث لهند بتشفي بعد كل ما فعلت له وكل العذاب الذي كانت تسببه له:

- لا سيبهم شوية والأمن هيجي يطردهم هما الاتنين.

في الأسفل كان الجدال ما يزال محتدمًا بينهما، حتى رفع خالد يديه وكأنه يعلن استسلامًا من هذا الحوار:

- تعرفي، أنتِ عندك حق، أنا فعلًا غبي ومتخلف عشان لسه بعالر لي قضية خسرانة، خلاص يا هند كملي حياتك لوحدك، اياكش ينصبوك رئيسة لمنظمة حقوق المرأة، دافعي عن قضايا مش موجودة وعافري عشان حرب خلصانة، وعيشي وحيدة.

ختم حديثه وهو يتحرك بسرعة بعيدًا عنها والغضب يكاد يحفر الأرض أسفله من عنف خطواته، تاركًا هند مكانها وهي تنظر أرضًا دون كلمة واحدة، نظرت إلى الأعلى لتبصر أسامة وعفاف بر اقبانها، فابتسمت بسمة صغيرة ومن ثم تحركت صوب سيارتها بسرعة بعيدًا عن المكان بأكمله.

بينما أسامة والذي كان منذ ثوانٍ سعيدًا متشفيًا بما يحدث لهند، شعر فجأة بالحزن لأجلها والغضب من خالد يحرك يديه بحنق:

- هو ماله ده بيكلمها كده ليه، هو بيطول؟

نظرت إليه عفاف بسخرية، بينما أسامة نفخ بضيق:

@ART_OF_BOOK

- اتصلي بهند يا عفاف بلاش تسيبها لدماغها لأحسن دي ممكن تهب منها وتعلنها حرب على الرجالة كلهم.

***

وبالفعل، في الصباح التالي، تواصلت هند مع أسامة عبر رسالة تخبره بأنها في طريقها الآن للتحقيق مع منصور ويسري، ثم ستجلس لفك شفرات الهاتف. كما أرسلت رقم الهاتف الثاني إلى مختار ليبحث عن هوية الشخص الذي كان راضي يتواصل معه. أما عن أسامة فقد انكب منذ الصباح يحاول الوصول لبيانات توصله لهوية الشخص الذي انتحر ذلك اليوم في الشركة بسبب يسري. وبالفعل بمبلغ مالي لأحد عاملي النظافة في مجموعة الخواجة استطاع الوصول لهوية ذلك الرجل، بل وعنوانه كذلك؛ لذا تحرك بسرعة بسيارته وهو يتحدث في الهاتف مع عفاف التي كانت في طريقها صوب السوق للبحث عمن يمكن أن يساعدها لتصليح الهاتف المدمر:

- ألو يا اسامة انت فين كده؟
- انا في طريقي رايح لبيت سامي، الشاب اللي انتحر قبل كده في شركة الخواجة، وانتِ فين كده؟! إيه الصوت اللي حواليكِ ده؟
- انا في السوق بدور على واحد هيصلح التليفون ويساعدني نفتحه.

أومأ بالإيجاب وكأنها تبصره يتحدث بهدوء وهو ينحرف من الطريق الرئيسي صوب اخر فرعي وقد بدأ الطريق الممهد يختفي تدريجيًا ليحل محله طريق آخر متعرج.

- جلال فاق وبقى كويس؟
- ايوة، وكمان راح يحقق مع الحاج بلال زي ما طلبت منه.

@ART_OF_BOOK

تهد بصوت مرتفع وهو يتوقف جوار أحد المحال:

- لهكش بس بسلك. المهم خلي بالك من نفسك وكمل حاجة كمان

وقت عليه عفاف بالإعجاب، تتحرك داخل أحد المحال التي أبصرت واجهتها بعض أجهزة إلكترونية عدة بعضها جديد والآخر يبدو مستعملا. تنس فاتنا في حقيبتها بعدما أبصرت شيخا طاعنا في السن يجلس هناك ويضع أمامه "توب" أمامه، لتقترب منه بخطوة صغيرة:

- السلام عليكم.

رفع الرجل نظره صوب عفاف وهو يعتدل من وضعية لتقاربه يبدو مرتعشة، يحاول عبثا عليها، يحاول اكتشاف هويتها:

- عليكم السلام، أمري يا بنتي.
- الأمر لله وحده يا حاج، أنا بس كنت جيالك محتاجالك تساعدني عشان نصلح التليفون ده، أصل هو وقع من أخويا في الحمام والكسر شاشته.

نظر الرجل إلى الهاتف بيد عفاف قبل أن يهتف بصوت مرتجف بعض الشيء، جعل عفاف تدرك أن مهمتها هذه لن تكون سهلة كما توقعت.

- أيوة بس ده مفيش فيه زراير ولا حاجة.

نظرت عفاف إلى الهاتف للثواني قبل أن تعود للرجل تحاول فهم ما يقصد:

- أيوة ما هو ده... عشان يعني ده تليفون تاتش.

@ART_OF_BOOK

- إيه؟
- تليفون تالش يا حاج، يعني عدة من غيرزرايرعادي باللمس كده.
- والله يا بلدي ما عارف أنتِ بتقولي إيه، بس عمومًا اسمعني حفيدي لما يجي من البيت هويشوف اللي بتقوليه ده لأن هو اللي بيفهم في الحاجات دي أنا بس بفتح المحل لغاية ما يصحى.

نظرت عفاف إلى الجهاز أمامه مشيرة له بعدم فهم:

- أمال يا حاج اللابتوب اللي قدامك بتعمل فيه إيه لما أنت مش بتعرف تصلح الحاجات دي؟!

نظر إليها الرجل لثوانٍ قبل أن يعيد نظره صوب الجهاز يطيل النظر به:

- إيه اللابتوب ده؟ يعني ده مش أتاري؟

استندت عفاف بيدها على المكتب جوارها ومن ثم مالت بوجهها على يدها تتنهد بصوت مرتفع:

- آه يا حاج أتاري، كمل اللي كنت بتعمله وأنا هستنى حفيدك هنا لغاية ما يصحى بالسلامة.

***

- لو سمحت، تعرف فين بيت الأستاذ سامي عبدالله؟!

أشار الرجل والذي كان يدفع عربة توابل صوب منزل على بعد ثلاثة منازل يتحدث بهدوء:

@ART_OF_BOOK

- هو النهيت اللي هناك بتلون الأصفر ده. روح هناك واسأل عنه.

شكره أسامة بهدوء وتحرك بسرعة صوب المنزل الذي كان يقبع في نهاية شارع ضيق. يقف أمام بوابته بر الميه بهدوء قبل أن يرفع يده ويطرقه منتظرًا الرد. وبعد ثوانٍ فُتح الباب وأبصر فتاة صغيرة تنظر إليه ببراءة:

- مين؟!

ابتسم لها أسامة بلطف:

- بابا موجود هنا يا عسولة؟!
- بابا محمد؟

ورغم أنه لا يعلم مَن محمد هذا، لكنه هز رأسه رغبة في الحديث مع أي بالغ في المنزل؛ كي يتأكد أنه في المكان الصحيح.

اختفت الفتاة لدقيقتين ثم عادت مع شاب يبدو في أواخر عقده الثالث يقترب من الباب بملامح متعجبة:

- خير يا أستاذ، بتسأل عني؟

نظر إليه أسامة للثوانٍ ومن ثم تساءل بهدوء أولًا:

- حضرتك تعرف الأستاذ سامي عبد الله؟

انكمشت ملامح محمد بقوة وهو ينظر إلى طفلته بشير لها أن تتحرك داخل المنزل، يرفع عينيه صوب أسامة بهدوء:

@ART_OF_BOOK

- انت عاوزله من أخوها الله يرحمه؟

تبسم أسامة وقد أدرك أنه وصل للمكان الصحيح يرفع يده بمأمورية المصافحة:

- أسامة العوضابط تحقيقات ممكن أخد من وقتك دقايق؟!

***

- قالولي إنك عايزة تقابليني. اتفضلي خير؟!

تحت جملة واضحة بدأ بها منصور حديثه بمجرد استقبال هند في مكتبه، وإن كان يظن أنه بحديثه الواضح هذا سيتسبب لها بالإحراج ويجعلها تخرج باكية فقد اختار المرأة الخطأ.

وضعت هند قدمًا فوق الأخرى وهي تبتسم بهدوء له:

- يزيد فضلك يا منصور باشا، مش هاخد من وقتك كتير عامة، بس هما كام سؤال وهمشي.

صمت للوان وهي تنظر إليه وهو فقط يظهر تأففًا ورفضًا لهذه الجلسة ككل.

- يوم الجريمة حضرتك كنت موجود فين؟!
- أعتقد إنكم عارفين إننا كلنا كنا متجمعين سوا عشان العملة.

رفعت حاجبها من طريقته الواضحة ولولا ضميرها لوضعت أدلة تثبت أنه القاتل وإن لم يكن لتتخلص من هذا الوغد الوقح.

- معلش عايزة أسمعها منك، عشان على قد عقلي يا باشا.

@ART_OF_BOOK

زفر بضيق وهي لا تهتم حقًا إن كان مفتاظًا أو يشعر بالضيق، بل في الواقع هذا سيسعدها وسيكون من دواعي سرورها أن تتسبب في إفساد يوم هذا الرجل.

- كلنا روحنا حفلة في مركبة عشان الفرح ده.
- مش غريبة يا باشا، إنكم تعملوا فرح وتحتفلوا بعد شهرين من انتحار ابنك؟ ده دمه مكانش برد في التربة حتى.

وما هي أصابت هند سهمها الهدف المحدد إذ أبصرت جسد منصور بالنفض والغضب يملأ صدره وهو يتحدث بصوت منخفض حاقد:

- ده قرار من الحاج بلال إن اولادي أقل من إننا نحزن عليهم، وإن موتهم كان باختيارهم، وإن كفاية فضايح، هو أساسًا عمل الفرح بأسرع وقت عشان يغطي على أخبار الانتحار.

صمت للثوانٍ، يرفع كوب الماء يرتشفه دفعة واحدة، وقد أوشك على الانفجار في هذه اللحظة وهند ادعت الشفقة والحزن:

- حضرتك محاولتش تدوروا الموضوع، مش يمكن فهمتوا غلط؟

نظر إليها بعدم فهم وقد انتبهت كافة حواسه لهند، والأخيرة بكل خبث قررت استخلاص المعلومات منه تحت تأثير الغضب والحقد الذي قد يجعله يخرج أسوأ الأسرار المختبئة لديه.

- اتأكدت منين إن اولادك ماتوا منتحرين؟ مش يمكن اللي قتلهم حب يوصلكم فكرة إنهم انتحروا؟!

***

@ART_OF_BOOK

يجلس في المكان نفسه مع الرجل العجوز ذاته الذي يهاتف كل ثانية. وجلال فقط لا يفعل سوى أنه يزيد من تأففه وحنقه.

- يا ابني ما تنطق، مقعدلي قدامك من شوية وساكت، قول أي حاجة قبل ما أمشي من قدامك تاني والمرة التالتة والله ما هاجي و...

لمحه جلال فجأة وهو يهتف بجدية لا يعلم من أين استمدها:

- البوابة الخاصة بالقصر.
- مالها؟!
- بتفتحها ازاي؟

رفع بلال حاجبه بعدم فهم، بينما جلال ابتسم وهو يميل عليه يهتف بصوت خافت:

- هل ممكن حد من برة يفتحها لو مفيش من جوا حارس مثلًا يفتحها؟!
- ممكن لو محاك جهاز تحكم، بس غالبًا بيكون فيه حارس يفتح من جوا.
- طيب والحارس ده كان فين يوم الجريمة؟

لمعت عينا بلال وهو يحاول تذكر الأمر:

- معرفش المفروض كان فيه واحد بس تقريبًا استأذن عشان ظروفه في نص اليوم.
- غريبة مع إن الكاميرات مجابتش أي حد واقف عند الباب طول اليوم، ده غير إن في التحقيقات متذكرش إن كان فيه حارس بوابة.

توتر بلال وقد شعر أن كلمات جلال بها اتهام له أو ما شابه:

@ART_OF_BOOK

- معرفش هو جه واستأذن ولا هو مجاش من أساسه، مش أنا اللي برتب المواضيع دي، فيه مسؤول عن العاملين في القصر هو اللي مختص لي كل ده.

- طيب تفتكر كان فيه حارس على الباب هنا باسم راضي؟

نفى برأسه جاهلًا هذا الأمر وقد كان بلال بالفعل لا يدرك هذا الأمر حتى. هو كان بعيدًا كل البعد عن الخدم والعاملين في القصر لا يعلم أسماء إلا من يحتك بهم من الخدم فقط حتى طباخي القصر يتغيرون كل فترة فلا يدرك منهم أحدًا ولد كانوا تحت إشراف غيره.

- معرفش بس ممكن أشوف لك في مستندات الموظفين لو تحب.

- محب جدًا طبعًا.

صمت وهو ينظر إلى الورقة أمامه وقد كانت ممتلئة بالأسئلة التي جهزها الليل كي لا يحدث كما حدث آخر مرة. يحرك أصابعه على الأسئلة أمامه حتى توقف أخيرًا عند نقطة جعلته يبتسم وهو يرفع عينيه لبلال.

- سؤال أخير قبل ما أخلص يا حاج.

منحه بلال إشارة السماح له بطرح السؤال ليفعل جلال سريعًا وهو يردد بهدوء:

- سارة مرات ساهر... تعرف إيه عن جوازها بساهر؟!

***

@ART_OF_BOOK

بيت لجلس في المحل متأففة تلتذكر أن بلتهي العجوز من اللعب بالأجهزة أمامه تتصل بحفيده بستعجل وصوله كما أخبرها، وهي تجلس أمامه بهيئة. قبل أن يعلن هاتفها عن رسالة وصلت لها، رفعت الهاتف أمام عينيها وهي تنقر عليه بلهفة حينما لمحت اسم الشخص من الخارج. ما انتظرته منذ المساء. وصل لها الميرة، لتحت الرسالة بلهفة ليتوقف قلبها للثواني قبل أن تتسع بسمتها بقوة، لسرع لتحرك لباب المحل تتصل بأسامة.

وأسامة على الطرف الآخر كان يجلس أمام محمد يتحدث معه بهدوء حول أخيه وسبب تخلصه من حياته، وشعر باهتزاز هاتفه، رفعه وكاد يرفض المكالمة إلا أنه أبصر اسم عفاف فاستأذن يجيب مخافة أن تكون قد واجهت مشكلة أثناء طريقها،

- ألو يا عفاف.
- عومش متصدق اللي وصلت ليه.

تحرك أسامة من موضعه صوب النافذة بعيدًا عن محمد الذي شرد في أمر المرحوم شقيقه، وأسامة ينظر إليه بطرف عينيه يسمع صوت عفاف المتحمس الذي وصل له من الجهة الثانية وهي تهمس:

- امبارح واحنا بلتكلم في الأدلة وإن إذا كانت بسملة بالفعل اتصلت بساهر أو لا، جه على بالي اتأكد من حكاية بسملة اللي قالتها، وبعت لصاحبتي شغالة في نفس شركة الطيران اللي شوفت تذكرتها من بسملة وبلغتها برقم حجز بسملة وقالتلي معلومة غريبة.

صمتت وهي للنفس بصوت مسموع:

@ART_OF_BOOK

- رحلة بسملة اللي المفروض كانت تتحرك من باريس لمطاربرج العرب بعد الجريمة بيوم اتلغت أساسًا بسبب سوء الأحوال الجوية، وعليه اتصلت بسملة بالشركة وحولت رحلتها وخليتها من باريس للقاهرة قبلها بيوم حسب سياسة الشركة.

اتسعت عينا أسامة مما قيل وصوت عفاف يصدح بالمعلومة الأكيدة:

- يعني بسملة كانت في مصر يوم الجريمة.

***

@ART_OF_BOOK

"[illegible]"

يوم الجريمة...

كان يومًا غائمًا بعض الشيء، مع بعض الهواء اللطيف، طقسٌ مخادعٌ يتذكر في هيئة أجواء لطيفة، ومن ثم يتقلب كل شيء في ثوانٍ.

وعلى عكس الأجواء في الإسكندرية، كانت شمس الظهيرة مرتفعة في القاهرة وكأن لا شتاء حضر في تلك المدينة المكتظة بالمصانع والمنازل، قليلة الأشجار.

خرجت من المطار تجر خلفها حقيبتها، تنظر إلى جدتها التي كانت تحاول اللحاق بها، توقف سيارة أجرة تضع بها الحقائب بسرعة:

- مترجع دلوقتي على القصر ولا نعمل إيه يا تيتة؟!

نظرت إليها حنان بإرهاق بسبب الرحلة الطويلة التي قضتها في الطائرة:

- أمال مندوح فين يعني يا بسملة؟

هزت بسملة رأسها بتوتر وهي تتحدث بكلمات خافتة بعض الشيء بسبب توترها:

@ART_OF_BOOK

- انا شايفة نقعد في شقتنا اللي جنب الموقف الجديد وبكرة الصبح نتحرك على القصر، لأن انا لسه عايزة أجيب شوية حاجات لما أوصل وانتِ عارفة القصر بعيد ازاي عن الأسواق وكده.

تعجبت حنان من تصرفات حفيدتها، لكنها رغم ذلك هزت رأسها تسلندد على ظهر المقعد خلفها تتنهد بتعب:

- اعملي اللي تحبيه يا حبيبتي المهم تخلصي أمورك كلها قبل ما نرجع القصر عشان منضطرش ننزل السوق تاني، ودلوقتي ابعتي رسالة لجدك إننا وصلنا.

ردت بسرعة وهي تتحدث بصوت متوتر اكثر:

- لا مش هينفع أنتِ عارفة جدو هيقلق علينا ويفضل يزن إننا نروح القصر وأنا لسه قدامي حاجات كتير معملتهاش يا نينة، احنا كده كده كان مفروض ميعاد رحلتنا بكرة فبكرة الصبح نتحرك للقصر.

وافقتها حنان وهي تغلق عينيها لترتاح من عناء الرحلة بعدما ألقت نظرة على ساعة هاتفها تتنهد بصوت شبه مرتفع ولا تعي ما يحدث حولها، بينما بسملة أخرجت هاتفها تنظر بطرف عينيها لجدتها تتأكد أنها أغلقت عينيها، ومن ثم أخذت تنقر على شاشة هاتفها تراسل أحدهم، قبل أن تخفي الهاتف في جيبها بسرعة وتوتر، تنظر إلى الطريق أمامها متظاهرة بالشرود وهي أبعد ما تكون عنه، وعيناها تمتلئان بدموع الخوف مما هي مقدمة عليه.

تتساءل إن كانت عائلتها تستحق ما ستفعل، أم أن نفسها تستحق فرصة أخرى للحياة بعيدًا عن كل تلك الصراعات والقاذورات التي تحيا بها؟! وبالفعل وصل

@ART_OF_BOOK

بالاثنان صوب الشقة التي تقبع جوار موقف السيارات. وتحركت حنان لتفرقهما تتناول أدويتها وتسقط في غفوة طويلة تأكدت بعدها ألا تستيقظ منها قبل عودتها، وغادرت متعجلة بما يتقصها من الأغراض. وبمجرد أن خرجت من البناية أخرجت هاتفها تتصل برقم ما وهي تقف سيارة أجرة. صعدت السيارة في اللحظة التي سمعت ردًا من الجهة الأخرى لتتحدث بارتجاف:

- أنا وصلت إسكندرية استناني في المكان اللي اتفقنا عليه، هجيلك حالًا.

***

الوقت الحالي في قصر الخواجة.

طرح جلال سؤاله، وجلس بهدوء يبصر تأثيره على ملامح بلال التي شحبت لثوان قبل أن يحاول التماسك، يضغط على قبضة عكازه، ومن ثم رفع عينيه صوب جلال بهدوء:

- مين سارة؟
- سارة يا حاج بلال، إيه متعرفهاش؟
- معرفش حد بالاسم ده.
- غريبة مع إن كل اللي حققنا معاهم في عيلتك عرفوها.

اشتعلت عينا بلال بتوعد وكأنه يرفض حتى مجرد ذكر ذلك الاسم في نفوس العائلة ولو بينهم وبين أنفسهم، رفع عينيه صوب جلال يبرود:

@ART_OF_BOOK

- هما يقولوا اللي يقولوه أنا بالنسبة ليها مش بحفظ الأسماء اللي مش مهمة، ودي كانت مجرد بلت رمت بلاها على حفيدي عشان تلوسه وبعدين راحت لحالها.

رفع جلال حاجبه بسخرية كبيرة وهو يهز رأسه لبلال:

- ممكن تشرحلي بالضبط اللي حصل من البداية؟
- أشرح إيه بالضبط؟! بقولك بنت رمت بلاها على حفيدي وأخدت اللي فيه النصيب وبعدت.
- بعدت؟ بس حسب معلوماتي فهي فضلت معاه لغاية ما مات، تحديدًا لغاية قبل ما يموت بساعات.

اشتد غضب بلال، وقد بدا ذلك واضحًا على ملامحه وكأنه على وشك ارتكاب جريمة قتل أخرى في هذه اللحظة، والمجني عليه لن يكون سوى جلال.

- أنت قصدك إيه؟!
- أنا هنا اللي بسأل يا حاج، ازاي بتقول بعدت البلت عن حفيدك وهو كان لسه يعرفها لغاية ما اتقتل، عملت إيه عشان تبعدها أساسًا؟!
- هعمل إيه يعني؟ دفعلتها اللي هي عملت كل التمثيلية دي عشانه.

هز له جلال رأسه بهدوء ولم يتفوه بكلمة إضافية، ثم تنحنح بصوت خافت يجمع أوراقه بعدما انتهى مما لديه، وفي الحقيقة لم يعد هناك شيء في عقله ليسأل بلال، فقط طلب منه بهدوء:

- ممكن أوراق الموظفين في القصر لو سمحت؟

@ART_OF_BOOK

نظر إليه بلال بملامح واجمة، وما زال ينظر إليه بغضب، لكنه رغم ذلك تحرك من مكانه ودخل القصر بخطوات عنيفة واضحة، والصوت في عقله يدعوه لإنامة مجازر في حق عائلته بعدما دمروا ما سعى عمره بالكامل يعافر لأجله.

أما عن جلال أخذ ينظر إليه بتعجب من مقدار غضبه لأجل أمر مسارة، لكن لم التعجب وهو تخلى عن حق أحفاده خوفًا من الفضيحة، هذا الرجل كان على استعداد لفعل أي شيء ليفقد سمعة عائلته المزعومة، حتى لو وصل به الأمر للقتل.

***

عاد يجلس أمام محمد يحاول أن ينفصل عن أفكاره بخصوص معلومة بسملة تلك ليركز كافة حواسه على ما يحدث الآن أمامه مع محمد الذي استفاق هو الآخر من شروده ينتبه بكل حواسه لأسامة.

- أيوة اتفضل كنت حابب تسأل عن إيه بخصوص سامي!
- أولًا أنا مقدر طبعًا اللي حصل مع أخوك، والبقاء لله و...

ابتسم له محمد بسمة مقهورة مذبوحة؛

- صدقني أنت مش هتقدر اللي حصل مع أخويا، لأن لو أنت مقدر مكنتش جيت دلوقتي وصحيت جروح بحاول أعالجها.
- أنا بعمل شغلي يا أستاذ محمد و...

قاطعه مرة ثانية وهو يصرخ بصوت موجوع؛

@ART_OF_BOOK

- بتعمل شغلك دلوقتي؟ ومعملتوش شغلكم ليه لما أخويا اتقتل؟ ولا هو الشغل بتاعكم مش بيتعمل غير للي بيدفع، وحتى أخويا ملوش لازمة عشان مش عارفين ندفع؟

نظر إليه أسامة بعدم فهم يحاول أن يدرك ما يقصد محمد:

- مش فاهم قصدك، هو مش أخو حضرتك برضه هو اللي انتحر؟ حق إيه اللي حابب ندور عليه؟

ضحك محمد بصوت مرتفع لا يلائم بأي شكل من الأشكال ما يحدث في هذه اللحظة ولا الحوار القائم بينهما أبدًا، وانهمرت دموعه من بين ضحكاته وهو يهتف بصوت مقهور:

- أخويا اتقتل يا أستاذ، أخويا منتحرش، ده اللي هما حابين يوصلوه للكل عشان يداروا على قرفهم.

اعتدل أسامة في جلسته وهو يحاول فهم ما يقول محمد:

- لا معلش فهمني كده براحة إيه اللي حصل لو سمحت؟!

نظر إليه محمد برفض لخوض حرب خاسرة للمرة الثانية وقد أبصر بنفسه نتيجة حربه الأولى، بعدما هُزم شر هزيمة أمام سطوة المال والسلطة.

- ملهاش لازمة صدقني سبق واتكدبت ومش هتفرق.
- لا هتفرق يا محمد أنت مش عايز تجيب حق أخوك؟

@ART_OF_BOOK

رفع عوليه الباكيتين صوب أسامة وقد بدات دموعه تتساقط اكثر، وهو يتذكر جملة أخيه الممددة في كفنه بلا حول ولا قوة فقط لأنه قال كلمة حق.

- هتجيبلي حقه من مين؟ من اللي بحتيلك عشان حق اليهم؟ بس عارف يمهل ولا يهمل، كانوا سبب إن أخويا يضيع وتضيع حياته. وأهم خسروا تلاتة من أولادهم، ربنا إداني طولة العمر اشوف بعيني رد الظلم اللي حصل لأخويا.

شعر اسامة ان الموضوع أكبر مما يظهر امامه، لذا مال على ركبتيه يستند اليهما بملح كامل انتباهه لمحمد يحاول الخروج منه بشيء يفيده:

- محمد انا مش فاهمك ممكن تفهمني عشان اقدر اساعدك، بتقول أخوك متتحرش واتقتل، مين ده اللي قتله؟!

ابتلع محمد ريقه وقد قرران يثق للمرة الأخيرة في أحدهم ويتمسك في الحبل الأخير لينال قصاصًا عادلًا لشقيقه:

- منصور... منصور الخواجة.

.

***

كانت صدمة منصور كبيرة وهو يشعر بأن أنفاسه قد حُصرت داخل صدره بعدما رفض إخراج أو استلشاق نفس إضافي، وهو يتابع ملامح وتعابير وجه هند بلهفة كبيرة يتحدث بعدم اتزان..

- انتم.... انتم عرفتوا حاجة بخصوص ولادي؟

@ART_OF_BOOK

وهند لم تجب، بل ظلت تتابعه بهدوء شديد، ليتحرك هو عن مقعده بدور حول مكتبه بسرعة كبيرة يتحدث بكلمات سريعة ولهثة، لا يصدق أنه من الممكن أن يمسك بطرف خيط يُطفئ لهيب صدره على أبنائه:

- أنا عارف عيالي لا يمكن يعملوا كده، ليه أصلا يلتحروا؟ ليه يعملوا كده وعشان إيه؟ أنا قلبي حاسس والله إن حد هو اللي عمل كده، ساعديني، أبوس ايدك ساعديني أعرف اللي حصل لهم وأنا هدفعلكم ضعف اللي دفعه أبويا، كل اللي عايزينه معمله بس عرفوني مين عمل كده فيهم.

وهند ظلت صامتة وكأنها بذلك تدفعه لإخراج كل ما يعتمل بصدره، وهو ابتلع ريقه يكمل بصوت مرتجف:

- محدش كان بيحبهم، وأهم حاجة عندهم عيال بمصري، حتى لما ماتوا رفضوا لدور على حقهم عشان سمعة العيلة، طب ولاري اللي متطفلش؟!

بللت هند شفتيها بهدوء وهي تميل عليه تردد بصوت منخفض:

- سمعت إن لما لقيتوا جثثهم كان فيه رسالة جنب كل جثة، تفتكر إيه هي الرسالة؟

غامت عينا منصور بقوة، وقد كانت تلك الذكرى نقطة سوداء في حياته، يرجع للخلف بظهره يحاول أن يعود لتلك النقطة دون أن ينهار، يتذكر صرخات والده وانهيار الجميع حوله وتجمده هو.

@ART_OF_BOOK

- كانت رسالة غريبة إنهم عملوا كده عشان يكفروا عن ذنبهم. وإن كل اللي غلط لازم ياخد تصيبه من العقاب. أنا مش فاهم هنا غلطوا في إيه عشان يوصل الموضوع لانتحار؟

تابع هند كلماته وهي تحاول أن تصل لرابط يربط الثلاث جثث غير سارة. لكن لاشيء. فقط سارة هي الذنب الوحيد الذي قد يجمع بين الثلاثة.

نهضت هند بهدوء من مكانها تشكر منصور بصوت خافت تستأذنه للرحيل مقررة التحرك صوب مكتب يسري لتلتهي من التحقيق معه. لكن وقبل الرحيل أوقفها منصور بصوت مرتجف:

- هلمساعدوني أجيب حق ولادي؟!

نظرت إليه لثوانٍ وكأنها تفكر إن كانوا يستحقون حتى:

- هلمساعدكم ترجعوا الحقوق لأصحابها.

ومن بعد هذه الكلمات اختفت من المكان تاركة منصور يرتجف خلفها بعجز ووجع. وهو يلقي بجسده على الأريكة خلفه يدفن رأسه بين يديه يحاول أن يتمالك نفسه مرة ثانية، وكم كان ذلك صعبًا بعدما سامحت هي في فتح جروح ظن أنه أغلقها قديمًا.

***

كانت عيناها تتحركان مع يد الشاب وهو يفحص هاتفها بجدية. يحرك عليه هنا وهناك، ويد تفحص الهاتف، والأخرى تمنع جده من تحطيم الأجهزة حوله، وأخيرًا ترك الهاتف على الطاولة أمامه يردد بهدوء:

@ART_OF_BOOK

الجهاز بايظ خالص يا آنسة، يعني لو عايزة تصيحتي ممكن نبيعه خردة ونشتري واحد جديد أحسن، لو تحبي انا ممكن اشوفلك حتة لقطة و...

قاطعته عفاف بجدية وهي تميل على المكتب رافضة كل ذلك الهراء:

- لا أنا عايزة ده نفسه لأن فيه حاجات مهمة جدًا وشغل لو ضاع ممكن كلنا نضيع معاه، قولي هتعرف تصلحه ولا أروح أشوف حد غيرك؟!

نظر إليها الشاب من أسفل عدسات نظارته قبل أن يعود للهاتف بر اقبه لثوانٍ، ثم تنهد يقلبه بين كفيه:

- ممكن، بس هيكلفك كتير.
- مش مهم زي ما يكلف، ممكن أستنى هنا لغاية ما تخلص وهدفعلك اللي....

صمتت حين قاطعها هو ببسمة ساخرة بعدل من وضعية نظارته التي كادت تسقط عن أنفه:

- تستني إيه بس يا مدام، الموضوع ده بالميت هياخد تصليح تلات أيام.

اتسعت عيناها بشدة تسخر منه دون شعور:

- تلات أيام؟! أنا عايزاه بالكتير في خلال يوم، أكتر من كده صعب.
- لا حضرتك يوم صعب أوي، كده انا مضطر اسيب كل الشغل اللي عندي وأتفرغ ليه و...

قاطعته بسرعة وهي تقول بلهفة:

@ART_OF_BOOK

تمام أنا موافقة واللي تطلبه هديه ليك ارجوك لان فيه شغل مهم واقف على التليفون.

وافق الشاب سريعًا، وهل كان ذلك عرضًا مغريًا لترفضه؟ واطمأنت عفاف على الأمر وهي تعده بالعودة غدًا مع المبلغ المطلوب، ثم خرجت من المحل وهي تحاول أن تفصل أفكارها عمّا حدث مع الشاب، وتشغل نفسها بأمر بسملة الذي اكتشفته وما يمكن أن يعنيه هذا.

هم بالفعل وجدوا جميع الأدلة تدور بسهولة حول سارة، بل وتلائمها، الآن هل يمكن أن يكون لوجود بسملة في مصر ذلك اليوم أي دليل؟! وإن لم يكن فلماذا اختفت الأمر؟! لماذا لم تتحدث ببساطة؟ ومن ثم حسب معلوماتها فالرحلة وصلت ظهرًا قبل الجريمة بساعات، إن لم تعد القصر أين كانت إذن؟

***

تحرك بسيارته بين الطرقات الشبه فارغة وكلمات محمد ما تزال ترن داخل عقله، لا يصدق ما سمع منه.

"منامي كان شغال عادي في الحسابات، ومن فترة قبل قتله اكتشف اختلاسات في الشركة ولما راح عشان يبلغ كان أقرب حد ليه هو يسري، يسري مصدقش الموضوع خاصة إن اسم أخوه كان في الموضوع، واتهم أخويا إنه متواطئ في الموضوع، أخويا اتصدم من اللي حصل وحاول يثبت إنه ملوش علاقة بكل ده، لكن وقبل ما يثبت الموضوع وصلت ليه تهديدات مباشرة من منصور، لغاية ما في يوم وصلي خبر إنه انتحر من فوق الشركة بسبب غلطة في الشغل. أخويا مظلطش، أخويا منتحرش، أخويا اتقتل"

@ART_OF_BOOK

ضرب اسامة المقود بقوة وهو يصرخ بجنون وقد شعر بالنيران تشتعل داخل صدره وهو يتخيل كل ما يتوارى خلف غطاء تلك العائلة المخملية، غطاء ذهبي يخفي خلفه سوادًا يدانس الليل. ألقى رأسه على المقود وقد ارتكن بسيارته جانبًا يحاول أن يتنفس بشكل طبيعي وعقله يعرض له عدة صور أمامه، وعدة حقائق.

جاء بحثًا عن حق المجني عليه، ليجد أنه جاني.

سارة.

سامي.

كلاهما نال مظلمة لا يستهان بها من تلك الأسرة، كل واحد منهما رأى ما يجعله يرتكب الفظائع بهم. والآن ماذا عليه أن يفعل؟ يتركهم وينخلى عن القضية والتي من وجهة نظره كانت قصاصًا مستحقًا من عائلة الخواجة؟! أم يحتكم لضميره ويسلم المجرم للعدالة؟

رفع رأسه عن المقود وهو يتنفس بصوت مرتفع يحاول أن يهتدي بتفكيره لمرسى، لكن أمواج الحيرة كانت تحركه وتقبله دون الاستقرار على شاطئ، مسح أسامة وجهه بقوة، يتحرك بسيارته بعيدًا عن المنطقة تلك وقد شعر أن المنازل تكاد تطبق على أنفاسه يطلب هواءً، يرغب بالتنفس بحرية، لذلك بعد لوان كان يتوقف بسيارته على أحد شواطئ الإسكندرية البديعة، يتنفس وأخيرًا، رائحة البحر كانت ترسل داخل جسده إشارات استرخاء جعلته يغمض عينيه لثوان يرتشف كل قطرة سكينة تمر بجسده.

ومر الوقت حتى لم يعد بمكنه تحديد عدد الساعات التي قضاها في هذا المكان ساكنًا بلا حركة واحدة، إلا بارتفاع رنين الهاتف الذي جعله يفتح عينيه بعدم

@ART_OF_BOOK

إدراك ليبصر ظلامًا حوله ويدرك أنه سقط في النوم دون شعور. أمسك الهاتف ليجيب في الرنة الأخيرة قبل أن يتوقف:

- ألوبا فوفا.

وصل له صوتها القلق عبر الهاتف وهي تضع يدها على صدرها براحة:

- أسامة أنت فين؟ قلقتنا عليك احنا بقرن عليك من ساعة وأكتر.

أبعد الهاتف عن أذنه، يبصر عدد المكالمات، وتنهد بصوت متعب بعض الشيء، وهو ينظر بجواره صوب الدور الذي بدأ ينتشر على شاطئ البحر بسبب كثرة المحلات هناك:

- معلش والله يا فوفا أنا بس غصب عني نمت في العربية، وأنا مش حاسس.
- نمت ازاي يا عو، طب تعالى عشان احنا قلقنا على غيابك، متجيبش أكل معاك احنا هنجيب، تعالى أنت بس.

كانت كلمات كثيرة تلسابه من فم عفاف لا ينتبه لها أسامة حتى وهو ينظر من نافذة سيارته لنقطة قريبة منه بعض الشيء بعينين متسعتين، فتح باب سيارته بسرعة، يهبط منها، وصوت عفاف ما يزال يلسابه بسلامة عبر سماعات الهاتف، وهو فقط متجمد على الأرض يبصر شيئًا غريبًا أمامه.

ضيق عينيه ليتأكد مما يرى قبل أن يبتسم بعدم تصديق، فرك عينيه مرات عدة خوفًا أن يكون كل هذا ما هو إلا أضغاث أحلام، لكنه كان حقيقة.

رفع الهاتف يجيب على صراخ عفاف القلق بكلمة واحدة:

@ART_OF_BOOK

- الحقني يا عفاف، أنا جاي.

ومن ثم رفع الهاتف بلتقط صورة لما يرى، وظل و اقفًا للوان يتابع ما يحدث على مرأى منه ورأسه تعيد ما حدث سابقًا تحاول ربط كل شيء ببعضه البعض، بعد دقائق تحرك صوب السيارة وصعد لها بسرعة يتحالق صوب الفندق حيث يلتظره الجميع وهو يحاول تنقية وترتيب أفكاره التي تدور داخل رأسه في هذه اللحظة، وفكرة واحدة تدور في عقله (هم يتحركون في الاتجاه الخاطئ).

***

- ممكن تقعدي أنتِ بجد خايلتيني.

توقفت عفاف عن الدوران وهي تحدق بقلق في هند التي كانت تزفر بضيق شديد وكأنها لا تطيق صبرًا لتنفرد بنفسها، أما عن جلال فقد كان يجلس جانبًا يتحدث في هاتفه مع مخطوبته بعدها بالأحلام الوردية التي سينفذها لها على أرض الواقع يوم زفافهما، وعفاف فقط تتأكل من الخوف مرددة:

- أهدى ازاي يا هند بقولك أسامة مش طبيعي، قعدت أكلمه ولا كأني بكلمه وفجأة يقولي اقفلي أنا جاي، حاسة إنه فيه حاجة بتحصل معاه.
- يا ستي اتفائلي خير، بإذن الله يكون بيخونك بس مش موضوع كبير.

استدارت لها عفاف بصدمة كبيرة وفي اللحظة التي تحدثت بها فتح أسامة باب غرفتها:

- طب ده يحصل معاه حاجة ولا تنزل على دماغه مصيبة ولا إنه بخوني يا هند.

@ART_OF_BOOK

- مصيبة إيه أكبر من مصيبة إلي عايش معاكم؟!

استدارت عفاف بلهفة صوب صوت أسامة الذي عقبه صوت إغلاق الباب تتحرك صوبه بلهفة كبيرة وهي تفتح ذراعيها بحنان:

- أسامة فلتني عليك، أنت كويس؟

ابتسم أسامة بقلة حيلة وهو يضمها له بلحلف بربت عليه مقبلًا رأسها بحنان:

- كويس يا فوفا، كويس يا حبيبتي، محصلش معايا مصيبة لا قدر الله ولا خولتك اطمني.

نظرت إليه بشك وكأنها تحاول التأكد من الاحتمال الأخير، ليدفعها أسامة ببطء عنه يتحرك للداخل بلقي لنظرة غاضبة صوب هند:

- أقول عليك إيه و أنتِ فيك كل العبر، روحي يا شيخة إلهي يتجوزك خالد وبلمك ونخلص منك ومن حواراتك يا خرابة البيوت أنتِ.

رفعت هند له حاجبها بضيق وهو تجاهلها يتحرك صوب الأريكة يجلس عليها وجواره جلست عفاف التي كانت ما تزال تنظر إليه بشك.

زفر بضيق وهو يقص عليها ما حدث معه:

- يا عفاف والله ما خولتك هخولك إيه أنا عندي وقت أساسًا؟
- يعني لو عندك وقت متخونهاش كده.

@ART_OF_BOOK

وبالصنيع لم يكن اسامة يحتاج الى رفع رأسه ليدرك هوية المتحدث، فقد كانت هي بومة العلاقات وخراب الزواج، الألسنة هند والتي اعتزمت تدمير كل علاقة تأتي على طريقها.

- تعرفي يا هند والله أنا ما عارف إيه اللي مصبرلي عليكِ، والراجل اللي اسمه خالد ده مش عارف شاف إيه فيكِ، كلمة كمان تطلع منك هقوم أكسر المكان فوق دماغ الكل، أنا ممتوي وعلى آخري.

رفعت هند حاجبها وهي تبتسم له ببرود:

- ضايقك كلامي يبقى صح.

كاد أسامة يجيب عليها بكلمات حادة لولا عفاف التي ربتت على كتفه الموضوع على قدمه تتحدث بجدية:

- يا أسامة سيبك منها دي هند، بالله عليك متتعصبش أكيد يعني مش مصدق إنك بتخوني، أنا بس قلقت عليك.
- متقلقيش أنا كويس، بس بعد ما خلصت كلام مع أخو سامي اللي النحر طلعت واتمشيت بالعربية على الكورنيش عشان كنت مخنوق ونمت من غير ما أحس.

صمت لثوانٍ وهو يفكر في كلماته التالية ومن ثم رفع عينيه بمررهما بين الجميع ليلاحظ انتباههما له عدا جلال الذي كان ما يزال غارقًا في مكالمته.

- جلال... جلال مش بدأنا شغل؟ ركز معايا.

وضع جلال يده على فمه يتحدث بصوت خافت:

@ART_OF_BOOK

- طب يا توتا سلام أنتِ عشان العوجه، هكلمك لما يفور.

امسك أسامة زجاجة المياه أمامه يلقيها له بغضب:

- سمعتك يا حيوان ركز معايا مش كفاية امبارح نمت واحنا بنخلبط الشغل؟

تجلب جلال الزجاجة وهو يعتدل في جلسته:

- يا عوفيه إيه بس؟ نومي ده معناه إني كنت بشحن طاقة عشان أبهركم، بعدين إيه يعرفني إنك بدأت شغل! فكرتك بتشكي لهم همك.

تنفس أسامة يمسح وجهه بجدية وقد شعر أن رأسه تدور مما يحدث حوله:

- طب ركز معايا عشان الموضوع بيفلت منتا وحاسس إن فيه حلقة ناقصة في الموضوع.

انتبه له الجميع وتحدث جلال بعدم فهم، فحسب آخر ما وصلوا له كانت سارة هي المتهمة الأولى.

- إيه مش احنا اتفقنا إنها مرات سامر الأولى دي؟
- للأسف يا جلال شكلنا مضطرين نعيد حساباتنا، فيه حوارات كتير بتحصل ملهاش علاقة بسارة، أدلة كتير احنا تجاهلناها بعيدة كل البعد عن سارة، أبسطها الرصاصة اللي في نص القلب دي واحدة ني سارة هتصيبها ازاي؟

@ART_OF_BOOK

مسح وجهه وهو بنهض من مكانه بدور في الغرفة أمامهم وعقله يعمل بلا هوادة وبقوة:

- بسملة وشهاب وطارق كل دول عندهم أدلة تدينهم برضه، منصوركمان ممكن يعمل كده، أخو سامي اللي انتحر ده عنده أكبر سبب إنه يخلص على عيال منصور لأنه مقتنع إن منصور قتل أخوه مش انتحر.

تنظر صوب عفاف بتساءل بجدية:

- عفاف أنتِ صلحتي التليفون اللي لقيتيه؟
- قالي بكرة أقدر أستلمه.

دار أسامة حول نفسه وهو بفكر في شيء قبل أن يهتف بجدية:

- عفاف اكتشفت أن بسملة مكانتش في باريس يوم الحادثة، لا دي طيارتها وصلت القاهرة يوم الحادثة، وبسملة اتضح إنها مكانتش بتحب ساهر زي ما الكل قال، واحنا خمنا إنها بتحب شهاب حسب مكالمتها اللي سمعتها عفاف قبل كده، مش كده؟

أوما الجميع برأسهم إيجابًا ليبتسم أسامة وهو يجذب خصل شعره بعجز:

- لا مش كده، مش كده خالص، الشاب اللي بسملة بتحبه وبتمشي معاه مش شهاب خالص.

لم يفهم أحد منهم ما يتحدث به أسامة في هذه اللحظة، حتى نطق ليوضح مقصده:

@ART_OF_BOOK

- وانا على الكورنيش شوفت اتنين أعرفهم قاعدين سوا والشاب كان حاضن البلت ومقربها لبه. والبلت كانت بسملة بس الشاب مكالش شهاب.

اتلفت الجميع واعتدلوا في جلستهم بمنحون كامل انتباههم صوب أسامة الذي مال يهمس بصوت قوي:

- الشاب ده كان معتزصاحب ساهر الأنتيم ...

***

- يعني إيه مش عارفة هوفين يا بسملة؟! أنتِ بتهزري؟

نظرت بسملة باكية صوب شهاب وهي ترتجف في موضعها من فكرة فقدانها الهاتف الخاص بساهر:

- والله معرفش حصل ازاي، أنا كنت حطاه في المكتبة زي ما قولتلك و...

قاطع كلماتهما صوت رنين الهاتف الخاص بها لتنظر صوب الاسم وتغلق المكالمة وهوقتط بر اقب بهدوء:

- . معتزمش كده؟

نظرت أرضًا بتوتر ليصرخ شهاب بغضب شديد وهو يضرب طاولة جواره بجنون:

@ART_OF_BOOK

- قولتلك إيه يا بسملة! قولتلك إيه؟! قولت بلاش تتواصلوا سوا الفترة دي. لغاية ما قضية ساهر تتقفل على الأقل، بلاش تحطوا نفسكم موضع شك.

بكت بسملة بصوت مرتفع، تدفن وجهها بين كفيها، بينما شهاب يضمها له بقوة وقد كانت بسملة أقربهم له. شقيقته الصغيرة والأحب، يفعل المستحيل ليبعدها عن أي سوء، أخذ يربت عليها بحنان:

- خلاص متزعليش أنا آسف، مكنش قصدي أزعق فيك، بس أنا خايف عليكي والناس اللي جم يحققوا المرة دي شكلهم مش زي ما كلنا فكرنا، طلعوا....

صمت وهو لا يجد وصفًا دقيقًا لهم، لكنه فقط تنفس بقلق:

- مش عايزين نخلي أصابع الاتهام تيجي ناحيتنا أرجوكي، اسمعي كلامي وحاولي تهدي وقللي تواصلك مع معتز لغاية ما لعدي الفترة دي، ومن بعدها يبقى نشوف متعمل إيه.

صمت وهو يربت عليها بحنان أخوي وهدوء، وعيناه اسودت بشكل غريب وهو يدور بأفكاره حول معتز، ذلك الشاب الذي اقتحم حياة بسملة منذ سنوات ومنذ ذلك الوقت وهو يخشى عليها من حبه، الفتى كان مجنونًا بها لدرجة مرعبة، لدرجة أنه قد يقتل لأجلها.

***

@ART_OF_BOOK

- ده إيه العيلة الزبالة دي؟ إيه العلاقات المتشعبة دي؟! ما كل واحد بقليل يتجوز أو يتخطب للي بيحبه يا جماعة.

كانت كلمات حانقة خرجت من فم عفاف بغضب وقد شعرت أنهم كلما وصلوا لطرف الخيط، سُحب من بين أناملهم مجددًا، مسحت هند وجهها بقوة وهي تحاول أن تهدأ، بينما أسامة بر القلب ما يحدث وجلال لا يرغب حتى بالمشاركة تجنبًا للصداع النصفي الذي سيصيبه إن فعل، لكنه رغم ذلك قرر المشاركة بما وصل له اليوم والذي لم يكن كثيرًا حسب رأيه.

- الحاج بلال مُصر على نفس الكلام إن البنت اللي اسمها سارة هي اللي خدعت حفيده، ده طبعًا بعد ما أنكرلي الأول إنه يعرف حد بالاسم ده، ولما عرف إن كل عيلته اعترفت بوجودها وشه اسود كده وحسيت إنه هيقفل علينا باب القصر ويدورفهم الضرب بالحزام.

ابتسمت هند بسخرية من ذلك الرجل الذي يناضل لأجل سمعة عائلته، أي عائلة ولد فقد نصفها والنصف الآخر في خطر إن لم يصلوا للقاتل.

أمسك جلال هاتفه يحرك أصابعه بجدية على الشاشة أمام الجميع وهو يتحدث بصوت خافت يبحث بين الصور عن شيء:

- بعد بن سألته برضه عن راضي قالي ميعرفش حاجة وهيخلي المسؤول عن التوظيف في القصر يبعتلي نسخة من ملفات الموظفين وبعت لها دول.

@ART_OF_BOOK

التقط أسامة بسرعة كبيرة هاتف جلال وهو ينظر إليه بلهفة متحدلا وعيناه تمران على جميع الأسماء بشكل سريع:

- طب وإيه لقيت حاجة؟!
- لا، انا مدورتش أساسًا.

رفع أسامة عيليه صوب جلال الذي تعجب لنظراته الغاضبة:

- إيه أنا ملحقتش أساسًا، لسه باعتهم من ساعتين وانا كنت بكلم تونا، اقفل يعني في وشها؟
- لا تولع احنا يا عم.

حرك جلال رأسه بالإيجاب ليعض أسامة يده كي يتحكم بنفسه ولا ينفجر فيه وقتله دون رأفة.

حدد سريعًا الصور ومن ثم أرسلها إلى هند، قائلًا بجدية:

- هند لمسيري النهاردة على الصور دي لعرفيلي أي حاجة مريبة ممكن تلاقيها أي اسم تشكي فيه، وخدي بالك من تواريخ بدء الشغل وكل ده.

هزت هند رأسها في اللحظة التي ألقى بها أسامة الهاتف بغضب على جلال لملتقطه الأخير قبل أن يتحطم ومن ثم نظر صوب هند مجددًا يتحدث بجدية:

- عملتي إيه مع منصور وبسري؟

اعتدلت هند ومن ثم أخذت تسرد عليه ما حدث:

@ART_OF_BOOK

- بخصوص بسري مفيش أي جديد عن اللي لعرفه نفس الكلام اللي القال من عهلته قبل كده. أما بقى بخصوص منصور فهو شكله شابل ومعي أوي من عيلته عشان كتموا على حوار انتحار عمالله. وشكله مش مسهل أبدًا الراجل فيه طاقة شر بتخرج من عيونه مش طبيعية.

جلس الخبرة أسامة وهو يضم قبضتيه على ركبتيه يفكر شاردًا قبل أن ينظر مجددًا صوب هند:

- طب وتليفون راضي ليه الأخبار؟

هزت هند رأسها ومن ثم أخرجت الهاتف ووضعته أمامهم ومن ثم وضعت ورقة كانت تعمل عليها في الساعات السابقة قبل أن تصيبها عفاف بالصداع خوفًا على أسامة.

- الرسايل اللي موجودة على التليفون زي ما قال أخونا جلال غريبة أوي، بعض الرسايل مش مفهومة، بس فيه شيء اتكرر في كل الرسايل.

نظر إليها أسامة بفضول كبير وهي فتحت الورقة لتشير صوب بعض الجمل التي تكررت كما أخبرتهم:

- متلمساش دورك، نفذ واختفي.

نظر الجميع إلى بعضهم البعض بعدم فهم، وقد كانت جملة مريبة بعض الشيء وإن شعر أسامة أنها ربما تكون منطقية فليلًا، ومن ثم أكملت هند كلماتها:

@ART_OF_BOOK

- الفكرة إن الرقم اللي بيتبعت منه الرسايل مش متسجل ده رقم قديم جدًا أيام ما كانت الخطوط بتتباع في أي سنترال، ومتسجل تحت اسم واحد ميت برضه.

اشتد خوف جلال مما سمع وقد بدأ هذا الأمر يؤرق مضجعه حقًا.

- هو الموضوع ماله عمال يدخل في سكة أرواح وعفاريت كده ليه؟

أكملت هند بعد صمت لثوانٍ:

- برضه يوم الحادثة كان فيه رقم غريب رن على رقم راضي استمرت المكالمة لثواني قليلة قبل الجريمة تقريبًا بساعة، أنا بعت الرقم لمختار يحاول يعرفلنا صاحبه.

تحدثت عفاف باقتناع وهدوء بعد صمت طويل:

- حتى الآن احنا معندناش أي دليل قاطع على القاتل كلها أدلة متناثرة ملهاش علاقة ببعض، والمشتبه بهم كتير، العيلة دي ليها أعداء أكتر من الحلفاء.

صمتت هند لحظات، ثم أكملت وكأنها تذكرت فجأة:

- صحيح كنت سألت منصور على حوار الرسالة اللي كانت جنب جثث أولاده، فقالي إنها كانت رسالة غريبة كل اللي مذكور فيها إنهم انتحروا عشان حاسين بالذنب.
- ذنب إيه ده؟ وهما اللي زي دول ممكن يحسوا بالذنب عشان حاجة عملوها؟

@ART_OF_BOOK

كانت كلمات هشام صادمة لهاشم من كل ما اكتشفوه عن قتل الماضي، بينما أسامة فقط هادي صامت وهو بيفكر في كل ما وصلوا له، قبل أن يتحدث وهو بعده ما وصلوا له بصوت خافت شارد وعيناه لسه بتجري في الأحداث أمامه، بيحرك يديه بعجز في الهواء وكل شيء حوله بيتعقد أكتر:

- وجود بسملة في مصر يوم الجريمة رغم إنها والكل أنكروا ده، علاقة بسملة بمعتز، سارة وحوارهما، علاقة جريمتين الانتحار بقتل سامر، تليفون سامر، وتليفون راضي، انتحار سامي، الرسالة اللي مع طارق، علاقة شهاب ببسملة، حقد منصور، استعداد بلال يعمل أي حاجة عشان سمعة عيلته، اختفاء الحارس اللي اتحل هويته راضي، السم اللي اتقتل بيه سعد وحاولوا يقتلوا بيه سامر، صحاب سامر اللي كانوا أخر ناس معاه وكانوا عارفين إنه راجع القصر لوحده.

صمت بهض وهو بيتحرك في المكان بيلمس بعدم وعي وهو شعر أن الكل منهم، الكل لديه رغبة في تدمير هذه العائلة. الكل لديه غرض خلف ما حدث.

- بسملة، سارة، طارق، شهاب، أحمد سامي، منصور، بلال، حنان، يسري، معتز اللي ممكن يكون عمل كده عشان حبيبته، مين تالي، بالي مين؟

كان بيتنفس بحدة قبل أن يقطع الصمت صوت رنين هاتف هند اللي أجابت بسرعة وهي تتحدث بلهفة وكأنها كانت تنتظر هذه المكالمة:

- أيوة... متأكدة؟! تمام يا مختار، شكرًا لتعبك.

أغلقت المكالمة وهي لا تعي ما يحدث بينما أسامة والجميع ركزوا حواسهم على وجه هند حينما سمعوا صوتها تردد اسم مختار، بينما هند تحدثت بتفكير:

@ART_OF_BOOK

- الرقم اللي اتصل برقم راضي قبل الحادثة بوقت قليل كان رقم سامر نفسه.

***

توقف أمام الشقة التي تقبع بها وهو يحاول أن يهدأ من توتر جسده لا يدرك إن كان اتخذ القرار الصحيح أم لا، لكنه فقط يعلم انه لن يسمح أن تتدمر حياة تلك الفتاة بسبب خطأ شقيقه الذي ترك خلفه مصائبه ورحل.

طرق الباب بعدما اتخذ قراره النهائي، سيفعل لها ما تطلب، سينفذ لها ما أرادت، نظر إلى الأرض لثوانٍ قبل أن يعيد طرق الباب مجددًا، لكن لا رد، بل وجد الباب وقد فُتح فجأة، تراجع طارق للخلف وهو ينظر إلى الباب بتعجب، قبل أن يقترب منه بريبة ينادي اسمها:

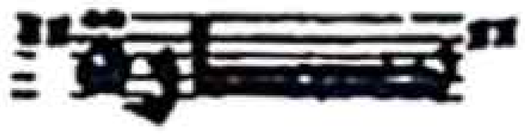
- آنسة مارة انتِ جوا؟

تحرك داخل الشقة، ينظر حوله وقد ظن أنها تركت له الباب مفتوحًا حينما أخبرها بأنه قادم لها، تحرك يناديها يبصر أمامه شقة صغيرة بعض الشيء رغم كونها تقبع في بناية فاخرة.

دارت عيناه في المكان بحثًا عن طرفها، قبل ان يتعثر فجأة في مقعدٍ مطلقًا صرخة صاخبة مرتعبة حينما أبصر المشهد أمامه وقد توقف قلبه لثوانٍ من الرهبة... سارة أمامه ممددة في بركة دماء كبيرة وهناك سكين يقبع في منتصف معدتها... قُتلت سارة.

@ART_OF_BOOK





وربما ما سعيت بكل طاقتك لكشفه، سيكون جحيمًا حينما يظهر للعيان.

كان الأربعة يجلسون بهدوء مريب في المكان، كلٌ يحرك عينيه على الآخر وكأنه ينتظر أن يمن أحدهم على الباقيين ويفسر ما يحدث الآن، لا شيء، كل شيء متشابك حتى أنهم كادوا ييأسون من الوصول للقاتل.

قطعت عفاف الصمت تتساءل بجدية تبادرت لذهنها فجأة:

- يعني إيه آخر رقم اتصل بالتليفون اللي المفروض بتاع عم راضي اللي هو ميت من سنين، يبقى المرحوم اللي لسه مقتول ومش لاقيين ليه قاتل؟! يعني إيه؟

صمتت لثوانٍ ومن ثم نظرت بجنون صوب جلال تهتف بجدية:

- اخو راضي ده، انت حققت معاه؟ اتأكدت إن راضي ملهوش عيال؟! ازاي يعني مفيش حد كان بيستخدم التليفون من شهور وآخر رسالة عليه من أيام؟

@ART_OF_BOOK

طرع جلال من صراع عفاف وكأنه هو من يخلي القائل، تصرخ به وكأنها ستستخرج منه اعتراف بدفع بهم خطوة في القضية.

- والله ما أعرف قالي بلته متجوزة ومسافرة من سنين برة البلد ومش عندها عيال، ومرتضى ده أساسًا شكله عبيط مش فاهم حاجة عشان أحقق معاه.

جذبت عفاف ثياب جلال وهي تتحدث في وجهه بشر:

- مفيش حاجة اسمها عبيط، مفيش حاجة اسمها مش فاهم، فيه حاجة اسمها إن مفيش غير الراجل ده قدامنا هو اللي ممكن يكون استخدم التليفون وإلا ازاي التليفون معاه ومفيش غيره في البيت.

أوما جلال برأسه بما افقهما فقط كي لا تضربه؛

- صح انتِ صح، انا بكرة هروح بنفسي أحقق معاه والله.

تنفست عفاف وهي تترك ثوبه تو افقه الرأي بهدوء شديد ليس وكأنها هي من كانت تصرخ في وجهه منذ لحظات:

- يكون أحسن وانا بكرة هشتغل على تليفون القتيل برضه يمكن بوصلنا لحاجة.

صمتت برهة تحرك عينيها بينهم لتخمن بصوت مسموع:

- هند هو مش كان فيه حوار أثار جلسة، الموضوع ده متذكرش ليه؟

@ART_OF_BOOK

- سألت خالد قالي الجريمة كانت جريمة رجالي بس عادية. مفيش شيء مميز ممكن يساعدنا، ورغم كده بلفته يبعتلنا التفاصيل عشان نشوف الدنيا.

تحدثت علاف مجددًا:

- طب إيه يا أسامة؟ إيه الخطوة الجاية؟

نظرت إلى أسامة وكأنها تنتظر منه ردًا. والأخير فقط يغلق عمليه بهدوء مريب يسند برأسه على المقعد خلفه وقد شرد بعقله بعيدًا عن الجميع وأصوات حوله تتردد، يشعر وكأن الأدلة تتطاير أمام عينيه في هذه اللحظة. القاتل يقف أمامه يخرج له لسانه ساخرًا منه.

جمل كثيرة تتكرر داخل عقله وكلمات كثيرة ترن في أذنه.

- ليه ميكلش اللي بيعمل كده هو شهاب؟!

كانت تلك كلمات هند التي خرجت منها بعد صمت، وكأنها كانت تحمك الخيوط حول رقبة شهاب في تلك اللحظات تصنع له طوقًا يناسبه.

- شهاب محترف نيشان، له علاقة ببسملة وواضح إنه قريب منها وهو اللي كان مخبي التليفون، بعد ما يخلص على كل الشباب هيكون ليه نصيب في الورث، شهاب بيختفي نص الوقت بدون أثر ومش بيكون مع بسملة لأي ما كنا مفكرين، حاول يحرك القضية ناحية يسري وطارق لما قال إنهم اتأخروا على الحفلة، الولد ده مش مظبوط.

@ART_OF_BOOK

- وليه متكلش بسملة؟ لقمن الأسباب وزودي عليها إنها كانت موجودة يوم الجريمة وخبت الموضوع وأخدت التليفون، أكيد فيه دليل عليها.

وكان هذا تحليل عفاف التي جمعت جميع الأدلة حول رقبة بسملة وقد كانت هذه الفتاة بكل ما يدور حولها يثير ريبتها.

- أو بلال اللي كان حرفيًا على آتم الاستعداد يصفي عيلته عشان اسمه وسمعته، وبعد العمايل اللي عملها التلاتة دول خلص عليهم عشان اسم العيلة، بدليل إنه ساب طارق وشهاب لأنهم مشتركوش في بلاوي باقي أحفاده.

وكان هذا التحليل خارج من فم جلال وللعجب كان منطقيًا للغاية حسب آخر جلسة قضاها مع الرجل، وهنا أضافت بسمة:

- طارق كمان ممكن يكون بيقضي ليه الساحة خاصة إنه أكبر الأحفاد وماسك الشركة تحت إيده فخلص منهم كلهم، ده غير إنه محترف ليشان حسب كلام شهاب، ومعاه دليل رافض يفصح عنه، وبوم الجريمة اختفى لوقت قبل الحفلة بحجج واهية.

أضافت عفاف مشيرة به آخر:

- أو طبعًا المتهم الرئيسي في الموضوع، سارة اللي القضية متفصلة عليها والتلات جثث ليهم علاقة بيها، وليها تار عندهم، بس الفكرة لو هي ازاي ممكن تكون دخلت القصر وهل هي بتعرف تصوب كويس؟!

شاركتها هند التحليل تطرح رأيها ببساطة:

@ART_OF_BOOK

- ممكن يكون الشخص اللي انتحل شخصية راضي هو نفسه اللي ساعدها عشان تدخل.

كان اللالة بلفون بالتخمينات على الطاولة أمامهم وكل منهم يخرط أوراقه حول من يشك به، وفي النهاية وبعد عشرين دقيقة وجدوا أنهم أحصوا جميع أفراد العائلة وكلّ يمتلك سببًا ليرتكب تلك الجرائم، السبب موجود والدافع كذلك، شيء واحد ينقصهم... الوسيلة.

***

شحوب وجهه وهو ينظر إليها بعينين زائغتين وكأن جسده هو من يغرق في الدماء وليس هي، يتراجع للخلف زاحفًا وقد بدأت ضربات قلبه تتصاعد، وأنفاسه تصبح أقوى وأشد، يحاول أن ينهض ويتماسك، لكن انهياره الداخلي منعه حتى الاستقامة.

نظر حوله وكأنه يبحث عن سبيل نجاة، أيهرب من المكان أم يبلغ الشرطة؟ لكن حتى وإن هرب فبصماته والجثة، والشهود الذين أبصروه يصعد لها؟ ارتجف جسده وهو يكبت صرخته مما يبصر وقد أصبحت حياته في ثوانٍ سوداء، مد يده بسرعة يخرج هاتفه مرتجفًا، يتحدث لبرة باكية مرتجفة يحاول أن يخرج كلمات متماسكة.

- الو... بابا.... الو.... الحقني.

@ART_OF_BOOK

على الجانب الآخر انتفض يسري في جلسته بشكل جعل من حوله ير اقبه بفضول وهو فقط تحرك بعيدًا عن أخيه الذي كان ير اقبه بعينيه كالصقر، بينما بلال وحنان ر اقبوه بريبة وخوف من ملامحه.

- طارق؟ مالك؟ صوتك ماله؟!

نظر طارق أمامه إلى جثة سارة التي كانت مروعة وقد شُتت معدتها بأكثر من طعنة حتى استقرت السكين في معدتها وتركها القاتل وركض.

هبطت دموعه برعب مما يرى، وقد كان المشهد أكبر من قوة تحمله:

- الحقني... فوه... فيه... فيه جثة هنا ومش عارف أعمل إيه؟

صرخ يسري دون شعور بصوت مرتفع:

- إيه! جثة؟! جثة إيه يا طارق، أنت بتقول إيه؟

التفت الجميع وقد بدأ الرعب يرسم خطوطه على وجوههم، خاصة بلال الذي تحرك بسرعة لا تلائم عمره، يجذب جسد ولده له، يصرخ بجنون:

- جثة إيه؟ ماله طارق وجثة إيه اللي بتتكلم عنها؟

صرخت حنان بصوت مرتجف:

- ماله طارق... ماله طارق يا يسري ما تنطق، حصل إيه لطارق؟

نظر إليهم يسري بعينين متسعتين بدأ اللون الأحمر يتشعب بهما بشكل مريب يحاول أن يتمالك نفسه وهو ينظر إلى الجميع حوله يهتف بصوت مرتجف:

@ART_OF_BOOK

- طارق دلوقتي في شقة مع جثة و...

ناطحه بلال وهويصرخ بصوت جنوني رجّ أرجاء القصربأكمله حتى هبطت بسملة برعب مع شهاب من الأعلى ليصدما مما يسمعان:

- جثة مين وشقة مين يا بسري، ابنك فين وإيه اللي حصله، ما تنطق كلام نفهمه بدل ما أنت سيبت اعصابنا كده.

تهاوى بسري أرضًا دون شعوروهو يرفع عينيه صوب والده يهتف بشحوب وصوت خرج بصعوبة وكأنه فقد قدرته على الحديث:

- طارق في شقة الهلت اللي كان سامر متجوزها ولما وصل لقاها مقتولة هناك.

***

"بعد انتحار الثان من أحفاده، ومقتل واحد، بلال الخواجة يعود ليتصدر صفحات الجرائم مع جريمة أخرى لحفيده الأكبر بجريمة قتل غامضة لفتاة يشاع أنها كانت على علاقة بأخيه الأصغر. فهل كانت الجريمة انتقامًا لأخيه؟! أم كانت تكملة لسلسلة لم ينهيها؟!"

ألقى بلال الجريدة بغضب وهو يصرخ بجنون، منذ الصباح قامت قيامتهم جميعًا، الصحف والمراسلين، والأخبار....

كل شخص لا خبرله بقتات عليه سوى "عائلة الخواجة"

@ART_OF_BOOK

تنفس بلال بعنف بشعر بتيران داخل صدره كما لو أنه على وشك لفظ أنفاسه الأخيرة، يسعل بقوة وهو يضغط بيده جهة صدره، وقد شحب وجهه بشكل ملزع، جعل حنان تنتفض عن مقعدها تصرخ برعب وهي تضم زوجها باكية تصرخ بأسماء الجميع، لكن لم يكن أحد في المكان يساعد.

- حد يلحقني، يا بلال فوق... بلال مالك، محدش هنا؟ حد يلحقني يا نـاس.

كانت تبكي منهارة برعب من شحوب زوجها الذي شابه الأموات في مظهره، شعرت بقلبها يكاد يتوقف جواره وهي تنظر حولها بعجز تبحث عمن يساعدها، جميع أبنائها رحلوا لحل المشكلات التي تتساقط على رأسهم كالسيل، وبسملة اختفت مع شهاب منذ الصباح، والخدم حولها يحاولون المساعدة بما يقدرون عليه، منهم من يحاول التواصل مع الإسعاف، والآخر يركض ليحضر أدوية بلال، وحنان تر اقب عالمها وعائلتها تنهار حولها.

- إيه ده أستاذ بلال؟ حصل إيه؟!

رفعت حنان عينيها بسرعة صوب الصوت لتتحدث بلهفة ورعب وهي تبصر عفاف أمامها تر اقب ما يحدث بصدمة:

- ساعديني الله يكرمك، مش بينطق، وقع على الأرض ومش بيتنفس حد يساعدني، حد يجيب الإسعاف بسرعة.

كانت تتحدث باكية وهي تشعر بكامل جسدها يرتجف، وعفاف هرولت صوبها تحاول إسعاف بلال بسرعة تحت نظرات حنان المرتجفة، لتقرر بعد ثوانٍ حينما تأكدت من تنفسه بشكل طبيعي.

@ART_OF_BOOK

- حد يساعدني ننقله لأي عربية. مفيش سواق ولا عربية هنا؟

تحولت حنان بسرعة وهي تشير إلى أحد عاملي القصر بلهفة:

- لا فيه... فيه... جهز عربية بسرعة وقول للسواق يجهز.

خلصت حديثها تميل على جسد بلال تساعد عفاف في تحريكه، وهي تقوده معها صوب الخارج. وعفاف فقط صعدت جوار السائق وهم في الخلف تصاحبهم في رحلتهم للمشفى متناسية لثوانٍ ما جاءت لأجله.

- هو ماله حصل إيه لكل ده يا ست حنان؟ هو بيعاني من أي أمراض مزمنة أثرت عليه؟

بكت حنان بقوة وهي تضم زوجها لها بانهيار، تحاول تمالك نفسها:

- هومش بيعاني من حاجة هو مستحملش اللي حصل.

وعفاف كاد فضولها يقودها للسؤال ما حدث، لكنها شعرت أن تلك ستكون وقاحة، كما أن السيارة توقفت فجأة لهبوط السائق ويساعد حنان في وضعه على العربة التي خرج بها بعض الممرضين ركضًا من المشفى، وعفاف فقط تتابع ما يحدث بعدم فهم، ولا تدري ما يحدث حولها فهي استيقظت وتوجهت مباشرة صوب القصر، أخرجت هاتفها تتقر على شاشته بهدوء قبل أن تضع الهاتف على أذنها تتحدث بجدية بمجرد أن سمعت صوت أسامة بجهتها:

- أسامة فيه حاجة غريبة حصلت هنا، روحت القصر عشان أشوف حوار بسملة ده وبعدين كنت ناوية أروح أشوف التليفون، بس أول ما وصلت القصر لقيت بلال واقع على الأرض و.....

@ART_OF_BOOK

صمتت وهي تستشعر غموضاء وأصوات متداخلة جوار أسامة. بكلمات متناثرة تفهم منها شيئًا. أسماء تصطدم بمسامعها. وبكلمات غريبة.

- أسامة إيه الصوت ده. انت فين؟
- في القسم.
- قسم؟ جلال عمل حاجة تاني ولا إيه؟

نفى أسامة برأسه وهو يرى الغير ما يحدث حوله بعينين غامضتين وقد تحرك من النادي لقسم الشرطة بعدما سمع الأخبار التي انتشرت كالنار في الهشيم منذ صبيحة اليوم.

- لا. سارة اتقفلت امبارح.

***

- لا بس أنت مطلعتش جدع على فكرة، بقى للضرب ده جدع، وتدخل سوا القسم وتروح هناك تسيبني وتطلع لوحدك؟

تجاهل مرتضى حديثه وهو ينفث دخان أرجيلته، بينما يجلس مع جلال أمام منزله بهدوء وتالي يستمتع بنسمات الهواء في هذا الوقت من العام.

بينما جلال ينظر إليه بحنق شديد يرتشف من كوب العصير أمامه وهو يحاول أن يتحمل سخافة هذا الرجل الثقيل على القلب والأرض، ويمرر يومه فقط كي يحصل على ما يريد.

@ART_OF_BOOK

لذا ابتسم بسمة صغيرة يرى أن دفع ثمن الأرجيلة كان مقدمة جيدة لجلب ود كما نصحته هند.

- ده كلام برضه يا عم مرتضى ده أنا يا جدع جم أخدولي بالعافية من المكان أساسًا بعد ما كنت متشعلق فيه رافض أتحرك إلا بيك، وصاحبي يقولي يا ابني يهديك برضهك، اقوله أبدًا مش هخرج غير بعم مرتضى، ده صديق كفاح يا جدع.

ابتسم يميل على الطاولة وهو يرى نظرات مرتضى الراضية له:

- ده كفاية إنه في عز الضرب والطعن اللي أخدناه كان بيعتبرلي أمانه ودرعه وسنده وصدرني للناس في الضرب، ازاي أتخلى عنه دلوقتي؟!

صمت ثم دفع بكوب عصير آخر تجاه مرتضى، يتنهد بصوت مرتفع:

- المهم يا عم مرتضى عشان أنا عندي سفر ومحتاج أسلم الأمانة قبل ما أمشي الله يكرمك، الحاج راضي كان مبلغني إني أسلمها لعياله، فأنت قولتلي بلته مسافرة مع جوزها مش كده؟!
- أيوة صح.
- طب معاك أي رقم تليفون لها؟ أصل معلش دي أمانة ميت.

سحب مرتضى نفسًا من الأرجيلة وعيناه تضيقان على جلال بشكل مريب حتى كاد الأخير يعتقد أنه كشفه في لحظات، لذا سارع للتحدث بحثًا عن حجة يبعد بها شك مرتضى هذا عن عيليه، لكن مرتضى سارع وقاطعه بلهفة وهو يخرج هاتفًا صغيرًا حتى على أصابعه الضخمة، الأمر الذي جعل جلال يتعجب كيفية

@ART_OF_BOOK

استجابة ذلك المسكين لأوامر مرتضى وكيف يتعرف على ما يريد إن كان إصبعه يضغط على خمسة أزرار في المرة الواحدة؟!

خرج من شروده بهذ مرتضى ومشكلاته مع الهاتف على صوت الأخير يردد بحماس غريب وقد بدا أن الرجل لا يصدق ما يحدث معه، لكن ورغم كل ذلك كانت نظراته مريبة بعض الشيء وهو يردد:

- أنا كان معايا تليفونها بس من فترة مبقلش ترد تقريبًا عشان غيرت الخط المصري، بس ابني معاه رقم جوزها برة اصبر هجيبه بسرعة.

اعتدل جلال في جلسته يمنح كامل انتباهه لمرتضى، يحاول أن يبصر ما يفعل، يفكر بصوت مرتفع:

- أنت عندك ابن؟

- أيوة رافت ابني، هو تلاقيه في الشغل دلوقتي بس هحاول أوصل ليه.

حز جلال رأسه وقد منح كامل تركيزه واهتمامه صوب ما يفعل مرتضى الذي رفع هاتفه يتحدث بصوت صاخب حينما تلقى استجابة من الجهة الأخرى.

- ألو يا رافت أنت فين؟

صمت يستمع لصوت ولده من الجهة الأخرى وعيناه تتحركان بشكل عجيب على جلال أمامه:

- تمام طب بقولك إيه معاك رقم بلت عمك؟! مش كنت قولتلي إنك اخدت رقم جوزها؟! علشان تبعتهولي عشان فيه حد عايزها في حوار يخص عمك الله يرحمه.

@ART_OF_BOOK

نظر صوب جلال نظرات جعلت الأخير يدعي عدم الانتباه له:

- طيب تعرف تخلص وتبعته ليا؟

وصمت آخر غريب جعل جلال يتعجب نظرات الرجل، لكنه في النهاية ابتسم له يتحدث بجدية:

- تمام يا جلال باشا الولد بمن عنده شوية شغل هيخلصه ويبعته، بمن الأول يعني قولي هي الأمانة إيه بالضبط، أصل يعني معلش هنكلف نفسنا ونجيب رقمها في بلاد برة وكل ده على الفاضي، عايز أعرف لو كان حاجة تستحق ولا إيه.

وجلال فقط كان صامتًا يفكر في شيء وهو ينظر إلى عينيّ مرتضى وكأنه يفكر في شيء ما قبل التحدث بجدية:

- بمن أنت محكتش ليا عن ابنك رأفت ده يا عم مرتضى، ولا شوفته وقت ما جيت، هو عايش معاك هنا؟!

نظر إليه رأفت بعدم فهم قبل أن يتحدث ببساطة يرتشف بعض العصير أمامه:

- أيوة، عايش محايا في البيت اشمعنا؟!
- مفيش، قولتلي بقى ابنك ده بيشتغل فين بالضبط؟!

***

@ART_OF_BOOK

نهض أسامة بسرعة من مقعده حينما سمح له العسكري بالدخول لرئيس المسؤول عن التحقيق بجريمة سارة، وبمجرد أن خطا داخل المكتب رفع رأسه بابتسامة صغيرة يعرف عن نفسه:

- أسامة الموجهة تحقيقات.

نهض الشرطي بصالح أسامة وهو يلتقط منه بطاقته الخاصة ينظر إليها لثوان بابتسامة، قبل أن يشير إليه بالجلوس:

- أهلا أسامة باشا اتشرفت ببيك، اتفضل اقعد.
- آسف لو جيت في وقت غير مناسب، بس كنت محتاج مساعدتك في شيء.

انتبه له الشرطي بكل حواسه، ليتنهد أسامة بهدوء:

- قضية القتل اللي حضرتك ماسكها، للبنت اللي اسمها سارة اللي لقوها موجودة في شقتها امبارح.

عاد الشرطي بظهره للمقعد وهو يحرك عينيه على أسامة بهدوء:

- اللي متهم فيها طارق الخواجة؟
- بالضبط.
- خير عايزلي أساعدك ازاي فيها؟

شرع أسامة يشرح له ببساطة القضية التي وكلت له بعد مقتل سامر ودور سارة باختصار شديد دون الدخول في تفاصيل، ومن ثم استرسل يردد بصوت هادئ:

@ART_OF_BOOK

- فعشان كده كنت حابب لو حضرتك تساعدني بعض التعليمات بخصوص التحقيق في الجريمة. لأني عشمي إحنا لوحدنا اللي نقدر نحرر مرتبطين ببعض.
- المهم هنا هو طارق الخواجة. شاكك يكون هو نفسه اللي قتل أخوه؟

تنهد أسامة وقد كان شكه الأول يتحول حول سارة لكن هذا هي الجريمة نطرحه مجددًا وتصفعه على وجهه وبقوة.

- ممكن وممكن لا. كل شيء محتمل.
- طب حابب أساعدك ازاي؟

عدل أسامة بظهره للخلف يحاول التفكير في كيفية البدء في هذا.

- ممكن لو مش هيكون فيها ضرر على شغل حضرتك. محتاج أكلمه مع طارق الخواجة عشر دقائق مش أكتر أرجوك. حتى إنه ممكن يساعدني. أو حتى أخرج منه بشيء يساعدني في القضية.
- وتفتكر إنه ممكن يساعدك أساسًا؟
- ما يعرف إن حياته و الفتة على كلمته. أكيد هيساعدني.

هز الضابط رأسه يهدوء بعض عن مكنونه وهو يصيح بصوت مرتفع:

- مدحت هات المتهم طارق الخواجة من الحجز.

نظر صوب أسامة لثوانٍ يردد بجدية وصوت قوي جعل أسامة لثوانٍ يفكر أن هذا الرجل أخطر كما يبدو عليه.

@ART_OF_BOOK

- مخبرتلد طارق إن الموضوع ده مش رسمي، فالرجو ميطولش علشان متخسرش.

فدرله اسامة مساعدته بعده بعدم الإطالة في الحديث:

- كلمتين وهمشي على طول.

ابتسم له الرجل ومن ثم تحرك للخارج في الوقت الذي فتح الباب وتحرك طارق للداخل تحت انظارات أسامة التي تتابعه، وهو فتحد دخل بهدوء دون أن يهتم بإبة من يلتظره حتى.

لكن لا يستطيع الإنكار انه تعجب وجود أسامة امامه، والأخير جلس بهدوء امامه مبتسمًا بسمة غريبة يشير على المقعد أمامه بهدوء.

- اتفضل يا طارق باشا.

- انت؟ جدي اللي بعتك؟

رفع أسامة حاجبه ببطء وسخرية:

- لا يا باشا الواجب هو اللي بعتني.

لم يفهم طارق منه شيئًا، ورغم ذلك جلس بهدوء دون أن يصدر منه اي شيء بدل على ما يدور في صدره من حيرة وقهر... انهار البارحة غير مصدق ما حدث له، لكنه وفي ظلمة السجن، جلس يراجع شريط حياته ليجد أن نهاية كهذه كانت متوقعة بعد كل ما فعل.

- عايز إيه مني؟ أكيد مش طالب تشوفني عشان تفضل تتفرج عليا.

@ART_OF_BOOK

س لسامة على وكمنه وهو ينظر إليه بعينين من الشين حرجتين حتى التفاحة
ي تعبر بالت من سيطرة عقله:

- لا ضحك. أنا هنا عشان أساعدك.
- تساعدني! وهو واجبك هنا تساعدني؟
- امم، واجبي أساعد أي شخص مظلوم. وأنت مظلوم يا طارق أنا عارف.

بته طارق بشك وعدم فهم لكلماته:

- أنت عايزلي مش فاهم؟
- أنا عارف إنك مقتلتش سارة. بس أنت بسكوتك بتساعد اللي قتلها وقتلي
قتل أخوك بعربون.

لم يفهم طارق كلمة منه ورغم ذلك راوغه بذكاء:

- إيه اللي عرفك إني مش أنا اللي قتلتها؟!

- معتقدش إنك من النوع الغبي اللي يروح يقتل واحدة في بيتها ويسيب بصمتك
ي كل حتة وفي الآخر يسلم نفسه؟! بعدين سارة مقتولة بسكينة أكتر من طعنة
وده يدل على إن القتل كان بهدف الانتقام. أنت بقى إيه اللي يخليك تنتقم من
سارة بقتلها يا ترى؟

كان يستمع له وهو يضم كفيه بغضب كبير. يتذكر مظهر جثة سارة، التي كانت
ملقاة في منتصف المنزل بشكل مزر. وشرد بعيدًا يحاول التفكير في كلمات أسامة
المنطقية. فقتل سارة كان انتقامًا لا شك فيه. لكن من يفعل هذا بها، ولأي سبب؟

@ART_OF_BOOK

وأسامة أجاب اسئلته غير المتعلقة بصوت مرتفع:

- نفسه اللي قتل أخوك، أغلب الظن إن اللي قتل سارة هو نفسه اللي قتل سامر.
- وانت إيه اللي عرفك كده؟
- أنا معرفش، أنا بخمن، وعشان كده أنا هنا عشان تأكد لها تخميني.

لم يفهم طارق ما يقصد أسامة قبل أن يعتدل الأخير بجلسته يشير مباشرة صوب ما يبتغي:

- الرسالة اللي سابها القاتل جنب جثة أخوك وانت خبيتها، فين يا طارق؟

***

خرجت من المحل وهي تحمل الهاتف بين يديها بحماس شديد تتحرك بسرعة صوب أول سيارة قابلتها، تتحدث مع هند بصوت مرتجف من السعادة:

- ألو يا هند الشاب صلحه الحمد لله واشتغل، بس عليه باسورد مش عارفة أفتحه، تعرفي تفتحيه انتِ؟!

كانت عينا هند على الجانب الآخر تتحركان على حاسوبها المحمول، بينما تُحرك أمامها قائمة تشمل أسماء العاملين بالقصر التي أرسلها لها أسامة.

- امم ممكن، هاتيه وتعالي على أوضتي في الفندق، أنا هناك بخلص شوية حوارات بخصوص أسماء العاملين في القصر
- طب لقيتي حاجة؟!

@ART_OF_BOOK

- لا، كل المعلومات عادية ومفيش اي اسم غريب ولا حد مالاحظ حاجه وغلط في الفترة دي، أغلب الظن إن الشخص ده أساسا مش مسجل رسمي في الأوراق.

تعدلت عفاف وهي تتنزل الطريق أمامها وقد كان الرجل يتحرك ببطء بعض الشيء بسبب ضيق الحارات التي تسيرها السيارة.

- وده ممكن أساسا؟
- اللي خلى اسمه ميتذكرش في التحقيقات ولا الكاميرات لحيته، سهل أوي يمسح اسمه من سجلات الموظفين، الموضوع ده مش هيطلع من بره أفراد الأسرة دي.
- قصدك إيه، شاكة في حد معين؟
- لا، بس أكيد فيه حد جوا التعسر ده ساعد إنه يطلعش كل دليل على الحارس ده، وده إن دل على شيء فهيدل إن الحارس ده أكيد متواطئ في الجريمة.

لمحاة التفتش جسد هند على صوت طرق عنيف على باب شرفتها بشكل جعلها تنتفض بريبة وهي تتحدث بصوت خافت:

- تواتي يا عفاف.

ومن ثم تحركت بسرعة تفتح الباب وقبل الصراخ بكلمة في وجه اي كان من يطرق على باب شرفتها وبطرق بهذه الطريقة الغبية وجدت جلال يندفع بلهفة وهو يتحدث بنبرة واضحة مريبة:

- طلع مطلب يا هند، طلع مطلب وعندنا ابن

@ART_OF_BOOK

- والله؟ بتربي في عزه يا حبيبي، هو مين ده؟

هتف جلال بجدية وهو يندفع صوب الغرفة بشكل همجي لتترك هند الباب لصف مفتوح:

- مرتضى يا هند ما تفوتي معايا.

نظرت إليه بعدم فهم لثوان قبل أن يوضح لها بجدية كبيرة:

- مرتضى طلع عنده ابن عايش معاه في نفس البيت يعني كان في نفس البيت اللي فيه التليفون، يعني إن مكالمش مرتضى اللي بيعمل كده، يبقى ابنه.

***

- أنت اتجننت؟ قتلتها؟

كان صوتًا غاضبًا كما لو أنه خرج من قعر الجحيم، حتى أن المستمع على الطرف الآخر من سماعة الهاتف أبعد السماعة بضيق شديد يزفر بصوت مرتفع:

- كانت لازم تموت وإلا كنا هنروح في داهية.
- نروح؟ نروح مين؟ أنت اللي هتروح في داهية، أنا سبق وقولتلك من بعد موت ساهر وكده كل سنة وأنت طيب لا أنا أعرفك ولا أنت تعرفني.

اتسعت عينا الرجل بصدمة كبيرة مما سمع وقد شعر في هذه اللحظة أنه كان كبش فداء طوال الوقت لانتقام أعمى.

@ART_OF_BOOK

- يعني إيه؟
- يعني متعملش فيها إنك مظلوم يا روح أمك، أنا وانت عارفين إن موت ساهرده كان أمنيتك قبلي كمان، واللي عملته أخدت تمنه وزيادة، يعني هنا وخلاص خلصنا، تاخد نفسك وتختفي لغاية ما الدنيا تهدى وبعدين مسافرلي أي داهية مهمنيش، المهم إنك بعيد عن العيون.

ومن بعد هذه الكلمات لم يسمع الرجل سوى صوت إغلاق الهاتف، وصمت من الطرف الآخر، وما كان منه إلا أن تقهقر أرضًا ببطء، ينظر حوله بعينين غائمتين بمشاعر عدة، ينظر أمامه إلى البحر مستندًا على إحدى الصخور المواجهة له، وجهه خالٍ من أي تعابير توحي بالحياة، يده ترتجف بقوة وهو ينظر إليها غير مصدق أنه فعلها... فعلها وقتلها، قتل سارة، المرأة التي أحب، الشخص الوحيد الذي عاش حياته لأجله، المرأة التي باع كرامته، ورجولته ودهس مستقبله أسفل أقدامه فقط ليسعدها.

أغمض عينيه يستند على الصخرة خلفه، لا مشاعر تظهر على وجهه سوى جمود، جمود غريب، يبصر حياته تمر أمام عينيه في لمحة سريعة، لمحة لم يظهر بها سوى ولائه الشديد لسارة كما الكلب، ولاء لامرأة عاملته كالفضلات، اتخذته سلمًا لتصل لما تحلم به.

كان رجلًا، مجرد رجل أحب، وذنبه أنه أحب، وأخطأ في اختيار من يحب، لكنه صحح خطأه وتخلص من ذنبه، تخلص من مرضه، تخلص من سارة.

***

@ART_OF_BOOK

- متقدرش.

- متقدرش؟ يعني أنت حابب تقضي عمرك الباقي هنا؟!

ضغط طارق على قبضته بقوة وهو يحاول أن يتمالك غضبه وقد شعر بالنيران تشتعل داخل صدره:

- مقدرش إني أعمل كده، أنت مش فاهم الرسالة دي فيها..

- فيها دليل ممكن يوصلنا لقاتل أخوك، وقاتل سارة كمان.

- مش ممكن.

نظر إليه أسامة بعدم فهم:

- مش ممكن؟ ليه مش ممكن؟

رفع عينيه صوب أسامة يتحدث بصوت مبحوح:

- لأن اللي في الرسالة مش بيدين أي حد غير ساهر نفسه.

جملة غريبة ألقاها طارق في اللحظة التي اقتحم بها العسكري المكان بسحب طارق من أمام أسامة المصدوم محاولًا فهم ما يقصد طارق.

"ما في الرسالة لا يدين سوى ساهر؟" ما الذي يعنيه؟

- مالها أسامة باشاكله تمام؟

رفع أسامة عينيه صوب الضابط وهو يهز الهه بشرود وكأنه ينظر إليه ولا يبصره، بينما الأخير تحرك وجلس على مكتبه بعدم فهم يضع أمامه ملفًا صغيرًا يخص القضية بعدما تم أخذ أقوال طارق في وقت سابق في انتظار عرضه على النيابة.

@ART_OF_BOOK

- اسامة باشا، أسامة باشا. حضرتك كويس؟

نظر إليه أسامة نظرة ضبابية توحي أنه لم يكن بمنتبه حتى لما يحصل حوله. لكنه رغم ذلك نهض برفع يده لمصافح الضابط بهدوء وبسمة ممتنة:

- ايوة كله تمام. شكرًا لحضرتك وآسف لو أخذت من وقتك.
- لا ولا يهمك. وزي ما قولتلك. تقدر تتابع تحقيقات القضية الخاصة بسارة راضي بنفسك. شرفني أي وقت وأنا...

بين أسامة يتابعه بهدوء قبل أن ينتفض فجأة بشكل غير محسوب. وهو يهرول بسرعة على مكتب الشرطي. يهمس بصوت مصدوم وملامح مرتبة. مع عينين متسعتين جعلا الشرطي يتراجع للخلف متفاجئًا.

- مين؟ قولت مين؟!
- هوا إيه اللي مين؟ مش دي المجني عليها اللي أنت جاي عشان قضيتها؟!

تنفس أسامة بشكل غير مستقر تقريبًا:

- أنت قولت اسمها إيه؟ اسمها سارة إيه؟ ممكن الاسم كامل؟!

رفع الضابط حاجبه لثوانٍ قبل أن يرفع الملف الخاص بالتحقيقات أمام عينيه لهذا الاسم بريبة وهدوء:

- سارة راضي، اسمها سارة راضي عوض الحسيني.

***

@ART_OF_BOOK

خرج ركضًا من المكان بأكمله وهو يجذب خصل شعره بصدمة كبيرة، كيف فاته الأمر؟! كيف فاته أن يبحث عن حياتها أو حتى يتأكد من بياناتها؟ لقد كان بدورك حلقة مفرغة والحل أمام عينيه.

سارة راضي عوض الحسيني، ابنة الرجل الخفي الذي خرج من قبره وذهب ليحرس منزل الخواجة بلا مقدمات في يوم الجريمة ومن ثم اختفى وكأنه لم يكن. فجأة كان هنا، ومن ثم لا شيء، خرج الرجل من قبره ليقتص لابنته، كم هذا مضحك!

القضية كلها منذ البداية كانت تلتف حول هذا الاسم (راضي عوض الحسيني)، لكن إن كان الغرض المرجو خلف كل هذه الجرائم هو الانتقام كما يرى، لماذا؟ لماذا كانت سارة إحدى الضحايا المدرجة على قائمته؟ ما الدافع إن لم يكن الانتقام؟ ماذا إن كان يبحث في الاتجاه الخاطئ بربطه الأربع جرائم معًا؟ ماذا إن كان كل ذلك مجرد صدف سخيفة وروابط وهمية تربط الجرائم، ماذا إن كان المجرم من الذكاء الذي يجعله يضع أدلة وهمية للتضليل؟ ومع السؤال الأخير كان

@ART_OF_BOOK

لقد وصل لهو الفندق الصغير الذي يقطن به مع فريقه، يبصرهم يجلسون في احد مقاعد الانتظار وكأنهم لا يطيقون ذلك لرمي مصائبهم في حجره.

نهد يتحرك صوبهم يرفع يديه باستسلام وصوت تنهيداته يعلو في المكان حامدًا لله انهم كانوا من التعقل لاختيار مقاعد بعيدة منعزلة عن الجميع، اقترب منهم ولم يكد يتحدث بكلمة حتى وجد جسد جلال ينتفض بسرعة وهو يتحدث بلهفة كبيرة؛

- عومش هتصدق اللي اكتشفته، قولتلكم قبل كده أي قضية حلها بين إيدي.

جلس أسامة بهدوء يستند بظهره على الأريكة خلفه يتنفس بصوت مسموع يضم كفيه مستندًا بذقنه عليهم مبتسمًا بسمة صغيرة وهو يشير لجلال أن يكمل، والأخير لم يتأخر وهو يسارع للتحدث بلهفة:

- مرتضى طلع عنده ابن اسمه رأفت والشاب ده عايش معاه عادي في البيت يعني احتمالية إنه هو اللي كان بيستخدم التليفون كبيرة، وكمان اكتشفت حاجة تانية.

قاطعته هند وهي تدفعه للخلف بغيظ وضيق:

- إيه يا عم واخد في وشك وقاعد تعدد في شطارتك ولا كأن فيه بشر قاعدين يحققوا معاك، ثم اكتشفت إيه معلش؟ أنا اللي قعدت مكفية على اللاب لما ضهري انكسر عشان أكتشف الموضوع.

@ART_OF_BOOK

- ابوة بس لولا اكتشاني الأول لاسم رافت مكنتيش اكتشفتي إنه هو نفسه اللي كان بيشتغل عند العيلة ولا كنتي أساسًا هتعرفي تدوري في أسماء الموظفين لولا إني جبتهم من الحاج بلال الله يشفيه يا رب و.....

في بداية الحديث، كان أسامة منتهيًا، لكنه سرعان ما شعر بالملل عندما بدأ الجدال والشجار، ممسح وجهه بضيق، وتعالت أصوات التأفف منه، لكن حينما وصلا إلى جزء الحقائق انتفض جسده، وهو يشير بيديه لهما لبصمتهما:

- اهدوا كده شوية.... اهـــدوا.

صمت الجميع برعب من صرخة أسامة، والجميع هنا ليس فقط فريقه العزيز، بل أيضًا كل من حوله في منطقة الاستقبال داخل بهو الفندق، وهو فقط نظر إليهم بشر قبل أن ينهض يتحرك صوب المصعد بعدما رمي نظرة إليهم فهموا من خلالها أن وجود رؤوسهم أعلى أكتافهم لفترة أطول يعتمد على لحاقهم به.

نهضت هند وهي تجمع أشياءها ومن ثم لحقتها عفاف، بينما احتج جلال بضيق معترضًا بصوت حانق:

- إيه رايحين فين، البوفيه بتاع الغدا هيفتح، أمال احنا نزلنا ليه؟

لكن التفتت له عفاف تجذبه من ثيابه وهي تردد بحنق:

- اخلص بدل ما أسامة ينزل يدور فينا الضرب وهو شكله جاي من برة مستوي أساسًا، اقول عليكم إيه هتضيعولي الحيلة.

ختمت حديثها تسحب جلال خلفها بغضب، بينما الأخير يتمسك بالأريكة بإصرار عجيب يتوسلها الرحمة به وبمعدته:

@ART_OF_BOOK

- طب سندولك حق الله يكرمك يا شيخة. انا عايش ف مصاحة من وقت ما رجلي دهت البلد دي.

لكن عفاف تجاهلته وهي تسحبه صوب المصعد. وما زالت تفكر بقلق في اسامة الذي بدا كمن يغط على جمر.

****

- وانت كنت رايح لها تعمل إيه؟ إيه اللي وداك شقتها؟

زفر طارق بلا اهتمام لصراخ والده الذى بدا كما لو انه على وشك ارتكاب جريمة في هذه اللحظة ويحطم رأس ولده، لكن طارق استمر في الصمت وعيناه شاردتان فقط يستمع لما يتحدث به، بلا أي رد أو ملامح أو حتى إيماءة توحي انه معهم.

نظر منصور الى ابن أخيه بتعجب مما يظهر ومن ثم اشار للمحامي بالتدخل، فتدخل.

- طارق بيه لو سمحت تعاون معانا عشان نقدر نساعدك، انت من وقت ما جيت رافض تقول كنت هناك بتعمل إيه، سكوتك ده إدانة ليك. بلغني إيه اللي حصل يمكن نلاقي ثغرة ندخل منها و...
- هي سارة اتجوزت ساهر ازاي؟

كان سؤالًا غير متوقع من طارق بعد صمته، ارتفع حاجب يسري يحاول أن يصل لما يدور داخل عقل ولده يصيح بضيق وغضب:

@ART_OF_BOOK

- انت بتقول ايه؟ احنا في ايه وانت في ايه يا رفت انت؟ ما تلوقش يا طارق وتكر معايا. انت مش واعي إن انت بالشكل ده بتضيع سمعة العيلة معاك؟ جدك من الصدمة مرمي في المستشفى دلوقتي ومش بيتحرك و.....

- سمعة العيلة؟

اعتدل منصور والذي لمى حقده جانبًا حينما شعر أن إمبراطوريتهم على وشك السقوط فجأة وضياع كل ما يملكونه لأجل بعض الصبية:

- أبوة سمعة العيلة اللي بقت على كل لسان بسببك.

كان يصرخ بجنون بينما يُصري يشاركه في تعديد الأضرار التي ستطالهم بسببه، والتي على رأسها سمعة العائلة واسمها، وبالطبع اسهمها.

يستمع وهو يلقي إليهم نظرات غامضة وعقله يجري حوارًا سريعًا بينه وبين نفسه.

العائلة، اسمها، سمعتها، أسهمها، شركاتها، عملائها، لطالما كانت تلك الكلمات هي أولوية الجميع على مدار العقود السابقة التي نشأ بها اسم الخواجة، كان كل ما يتعلق بالعائلة في المقام الأول عدا العائلة نفسها، وهذا ما دار بعقل طارق وترجمه لسانه:

- اسم العيلة؟ وانتم بتعملوا اسم للعيلة مفكرتوش مين هيشيلوا أساسًا؟!

نظر إليه الجميع بعدم فهم أما عنه فأكمل بصوت حاد وكأنه استوعب متأخرًا ما يحدث:

@ART_OF_BOOK

- اللي بلتحر بلتحريس المهم مهمايش جلب اسم العيلة. اللي بلقال بلقط بس المهم مهمايش جلب اسم العيلة، اللي بلسجن بلسجن المهم مهمايش جلب اسم العيلة. اسم العيلة اسم العيلة. طب والعيلة؟ فين العيلة أساسًا؟ مين اللي هيكلمني من العيلة عشان يشيل اسمها بعد ما يعتوا حقنا كلنا عشانها؟

سمت بلتلتس بصوت مرتفع وكأنه كان في سباق بيجري حوالين نفسه قبل أن يتوقف لحاة بنظر إليهم بغضب:

- خوفتوا تلتحوا تحقيق في التحار سعد وعادل رغم إن الكل عارف إن الموضوع مش منطقي بلتحروا أساسًا، بس معلش اسم العيلة.

بتر صوب والده بسخرية ولسان تحرق صدره بقوة:

- قتل سامر أخويا اللي خوفتوا تكبروه وبتحققوا فيه من تحت لتحت عشان الفضايح ولا فاكرلي مصدق حوار حقه والكلام ده؟

ضحك بسخرية لاذعة:

- وبلوقتي جه الدور علينا. إلي أبقى كبش فدا ليكم وبلعينة ولاسمها وللأسهم اللي بتخص العيلة. طب واحنا؟ عيالكم؟ انا وهما فين؟ ده انتم حتى لما بـــ

وقبل إكمال كلماته اوقفه منصور بسرعة وغضب صارخًا بصوت جهوري:

- طارق خلصنا؟ مش وقته نتحاسب. قولنا كنت عند البلت دي عشان ليه علينا نشوف هتتنيل نخرجك من المصيبة دي ازاي؟!

@ART_OF_BOOK

ابتسم لهم طارق بسمة مذبوحة وقد أدرك في هذه اللحظة أنه أخطأ كثيرًا، أخطأ حينما صمت قديمًا، حينما طأطأ لهم رأسه وباع روحه ونفسه لأجلهم، لأجل شركتهم وعملهم.

صمت لمرة والمئتين وثلاثة حتى أتى دوره، راقبهم ولم يفعل شيئًا وهم يرحلون واحدًا تلو الآخر حتى جاء وقته.

سقطت دمعة من عينيه، لا يشعر بشيء حوله سوى بالسواد العالم حول عينيه فجأة، ضاع عالمه وانهار في المرة الأولى التي صمت فيها عن ظلم العائلة لأحدهم تحت غطاء "اسم العائلة أولًا"، كان شاهدًا على ظلمهم، بل وشاركهم بصمته، والآن جاء دوره، لكن هذه المرة لن يصمت.

- يا ابني انطق وقولنا إيه اللي خلاك تتلبل تروح شقة البلت دي و....

قاطع كلمات والده بهدوء وهو يلقي كلمته بلا اهتمام لصداها الذي رن في الغرفة بأكملها:

- كنت رايح أتجوزها.

***

صامتون للا ينفجر فيهم أسامة، خائفون من ملامحه في هذه اللحظة، كان يبدو غاضبًا ساخطًا بشكل عجيب.

وفي الحقيقة أسامة كان ساخطًا على نفسه قبلهم، كيف فوّت التحقيق عن خلفية كل شخص مشكوك به، لكن نفسه حاولت تبرير كل ذلك أنه لم يكن

@ART_OF_BOOK

يمتلك وقتًا لذلك فبمجرد ان اشارت أصابع الاتهام صوب صارة، حتى وصله خبر لقتلها.

رفع عينيه صوب الجمع وقد كانوا هادئين بشكل غريب، جعله يتنهد بصوت مرتفع يمسح وجهه يحاول ان يهدأ قليلًا:

- حصل إيه احكولي؟ وصلتوا لإيه معرفهوش؟!

ولد كان أول من يتحدث هو جلال الذي باشر بعرض ما وصل له بهدوء شديد:

- عم مرتضى طلع عنده ابن اسمه رأفت وعايش معاه في نفس البيت، أنا أول ما عرفت كده شكيت فيه وجيت جري أقول لعفاف وهند، لقيت هند بتقولي إنها صادفت اسم حد اسمه رأفت في الملفات.

ومن هنا أكملت هند حديثه لشرح ما يحدث:

- الأوراق اللي قدامي مسجل فيها موظف باسم رأفت مرتضى بس مفيش أي ذكر لاسم الجد أو العيلة، اتوظف قبل الجريمة بشهور قليلة، وقبل الجريمة بيومين صفى حسابه ومشي.

صمتت وهي تقول بجدية وما زال ذلك السؤال يؤرقها:

- أنا خمنت إنه ممكن هو، خاصة إن جلال أكد على اسم ابن مرتضى، بس لو هو ازاي اشتغل وهو كان صفى حسابه ومشي.

أضافت عفاف وهي تشاركها الحيرة:

- وازاي أشرف الجنايني قال إنه اسمه راضي على اسم عمه؟

@ART_OF_BOOK

- يمكن ده كان تمويه؟ اصل يعني الناس مش هتبص في بطاقته، اسمك ايه اسمي راضي وخلصنا.

كانت تلك جملة جلال التي حاول بها تبرير ذلك الجزء من القصة، وما زال حتى غير مقتنع بحديث ذاته.

بينما أسامة صامت يحاول أن يدير الكلمات في رأسه، ينفي ضهقه جانبًا يحدق في الفراغ أمامه، يسمع سؤال عفاف التالي:

- ايوة في الاخر بعد كل ده، إيه وصل رأفت للعيلة دي وازاي ممكن يكون شارك في الجريمة مثلًا؟! وليه ممكن يكون عمل كده؟!
- انتقام.

كانت تلك كلمة واحدة نطق بها أسامة، قبل أن ينهض ويتوقف أمام الأريكة التي يستقر عليها الثلاثة وقد كانوا يتخذونها ساترًا لهم بعيدًا عن أسامة، بينما الأخير وقف أمامهم يردد بهدوء شديد:

- النهاردة لما روحت النادي عرفت خبر أعتقد كلكم عرفتوه.

هز كلٌ من هند وعفاف رأسهما بالإيجاب، بينما جلال ينظر إليهما بعدم فهم وغباء يحاول فهم ما يحدث، ينظر صوبهما بتشنج:

- لا معلش خبر إيه؟! انتم بتهزوا رأسكم ليه انا معرفتش حاجة، حصل إيه؟!

@ART_OF_BOOK

ابتسم له أسامة ابتسامة صغيرة، وهو يتحدث ببساطة على عكس طبيعته مع جلال في مثل هذه المواقف:

- سارة اتقتلت.

- سارة مين؟ القاتلة؟!

ثم أسامة بدأ لصدره يهز رأسه بقلة حيلة يكمل بهدوء:

- أيوة يا جلال سارة القاتلة اتقتلت امبارح والمتهم في الجريمة دي هو طارق الخواجة، وتخيلوا عرفت إيه من التحقيقات هناك؟

نظر إليه الجميع بترقب ينتظرون كلماته ليبتسم وهو يضحك بسخرية من نفسه:

- اسم سارة اللي محدش فينا أساسًا فكر بدوروراه.

أجابه جلال بهدوء:

- ولدوروراها ليه؟ احنا بنجمع أدلة مش سجل مدني.

مال أسامة بنصف جسده وهو يلقي بكلماته بملامح جامدة بعض الشيء:

- ندوروراها لأن حل نص القضية إن لم يكن كلها في اسمها.

نظر إليه بهدوء يتساءل بجدية:

- قولي يا جلال هو مرتضى قالك إيه عن عيال راضي؟!

رمش جلال بهدوء لا يفهم السؤال ليعيد كلماته الأولى لنفسها:

@ART_OF_BOOK

- قال معندوش غير بلت واحدة متجوزة واحد وعايشة برة مصر.
- عايشة برة مصر؟!
- أيوة حتى كان هيجيبلي رقم جوزها النهاردة من ابنه رافت بس قال رافت مشغول لما يفضى هشوفه ليك.
- رافت مش مشغول يا جلال، أساسًا مفيش بلت متجوزة ولا فيه بلت برة مصر.

التيه الجميع لكلمات أسامة وهو يعتدل في وقفته يواجههم بقامته، والبالية يتابعون باهتمام شديد للقادم إذ يبدو أن أسامة يحمل في جعبته الكثير، لكن جلال لم يتجاوز بعد المعنى السطحي لجملة أسامة:

- يعني إيه؟ عم راضي كان عقيم معندوش عيال؟!

رماه أسامة بنظرة مرعبة جعلته يصمت فورًا، بينما هو تنفس بصوت مرتفع وهو يجذب خصل شعره بنظر إليهم بفرد يديه في الهواء:

- لا عنده بلت، بلته تبقى المرحومة سارة، سارة راضي عوض الحسيني، سارة تبقى بلت راضي وبلت أخو مرتضى.
- وبلت عم رافت.

كانت تلك كلمات عفاف التي تحدثت بها بشرود وكأنها التقطت فجأة غرض أسامة مما يقول.

- بلت عمه اللي انضحك عليها من أحفاد الخواجة.

ابتسم أسامة بنظرة مرعبة جعلته يصمت فورًا، بينما هو تنفس بصوت مرتفع وهو يجذب خصل شعره بنظر إليهم بفرد يديه في الهواء:

@ART_OF_BOOK

- وبكده نكون وصلنا لعقدة الوصل.

****

- ابنك قصده إيه يا يسري؟!

رفع يسري عينيه صوب منصور وهو ما يزال يجلس معه داخل غرفة والدهم في المشفى وأمامهم تجلس والدتهم بهدوء تضم لها بسملة، بينما شهاب يجلس بكل هدوء جانبًا دون أن يتدخل في أي حوار وكأن ما يحدث لا يعنيه.

- منصور خلصنا مش وقته كلامك ده مش شايف أبوك تعبان ازاي؟!

تحدث بلال بصوت خافت مرهق وكأنه يجاهد مع حروفه لخروجها:

- سيبه يا يسري مخبيين علي إيه؟ المحامي قالكم إيه؟ مش هيعرف يطرجه؟!

ابتسم منصور بسخرية لاذعة يضع قدمًا فوق الأخرى ساخرًا:

- يطرج مين مش لما الفندم يقلل يوافق على إنه يتكلم أساسًا ويساعده بأي دليل.

تحركت عينا بلال صوب يسري الذي رمى أخاه بغضب وحقد كبير، ليتجاهله الأخير وهو يكمل حديثه دون أن يسأله أحدهم:

- الأستاذ مقالش كلمة واحدة من وقت ما روحنا غير إنه بس راحلها شقتها عشان يتجوزها.

@ART_OF_BOOK

انسحت عمدا بلال بصدمة وملا تلفسه بشكل مرعب، بينما اعتدل شهاب في جلسته بهدوء وقد بدا أن هناك أخيرًا ما جذب انتباهه خلال هذه الجلسة الممل.

وصوت بلال هو ما قطع صدمة الجميع، يتحدث بصوت متحشرج:

- بتجوزها؟ بتجوز؟ بتجوز مين؟
- هيكون مين يعني؟ البلت اللي رمت بلاها علينا ومن وقت ما دخلت حياتنا واحنا مشوفناش يوم واحد عدل. الأستاذ بيقول إنه كان هيتجوزها عشان يساعدها تخلص من اللي عملناه فيها.

تحدث بلال بصوت ضعيف وكأنه على وشك الانهيار:

- اللي عملناه فيها؟! واحنا؟ احنا عملنا فيها إيه؟

ابتسم شهاب بسخرية لاذعة وقد تخلى عن صمته لأول مرة في هذه التجمعات:

- عملتوا إيه فيها؟ إيه يا جدي مفيش حد غريب هنا يعني عشان الشوبتين دول. قول معملناش فيها إيه؟!

ضمت بسملة نفسها لأحضان حنان التي رمت شهاب بشر كبير تهمس من أسفل أسنانها:

- شهاب مش ناقصاك جدك تعبان و....

قاطعها بلال وهو يرفع يده في وجهها وقد بدا شحوب وجهه يسيطر أكثر عليه:

- سيبيه يا حنان واضح إن شهاب شايل ومعمي أوي.

@ART_OF_BOOK

أهلت ملامح شهاب وقد وهضت عيناه فجاة بلمحة غضب وحقد دفين لم يكن يوما يظهره علنًا لأحدهم.

- ولا شابل ولا معيي، بس مستغرب ازاي تكدبوا الكدبة وتصدقوها. انت بجد يا بلال بيه صدقت إن البلت دي هي اللي ضحكت على حضنك المسكين ودبسته فيها؟

صمت يتحدث بصوت قوي غاضب وقد اشتعلت عيناه بجنون وهو بيهش من مكانه وصدره يشتعل بقهر وحسرة:

- فوق يا جدي كلنا عارفين هنا ساهر كان عامل ازاي إذا كان هو أو سعد أو عادل، انت مش بس غطيت عليه وطلعت البلت هي اللي مش محترمة، لا ده انت خليت الكل يصدق إنكم المظلومين في حين إنكم كلكم....

قاطعته حنان بصرخة وهي تشير إليه أن يتوقف:

- شهاب انت اتجننت انت بتكلم جدك، فيه إيه؟

نظر إليها شهاب بدموع بدأت تهبط على خده وقد شعر بقلبه يتفتت وهو يهمس بصوت باكٍ مقهور:

- لا مش ناسي... مش ناسي إنه جدي اللي عمره في يوم ما حبني ولا حتى بص لها زي ما بيبص لأحفاده الباقيين، جدي اللي بهدلني على اختيار والدتي لراجل هو مش راضي عنه، جدي اللي لما عرف إني بحب واحدة وعايز أتجوزها سلط عليها أحفاده عشان يبعدها عني.

@ART_OF_BOOK

عتم حديثه وهو بنظر إلى بلال الذي كان في هذه اللحظة ينظر إليه بصدمة كبيرة وعينان دامعتان وقد أصبحت يده ترتجف بقوة وتنفسه أصبح سريعًا والكل حولهم ير الهبون بصدمة، وقد كانت تلك مرتهم الأولى التي يستمعون بها لكلمات شهاب.

أما عن شهاب بكى أكثر وهو يصرخ بجنون وقد خرجت كل كلمة من أعماق صدره تصرخ بظلم وقهر عاش به سنوات طويلة، يُعاقب على ذنب ليس له.

- أنا عمري... عمري في حياتي كلها ما طلبت منك طلب، عمري ما قولتلك عاملني زيهم أو حبني زيهم. مطلبش منك غير إنك تسبني في حالي. مطلبش منك غير إنك ترحمني من نفوذك. وأنت عملت إيه؟

هرول صوب جده وهو يصرخ في وجهه بجنون وقد فقد صوابه بالكامل ويسري تحرك بسرعة بجلبه بعيدًا عن بلال، بينما شهاب ظل ينظر إليه بحقد وغضب لا يتوانى عن الصراخ بجنون:

- وكل ده عشان إيه؟ عشان اسم عيلتك؟! اسم عيلتك اللي أنا أساسًا مش شايلها؟ بس ازاي الناس تقول إن بلال الخواجة جوز ابن بنته لواحدة مش من مقامهم وعاد نفس اللي عملته أمه.

سقطت دموعه يصرخ ببكاء وقهر:

- يا أخي طب كنت سيبتني وأنا كنت هبعد بيها عن الكل، مكنتش طلبت منك غير إنك تسيبني في حالي. أو حتى كنت سيبها في حالها وأنا كنت بعدت عنها، ليه تعمل فيها كده؟ ليه؟

@ART_OF_BOOK

تهتف بلال بصوت متحشرج يحاول إخراج كلماته بصعوبة:

- هي... مكانتش بتحبك أساسًا وكانت بتحب ساهر...
- تقوم تستغل أنت وهو حمالة وتخليه يعتدي عليها عشان تبعدها عني؟ أنت إيه؟ إبليس؟! يا أخي الله يلعنكم كلكم. الحمد لله إني مش شايل اسم العيلة. لأني مكنتش هقدر أعيش وأنا شايل اسم العيلة النجسة دي أبدًا.

ختم حديثه بعدد يد يسري بقوة وغضب. ومن ثم تحرك صوب الباب بسرعة ولم يكد يخطو خارجه. حتى توقف ينظر إليهم دون الاستدارة بشكل كامل:

- آه صحيح. اللي بيحصل فيكم ده كله بسبب أعمالكم. اشربوا. وابقوا سلموا على اسم الخواجة.

ومن ثم؟ غادر دون أن يلتفت لهم ولا حتى لبكاء وصراخ يسمنة التي هرولت خلفه تنادي اسمه بشكل محموم تتمسك بذراعه تحاول أن توقفه. ترجاه ألا يتركها وحدها. تتوسله أن يأخذها معه من هذه العائلة. بينما يتابع بلال ما يحدث بصدمة كبيرة قبل أن يسعل بقوة ويشعر بضربات قلبه تزداد لدرجة أنه منصور وهو يصرخ باسمه. بينما حنان كانت تر اقب ما يحدث أمامها مصدومة بأكبر مما سمعت لأول مرة وقد كانت هذه الحقيقة أول ما يخفي عنها زوجها ويا ليت الأخيرة.

- عقاب عملتي إيه في شهرين ساهر؟!

أخرجت هاتف والذي كانت تحتفظ به في حقيبتها بعدما علمت تحذيره لأسامة بسرعة بلهفة شديدة:

@ART_OF_BOOK

- جبته واتصلح، بس هو عليه باسورد، مش عارفة ممكن هند تعاول تفتحه انت عارف مليش في الحوارات دي.

انتزعت هند الهاتف منها وهي تنظر إليه لثوانٍ قبل أن تهز رأسها بعدم فهم لكيفية فتحه لكنها تعلم مَن بالتحديد يستطيع، لذا وضعته في حقيبتها بهدوء:

- هحاول فيه، ولو وصلت لحاجة هقولكم.

هز أسامة رأسه وهو يدفن وجهه بين يديه يحاول التفكير في القادم، يخطط ببساطة بعض الخطوط العريضة التي سيسير عليها مع الجميع للانتهاء من هذه القضية وقلبه يحدثه أنها مجرد سحبة خيط وينتهون منها بالفعل.

- عفاف أنتِ بكرة هتروحي المستشفى كأنك رايحة تطمني عادي، جسي نبض أي حد منهم، اعرفي كل واحد دماغه وخداه لفين، لمسه موضوع إخفاء الأدلة حوالين رأفت ده مخليني متأكد إن حد من جوه له يد في كل ده.

نظر صوب هند التي كانت تراقبه بهدوء:

- هند تليفون سامر بكرة عايزه يلتفض، تفتحيه وتخرجيلي منه بأي حاجة تساعدنا.

صمت وهو يفكر في شيء بينما جلال نظر إليه بترقب يدعوربه ألا يلقي به مع عجوز آخر، أوفي حارة مع بعض المتشردين مرة أخرى.

- جلال أنت هتبجي معايا لبيت مرتضى ده، لازم نعرف حوار ابنه ولفهم الدنيا كلها، أظن كلامي واضح مش كده؟! أي سؤال؟

@ART_OF_BOOK

نظر الثلاثة إلى بعضهم البعض دون كلمة. ليبتسم لهم أسامة بسمة واسعة.
يهتف من مكانه بتنهد بصوت مرتفع:

- تمام أوي كده، اللي قولته يتنفذ بالحرف ومحدش يجود الله يكرمكم، محتاج بكرة القضية دي تكون اتقفلت، مش عايز سؤال واحد إلا وتلاقي ليه إجابة، تمام بإذن الله.

ولم يجب أحدهم ولو حتى بهزة رأس صغيرة، ليبتسم لهم من دون اهتمام:

- تمام.

كاد يتحرك خارج المكان لولا أنه توقف مرة ثانية يشير صوب هند:

- آه صحيح عايز أقولكم إني فخور بيكم وبكل اللي وصلنا ليه، وإن لو احنا اتوفقنا في المهمة دي احنا هنوصل لمكان تاني خالص أوي.

لمعت عينا جلال بقوة يفتح ثغره مبتسمًا بأمل قبل أن يردد بهدوء:

- ممكن يعني أترقى؟!
- لا مش أوي كده يا جلال، أنا بقول مكان تاني خالص، مش عالم تاني خالص.
- على فكرة نص الأدلة أنا اللي جايبها و....
- بالغلط، نص الأدلة انت اللي جايبها بالغلط ولولا إنك بتحكيلنا واحنا بنمسك في الكلمة ونقولك إنها دليل، مكنتش عرفت أساسًا إن معاك دليل.

@ART_OF_BOOK

التوى لظهر جلال بضيق شديد، بينما أسامة ضحك بصوت مرتفع عليه، يتحدث بجدية قبل التحرك للخارج:

- مش صعب يا جلال صدقني، انت بحبي منك فعلًا، بس لو بصيت في جوهر كل شيء هتعرف إنه بحبي منك ونص كمان، حاول وممكن في يوم توصل وقتها أنا اللي هقف وأباركلك إنك بقيت قائد وليك فريق خاص بيك.

ختم حديثه بتشجيع وهو يتحرك للخارج بشير لعفاف أنه سيعود سريعًا، بينما جلال راقبه بحنق:

- ايوة بس أنا كنت عايز اكون قائد عليك انت.

***

في صباح اليوم التالي، فور استيقاظ عفاف تجهزت وتحركت بسرعة صوب المشفى، تحاول أن تحضر نفسها لبعض الأسئلة التي قد تطرحها عليهم، تدعي التعاطف وفي الحقيقة هي تفعل قليلًا فقط، لكن مما أخبرهم به أسامة فهذه العائلة ليست باللطيفة أبدًا أو المسالمة، تنهدت وهي تتوقف في بداية الممر ولم تكد تتحرك صوب الغرفة التي يقطن بها بلال هذه الأيام حتى أبصرت حركات غريبة أمامها وهي لا تفهم ما يحدث في الجوار، أبطأت في السير، تقترب من الغرفة تحاول معرفة ما يجري، لكن فجأة سمعت صوت صراخ يعلو في الممر بشكل جذب انتباه الجميع حولهم وقد كان الشجار محتدم بين منصور ويسري، إذ صرخ الأخير في وجه أخيه بجنون:

@ART_OF_BOOK

- مابز تعمل ابني كبش فدا يا منصور انت اتهبلت؟! مش ده اللي كان شايلكم المدين اللي فاتت وشابل الشركة كلها فوق كتافه؟!
- ابنك خلاص بقى كارت محروق فكرك لو حتى خرج براءة حد هيرضى يحط إيده في إيدينا تاني طول ما هو في الشركة؟!

اسمعت عبلا عفاف مما تسمع وقد تشنجت ملامحها بضيق شديد من حديث الاثنين، ولم تكد تتراجع حتى سمعت صوت منصور يقول بجدية وصوت غاضب وكأنه لمي أبن بقف مع شقيقه:

- ابنك مش بس خالف أوامرنا وكان رايح يتجوز البلت اللي دمرت حياتنا، لا وبيعصى أوامرنا وعايز يدفن كل اللي عملناه في سابع أرض.

تراجعت عفاف ببطء صوب الخلف دون أن يشعر بها أحدهما، وصوت شجار الاثنين يصل لها وهما يتصارعان، وقد بدأت تشعر أن المشادة لن تنتهي قريبًا.

فجأة، وهي تتراجع حتى لا يبصرها أحدهم، اصطدمت بشخص خلفها، فاستدارت بسرعة كبيرة نحوه، وعيناها متسعتان لتبصر بسملة تنظر إليها بتعجب، وسرعان ما تداركت عفاف تعابيرها وهي تحاول أن تبتسم لها بسمة صغيرة تهمس بصوت هادئ:

- بسملة كويس إني لقيتك كنت عايزة أتكلم معاكي في موضوع مهم.

رفعت بسملة حاجبها بعدم فهم، بينما عفاف نظرت خلفها للوان قبل أن تمسك يدها متحركة بها صوب الخارج:

- تعالي نشوف مكان هادي الأول.

@ART_OF_BOOK

ومن ثم تحركت بها صوب بعض المقاعد في حديقة المشلى العريقة والضخمة. تبتسم له وهي تساعدها لتجلس بهدوء:

- عاملة إيه يا بسملة؟!

هزت بسملة رأسها، وقد شعرت أن نظرات عفاف لا تخفي لها خيرًا، وكانت عفاف تحاول فقط جذبها لحوار ودي في البداية، لكن بسملة كانت متوترة، مما منعها من الاندماج معها في ذلك الحوار، لذا تنهدت عفاف وهي تدخل في صلب الموضوع الذي جاءت لأجله:

- بسملة أنتِ كنتِ فين يوم الجريمة؟!

توترت بسملة وانسعت عيناها بعدم فهم:

- ما قولتلك كنت مسافر..

لكن عفاف قاطعتها بلا مقدمات وهي تباغتها بالحقيقة التي وصلت لها بعد بحث:

- أنا عارفة إنك كنتِ في مصر يا بسملة، السؤال هنا، كنتِ في مصر بتعملي إيه وليه مذكرتيش في التحقيقات إنك وصلتي يوم الجريمة الضهر لمصر؟!

***

@ART_OF_BOOK

- أبوة هنا يا عو خلاص أمو البيت هناك امو.

توقفت سيارة أسامة في المكان وهو ينظر بعينين مدققتين إلى المنزل الصغير الذي يقبع أمامه على وشك الانهيار لولا رحمة الله بمن يسكنه. هبط بترع لخطاره بتحرك مع جلال صوب المنزل وهو يتحدث بجدية وكلمات يوجه بها جلال؛

- مش عايز كلام كتير يا جلال احنا جايين عشان شيء معين هنخلصه ونمشي ومش عايز رغي كتير.
- رغي! أنا برغي؟!
- بترغي! ده انت بتصاحب المهمين يا واجل.

الدوى لفر جلال بضيق منه وهو يتوقف معه أمام منزل مرتضى، يشير إليه بحنق؛

- أمو البيت اللطمل وربي متعمل إيه.

ابتسم له أسامة بسخرية، ورفع كفه ضامًا إياه ليطرق الباب بهدوء شديد، لكن الطرقة الأولى والثانية لم تلق أي رد من الداخل.

نظر أسامة صوب جلال بشك، ليتحدث الأخير بسرعة؛

- والله ده بيته، ممكن يكون على القهوة لو هو مش هنا.

رفع أسامة يده وهو يطرق الباب بقوة أكبر حتى سمع صوتًا يأتيه من الداخل، توالي وظهر مرتضى وهو ينظر إليهم بعينين شبه مغلقتين؛

- مين؟! فيه إيه على الصبح؟!
- عم مرتضى أنا جلال إيه مش فاكرني ولا إيه يا راجل يا طهب؟

@ART_OF_BOOK

رفع له مرتضى عمله وقد اكتشف ملامحه بضيق:

- عايز إيه باشن أنت؟

ارتد جلال للخلف وهو يبتلع ريقه:

- إيه يا عم مرتضى شكلك كده متملش كويس وصاحي مقريف، إيه مش فاكرني ولا إيه؟!

- ما تخلص يا ابني انت هتصاحبني؟

نظر جلال بإحراج إلى أسامة وهو يشير إليه هامسًا:

- إيه يا عم مرتضى أنا مش قولتلك هاجي وأجيبلك الأمانة بتاعة عم راضي؟!

رفع مرتضى عيليه بسخرية صوب أسامة بتشنج بشكل ساخر:

- وده بقى الأمانة؟

- لا ده الشخص اللي هيديك الأمانة، إيه مش هتدخلنا؟!

نظر إليهم للثوانٍ بشك قبل أن يتنحى جانبًا ببطء:

- طب ادخلوا.

تحرك جلال بسرعة يشير لأسامة أن يلحقه:

- اتفضل يا أسامة باشا، بيتك ومطرحك

رفع عيليه صوب مرتضى الذي كان يسبقه:

@ART_OF_BOOK

- ها يا عم مرتضى جهزت الرقم؟؟ ابنك هنا بالصور؟؟

نظر إليهما مرتضى للثواني دون رد قبل أن يومئ برأسه بتحرك صوب الداخل،

- ابوة لوالي أصحيه بجهزه ليكم.

ومن لم الحتفى عن الأنظار لتتحرك عينا أسامة صوب جلال ساخرًا:

- هوده اللي عم مرتضى لي الخاتم في صباعي؟
- اخنّبق يا اسامة. إيه مفيش خالتم أخنبق عليك قبل كده؟

رفع أسامة يده وكاد يضربه بخنبق:

- طب اسكت يا جلال اسكت الراجل ده شكله مسجل خطر أساسًا بدل ما يطرج يخلص علينا.

ابتلع جلال ريقه بتخيل الأمر وقد كان مرعبًا أن تكون نهايته بهذه الوضاعة على يد مرتضى ومع أسامة. وقد كان يتمنى لو كانت نهايته مع توتا الحبيبة ليكون آخر ما يبصره عيناها اللتان تنظران إليه وكأنه عالمها.

لوالي وسمع الاثنان صوت مرتضى وهو يخرج لهما بفرك معدته الضخمة بعض الشيء من خلف ثيابه:

- أهوجاي يا باشا. بيغسل وشه وخارج.

ابتسم له أسامة بينما جلال أخذ يتحدث معه بالدماج وكأنه رفيق قديم، مما جعل أسامة يتألف بصوت مرتفع يخرج هاتفه يعبث به لبعض الوقت قبل أن يسمع صوتًا يهتف بخبث:

@ART_OF_BOOK

- عربيا صحبتي ليه؟
- الفضل سلم على البشاوات الأول دول جايين تبع عمك الله يرحمه.
- وأنا مالي بضيوف عمي؟!

كان يتحدث مع والده بكلمات مترامية لم يصل لأسامة منها شيئًا من بعد الجملة الأولى، يشعر أن الصوت مألوف بالنسبة له، رفع عينيه ببطء صوب الشاب، وصوتٌ يخبره أنه يعلمه تمام العلم.

وقد كان، اتسعت عيناه وقد تعرف عليه في لحظات، نفسه رجل الأمن في النادي الذي كان يساعده، هو نفسه ابن مرتضى وابن أخ راضي، وابن عم سارة؟!

تحدث دون وعي وقد كان هذا آخر من يتوقع وجوده هنا:

- أنت؟!

***

يجلس بهدوء يحاول الانتهاء مما يعمل عليه أمامه قبل إكمال تقرير الجثة التي تسلمها البارحة، وعقله كل ثانية يحيد به عن العمل صوب جهة أخرى لا يود الوصول لها ولا الدخول لها بأي شكل من الأشكال.

لكن طرق صغير على الباب تبعه صوت تلك التي يهرب منها جعله يغمض عينيه بقوة، يتراجع على المقعد بظهره بضيق شديد يدعو الله أن يمر هذا اللقاء دون أن يفقد أعصابه.

@ART_OF_BOOK

وهي فقط ابتسمت له بسمة صغيرة ليس وكأنهما كادا يقتتلان بعضهما البعض قبل لحظة صغيرة.

- ممكن أدخل؟!
- ائتِ دخلني فعلًا.
- ياه عليك يا خالد لما تكون فموص.

رفع لها حاجبه ولقد اسودت نظراته للشعر أنه لا يطيق كلمة منها في هذه اللحظة وهي فقط تنهدت بصوت مرتفع تتحرك صوب مكتبه تلقي بالهاتف عليه قبل أن تجلس على المقعد أمامه.

- عايزة مساعدتك.
- أكيد طبعًا يعني مش جاية عشان سواد عيونك. مصلحة كعادتك يا هند.

اشتعلت عينا هند بشدة وهي تنظر إليه بشر أما عنه فقد كانت نيرانه أكثر من عاصفتها بعدما شعر بخيبة أمل ظنًا أنها جاءت لأجله. يحلم وأحلامه بهند مستحيلة.

تنهد بضيق من نفسه قبلها وهو يبصر نظراتها تلك يلتقط الهاتف يقلبه بين يديه مغمغمًا:

- تليفون القتيل؟

ولم تجبه بكلمة فقط ظلت تنظر إليه بشكل غريب، جعله يمسح وجهه:

- هند الله يكرمك مش ناقص بصاتك دي أنا على آخري.

@ART_OF_BOOK

نظرت هند جانتا وهي تشعر برغبة كبيرة في الهرب من أمامه، لكنها تدرك انه هو فقط وبخبرته القديمة في الأجهزة وشغفه في أن يصبح مبرمجًا يجعله أكثر المؤهلين للمساعدة.

- محتاجة تساعدني نفتح التليفون ده، ممكن ياخد منك وقت قد ايه؟

نظر إلى الهاتف لثوانٍ قبل أن يرفع عينيه لها بتفكير، ومن ثم بدأ يحرك أصابعه عليه لثوانٍ، كما أحضر سلكًا كهربائيًا يوصل به الهاتف بالحاسوب الخاص به.

- ممكن أحاول افرغ اللي فيه على اللاب توب لوده اللي عايزاه.
- لو مش هتعبك.

رفع عينيه يبتسم بسخرية لاذعة:

- مجاتش على دي يا هند، فيه كتير أوي تعبتيني فيه.

خفضت عينيها قبل أن يتلقى منها نظرة أو حتى يتلقى منها كلمة، يبعد عينيه صوب الحاسوب وأخذ يعمل عليه تاركًا إياها تراقبه بشرود وهي تشعر بضربات قلبها تزداد في وجود الرجل الوحيد الذي أحبته وما زالت.

واستمر العمل على الحاسوب لساعات لا تدري عددها قضت نصفها في تصفح الهاتف بملل شديد، والنصف الآخر في تأمله، خالد الشاب الأكثر طلبًا وقت الجامعة، العزيز الذي تقرب منها دون شعور حتى سقطت في حبه لأول مرة، ولد كانت الأخيرة التي تسلم بها قلبها لرجل.

أخفت مشاعرها له عن الجميع حتى فريقها والذين كانوا أقرب الأشخاص لها، اعتبرت حبها لخالد ضعفًا، تخجل الاعتراف عنه بصوت مرتفع.

@ART_OF_BOOK

- خلصت بس هو بيحمل لسه.

نظرت إليه لثوانٍ تحاول الخروج من شرودها. تبعد عينيها عنه وهي تنظر صوب الحاسوب:

- ممكن ياخد قد إيه؟
- معرفش حسب حجم التخزين. هو بالفعل فيه بعض الملفات اتحملت على اللاب و...

صمتت كلماته ولقد توقفت أصابعه عن التحرك فوق لوحة المفاتيح الخاصة بالحاسوب يعتدل في جلسته بعدما كان مستريحًا على مقعده. يقترب بوجهه من الحاسوب ولقد اتسعت عيناه وشحب وجهه يضع يده على فمه بصدمة كبيرة جعلت هند تشعر بأن هناك كارثة.

- فيه إيه يا خالد؟ شوفت إيه؟ مالك؟!

وخالد لا يتحدث. كان كما لو أنه تجمد ونظراته المفزوعة أثارت خوفها لتتحرك صوب الحاسوب. تستدير حول المكتب. تقف جواره تحاول رؤية ما يرى. وهو كان ما يزال متجمدًا. وهند بمجرد أن رفعت عينيها صوب ما يرى ارتجف كامل جسدها. تتراجع للخلف بصدمة كبيرة تضع يدها على فمها مصدقة صرخة مكتومة مما تبصر.

***

@ART_OF_BOOK

[redacted]

[redacted]

..

وتظن انك رأيت أسوأ ما تخفي الحياة لك، حتى تصطدم باللحظة التي تجعلك تراجع اعتقادك وظنونك وتصفعك صفعة تعلمك أن ما رأيت لم يكن سوى مقدمات لما تخفي لك وللجميع.

وهند ورغم كل سنوات عمرها التي أبصرت بها ربما أسوأ ما قد يبصر بشري حتى أضحت صلبة من الخارج، بل ويكاد الأمر يصل لدرجة خانقة من تعسفها، لكن ما تبصر الآن فاق احتمالية عقلها، تراجعت للخلف بسرعة كبيرة وكأن وحشًا سيخرج لها من الجهاز، تطلق صرخة مرتعبة تضع يدها المرتجفة على فمها، وكأنها تمنع موجة قيء هاجمتها.

دمعت عيناها وهي تبصر ما يحدث وقد بدأ ارتجاف جسدها يزداد، بينما خالد أغلق الحاسوب بسرعة، يغلق عليه بصدمة مما رأى، كانت مجرد صورة... مجرد صورة واحدة شاذة عن باقي الصور العادية التي قد تكون متواجدة على هاتف شاب، ولا يعتقد أن هذه الصورة هي الأخيرة، بل هي قطرة البداية لغيث جارف.

@ART_OF_BOOK

كانت هند ما تزال ملتصقة بالجدار خلفه، والصورة في عقلها لا تمحى. شعرت أن جسدها شلّ بالكامل، بعينين شاخصتين ووجه شاحب، ودموع تهبط على خدها. رأت لتوها أبشع مشهد قد تبصره يومًا.

- هند...

نظرت إليه وهي تحاول الحديث ولأول مرة يبصر دموعها، حتى يوم انفصالهما أبصر انكسارًا ووجعًا، لكنها لم تسمح له يومًا أن يبصر دموعها.

تساقطت الدموع مثيرة صوب الحاسوب:

- إيه ده؟ ازاي؟ هو ده مش فوتوشوب؟! ده... ده لا يمكن، ده اكيد أصل ازاي؟ مفيش حد بيعمل كده، ده مستحيل، أكيد مستحيل.

مسحت دموعها بسرعة تحاول تمالك نفسها وهي تلقي الصورة لأبعد نقطة في رأسها، تتحرك صوب الحاسوب تبتلع ريقها بجدية:

- ممكن لو تعرف حد من البحث الجنائي أو المباحث أو أي حد يحددلنا الصورة دي fake ولا إيه بالضبط؟! أصل صدقني دي عمرها ما تكون طبيعية، أصل...
- هند اسمعيني.
- أصل ليه هيعمل فيها كده وهي مراته؟! ليه يعني يعمل كده و.....
- هند اسمعي.
- ابعت بس لحد يعرفلنا الموضوع و...

@ART_OF_BOOK

فجاة قاطعها صارخا كي تهدأ من تلك الدوبة التي بهصرها للمرة الأول عليها:

- هند اسمعي، الصورة دي مش fake دي حقيقة، والصورة دي قديمة قبل ما يقرر إنها هتكون مراته، مشوفتيش تاريخ الصورة؟! الصورة من شهور يا هند.

رفعت هند عينيها له بشكل مرتعب وفزع قبل أن تهبط دموعها أكثر تنفي برأسها ما رأته، لا تصدق أنها أبصرت بأم عينيها مشهدًا بهذه البشاعة، ارتجف جسدها بسرعة وهي تهرول صوب الحاسوب تفتحه بسرعة تنظر صوب خالد بعينين غائمتين من الدموع:

- الباسورد إيه؟ افتحه يا خالد أرجوك.
- هند لو سمحتي انتِ مش هتستحملي دلوقت..

صرخت بوجهه بنفاد صبر وعينان حادتان وقد بدت في هذه اللحظة قادرة على القتل، القتل دون تردد وهذا ما أبصره في عينيها، وبقسم بالله لو كان من بالمقطع ما يزالون أحياء لكانت هند قتلتهم بيديها المجردة.

- خالد الباسورد؟!
- اسمك ويوم ما قابلتك.

ودون أن تشعر كتبت هند ما أملاه عليها، لا تفكر بشيء ولا تشعر بشيء حولها وهي تنقر على لوحة المفاتيح بسرعة كبيرة وهو يتابعها بعينين ضيقتين ولتعجب أنها ما تزال تتذكر ذلك اليوم، بل تاريخه كذلك، وعقلها ترجمه على لوحة المفاتيح دون التفكير مرتين حتى،

@ART_OF_BOOK

الترب منها يلغي كل ذلك، يقف جوارها يراها تنظر إلى الحاسوب بصدمة وقد بدأت الكثير من الصور الخاصة بساهر تتدفق من الهاتف للحاسوب وكلها أسوأ من بعضها.

إما عن هند حركت أصابعها بارتجاف وهي تفتح الصورة الأولى تدقق فيها وتبصر أكثر المشاهد رعبًا على أي فتاة، تراقب بعينين دامعتين المشهد الذي اختصرته الصورة بشكل قاتل.

جسد فتاة عاري يغطيها فراش أبيض لم يستطع أن يخفي خلف السجته الدماء التي لوثت نصفه، وقد كان ظاهرًا أن الفتاة فاقدة للوعي تقريبًا بملامح شاحبة، وجوارها رجل نصف عاري يبتسم بسمة غريبة رافعًا إصبعيه بعلامة النصر وبعينين حمراوين غريبتين وكأنه مخمور ومنتشي.

وبالنظر إلى باقية الصورة التي كانت تحمل أقذر مشاهد أبصرتها، يتعاملون مع الأمر وكأنه شيء يفتخرون به يصورونه بكافة الأوضاع، شعرت هند أنها سقطت في الجحيم حيث تلتقي بالقذر واحقر فئة بشرية.

رفعت عينيها صوب خالد الذي كان يتابع الصور واحدة تلو الأخرى بهدوء شديد يهمس بصوت ساخر مشمئز وكاره لما يرى:

- أعتقد عرفنا ليه التلاتة دول بذات اللي اتقتلوا

***

@ART_OF_BOOK

تجمد جسد رافت في مكانه وهو ينظر إلى أسامة، ومن ثم إلى والده لا يفهم ما يحدث في المكان بأكمله، يحرك نظراته بينهم قبل أن يتساءل بجدية.

- حضرتك أنا حاسس إني شوفتك قبل كده.

وأسامة فقط يحدق في وجهه بتفكير وعدم فهم لثوانٍ يحاول أن يحلل ما يرى أمامه، موظف الأمن بالنادي الذي يرتاده الشباب، وابن عمها لسارة، قريب من الجميع ويعلم عنهم الكثير إن أراد بحكم عمله واحتكاكه بهم.

كان الهدوء في المكان مريبًا، أسامة فقط يحدق برأفت دون كلمة واحدة والأخير ينتظر منه ردًا، وجلال يستعد للهرب في أي لحظة إن احتدم الموقف، بينما مرتضى يراقب الجميع بعدم فهم متحدثًا بهدوء:

- أنت تعرف الباشا ولا إيه يا رأفت؟!
- متهيالي قابلته في الشغل قبل كده، حضرتك بتعمل إيه هنا؟!

نهض أسامة عن مقعده وهو يحدق بوجه رأفت طويلًا يقترب منه بخطوات بطيئة وقد دار عقله في عالم آخر:

- جاي عشانك يا رأفت.

ضيق رأفت ما بين حاجبيه بعدم فهم:

- عشاني؟! عشان إيه؟! أبويا بيقول إنكم تبع عمي الله يرحمه.
- أيوة تبع عمك الله يرحمه، أو بمعنى أدق بلت عمك.. الله يرحمها برضه.

@ART_OF_BOOK

اتسمعت عبدا رافت بسرعة في اللحظة اللي انقض جسد مرتضى وهو بينظر إليهم بيدم فيهم هامسًا بصوت مرتجف:

- الله يرحمها؟!

ومن ثم تحركت عيناه صوب رافت بنظرة غريبة يهمس بصوت وكأنه جاء من بئر سحيق:

- هي سارة ماتت؟!

استدار رافت بسرعة صوب والده وقد قدحت عيناه شررًا وكأنه يحذره أن يذكر اسمها في المكان، لكن أسامة كان قد التقط الأمر يتحدث بسخرية:

- أيوة ماتت يا أستاذ مرتضى، بلت أخوك اللي كانت مسافرة مع جوزها برة مصر سبحان الله لقوها مقتولة في شقتها هنا في مصر.

حرك عبدالله بينهما بسخرية:

- بس غريبة يعني مكالش معاها حد ولا حتى جوزها واللي أعرفه عنها إنها مش متجوزة.

توتروجه مرتضى وقد بدا أنه يخفي شيئًا خلف ملامحه، بينما رافت كانت أنظاره مثبتة على أسامة بشكل جعل الأخير يدرك أن رافت قادر على القتل في هذه اللحظة.

- بس مش غريبة يا حاج مرتضى تكدب وتقول إنها مسافرة مع جوزها وهجبلك الرقم وتعشمنا؟ بتخبي ليه بالضبط ورا كدبك؟!

@ART_OF_BOOK

توتروجه مرتضى والذي كان في هذه اللحظة وحتى هذه الثانية يحاول إخفاء امر انه لا يعلم عن ابنة اخيه شيئا، كان الخدم يجاريهم ويدعي امتلاك رقمها لكنها لا تجيب حتى يحصل على ما يحملون، ظنا انهم جاءوا بأموال كان يسلمها اخيه قبل موته، وقد اخبره ذات يوم بالخطأ انه يرسل كل ما يكسب لرجل يسلمر اموالة لأجل زواج ابنته، وهو حاول أن يصل لذلك الرجل وتلك الأموال، لكن يبدو ان راضي كان يعلم جشع اخيه فحرص على جعل الأموال ابعد ما تكون عن يده.

وأين هو الآن وابنته؟! خلف التراب

والأموال ماذا قدمت لهم؟ لا شيء

- انت مين وعايز إيه بالضبط؟ مش جايب أمانة لأخويا و....

فاطمه رافت بهدوء وقد كانت عيناه ما تزالان مثبتتين على أسامة يبتسم بسخرية كبيرة وقد شعر في هذه اللحظة أن حياته بدأت تتلاشى من بين أنامله كحبات الرمل؛

- أمانة برضه؟ مش غريب تبقى شايل أمانة لكل الناس؟ لسا هروعي؟ إيه مش بتوصل غير أمانات للميتين؟!

اقترب منه أسامة بيسمة تلجمه وعينين باردتين:

- الله ينور عليك، وأمانة الميت حقه يا رافت.

كان مرتضى لا يفقه ما يحدث حوله، وهو ينظر إليهما منتظرًا أن يشرح له احدهما شيئًا، بينما جلال في الخلف يتابع بهدوء ما يجري أمام عينيه، منتظرًا الوقت المناسب لتدخله، حتى جاء وهو يقول بجدية:

@ART_OF_BOOK

- أعاقد كده القضية الحامت. الدافع والقاتل.

السمعت عربنا مرتضى بسمدة بالعربك بسرعة بالعمل بتاعهم بسرعة بالحادث بصوت عالي:

- قضية إيه يا عم انت وقاتل مين ده؟ انتم مين؟

تلتفت إليه أسامة وهو يبتسم بسمة صغيرة يخرج هاتفه يرسل رسالة بسرعة لأحدهم. عرفاه ملتفتان على وجه رأفت الذي لم يتحدث بكلمة أو يدافع عن نفسه بحرف واحد:

- ما بما رأفت هتقول لأبوك وللكل قطعهم ليه؟! ولا تخليها في النفسي رسمي؟!
- قتل! أنت بتقول إيه؟ أنا ابني عمره ما يقتل.
- سارة.

كانت كلمة واحدة نطق بها أسامة لتحتد عيني مرتضى بشر وهو يجذب ولده الذي كان كورقة ذابلة في رياح عاصفة تحركها كيفما تشاء:

- سارة دي واحدة زبالة، احنا أساسًا اتبرينا منها من وقت عملتها ولسيناها، أه كذبنا لما قولنا إنها اتجوزت وسافرت مع جوزها لأن ده اللي بنقوله لكل اللي بيسأل وأنا فكرتك جايب فلوس لأخويا، بس ده مش معناه إننا قتلناها، احنا أساسًا متعرفش عنها أي حاجة وقفلنا صفحتها من زمان.

@ART_OF_BOOK

فاطمه أسامة ببساطة وهو ما يزال ينظر إلى رأفت الذي كانت عيناه غائمتان بنظرات شاردة ضائعة وكأنه استسلم للأمواج تلقيه أينما تشاء، يأس المغادرة في بحار ليست له، وبدلًا من الوصول لشواطئها، سحبته لقاعها.

- بس ده مكانش رأي ابنك وهو بيقتلها بدم بارد يا حاج.

اشتد شحوب مرتضى وهو ينظر إلى رأفت الذي كان مستسلمًا لكل شيء، ماذا لديه أيضًا ليخشى عليه؟ فقد كل شيء في حياته، كل ما كان يحيا لأجله.

- قتلتها ليه يا رأفت وانت عارف إنها مظلومة في الحكاية دي؟!

سقطت دموع رأفت ولم يتحدث بكلمة واحدة يدافع عن نفسه حتى، ينظر أسفل أقدامه بشرود وعيناه تذرفان الدمع.

وأسامة ما يزال يوجه له الاتهامات واحدة تلو الأخرى يتلقفها هو بصمت وينقبلها بقلة حيلة:

- روحت تشتغل في قصر الخواجة حارس أمن باسمك بس خليت الكل يعرفك باسم عمك المرحوم، استخدمت تليفونه واتفقت وخططت وقتلت التلاتة اللي عملوا في سارة كده، طب ليه سارة؟
- عشان عمرها ما حبتني بعد ده كله، وبعد ما ضيعت شبابي وحياتي عشانها اختارت تتجوز برضه ابن العيلة اللي دمرتها عشان فلوسه، طب وأنا؟

رفع عيليه لأسامة في كلمته الأخيرة يلتقص بصوت مرتفع وقد بدأت عيناه يشتد احمرارهما، وصوته يتهدج بشكل كبير باكيًا بصوت مرتفع:

@ART_OF_BOOK

- أنا كنت عايش عشان انفذلها اللي هي عايزاه. كل اللي طلبته مني عملته عشانها. اشتغلت كل الشغل اللي ممكن تتخيله عشان أوفر لها تمن لبسها الغالي. دخلها النادي اللي بشتغل فيه لأنها كانت حابة تشوف الناس جواه. بس مكنتش أعرف إلي برميها في عش الدبابير بالهدي.

سقطت دموعه بقوة، ومرتضى جواره يستمع ما يحدث بعدم تصديق وقد أدرك في هذه اللحظة أنه خسر ولده، ورأفت يشير لصدره بحدة وغضب وقهر يقطر من أحرفه:

- فنيت حياتي عشانها، دمرت كل حاجة عشانها، وفي الآخر باعتني بدل المرة عشرة. طب وأنا؟ ذنبي إيه إني حبيتها وأنا فقير؟!

في اللحظة التي ختم فيها حديثه اقتحمت الشرطة المكان بسرعة لتتسع عينا مرتضى وهو يقف كحائط صد أمام ابنه يصرخ بكلمات يحاول بها أن يمنعهم، ورأفت فقط انقاد لجنبهم له، وكل شيء كان يحدث أمام أعين جلال وأسامة الذي يراقب ما يحدث بعينين غائمتين، لا يحدد تقريبًا نوع المشاعر التي تدور داخل صدره تجاه ما قال رأفت، لكن ما يعلمه أنه لا يشفق على ما أوصله لقتل الفتاة الوحيدة التي أحب، لا يشفق عليه لسلب جسد روحه بيده واستحلاله دماء غيره.

خرج مع جلال من المكان بهدوء وصرخات مرتضى تعلو في الخلف مع أصوات سيارة الشرطة، وأصوات الهمسات في المكان.

صعد للسيارة بتحرك بها وهو يزفر بصوت مرتفع يسمع جواره جلال يبتسم بسعادة كبيرة:

@ART_OF_BOOK

- عملناها يا عم. لقيناه لقينا القاتل وفي فترة قياسية و...
- لمه يا جلال، لقينا البيدق اللي بيحركه الملك، بس لمه الملك مستغني.

نظر إليه جلال بعدم فهم لينظر إليه أسامة بهدوء وفي رأسه تدور حقائق كثيرة.

أهمها "رأفت أصغر وأضعف من حمل جريمة قتل ثلاثة فوق كتفيه، وأصغر من تضليلهم بأدلة كثيرة"

رأفت الجريمة الوحيدة التي لوث بها يده هي جريمة قتل سارة، لكنه لم يكن الشخص الذي قتل أحفاد الخواجة، فشتان بين استخدامه سكين والركض خوفًا دون التأكد من عدم ترك أدلة، واستخدام سلاح بدقة فناص لقتل ساهر، وقتل سعد وعادل بالسم والسكين كما لو كان انتحارًا... اللعبة لم تلتهِ والملك لم يسقط بعد.

***

- أنا مقتلتش حد، والله العظيم ما قتلت ساهر.

كلمات باكية منهارة خرجت من فم بسملة التي تجلس أمامها عفاف تتابعها بهدوء تبصر ارتجافها واهتزاز صوتها وانهيارها بمجرد كشف عفاف عن حقيقة وجودها في مصر ذلك اليوم.

- مقولتش إنك قتلتيه يا بسملة، بس بسألك ليه خفيتي حقيقة إنك كنتِ في مصر اليوم ده، ساعديني أخرجك من دايرة الشك، أنا بحقق محاكي بشكل غير رسمي، بلاش اسمك يتحط في القضية كمتهم عشان تضللك ده.

@ART_OF_BOOK

ارتفعت رأس بسملة بسرعة ورعب شديد وهي تتحدث بصوت متوسل بالي:

- لا لا ابوس إيدك، انا مش هقدر استحمل تحقيق تاني أنا...

ابتلعت ريقها وهي تنظر حولها بعجز قبل أن تهمس بشناعة مرتجفة:

- قبل الجريمة اتبلغنا إن رحلتنا اتأخرت يوم بسبب الجو وإن مطار إسكندرية موقف رحلاته، وقتها اقترحت على تيتة تكلم الشركة ونغير رحلتنا للقاهرة أفضل، وبالفعل عرفت إن عندهم رحلة في معاد أبكر للقاهرة وعلى طول حولت عليها عشان دي كانت فرصتي إني أعمل اللي عايزاه من غير ما حد يحس.
- تعملي إيه؟
- أقابله.

صمتت تحاول أن تزن كلماتها تهمس بذبرة باكية:

- معتز.
- صاحب سامر؟

أومأت بنعم، باكية بصوت مرتفع:

- كنت عايزة أقابله قبل الفرح عشان كنا متفقين نهرب سوا من هنا، وملقيناش فرصة أحسن من دي، الكل مفكر إننا مسافرين ولما هنيجي بعدها بيوم محدش يعرف إننا في مصر وتيتة بتاخد أدويتها وتنام، وانا دي كانت فرصتي الوحيدة عشان أتفق معاه.
- كنتِ على علاقة بصاحب ابن عمك وجوزك المستقبلي؟

@ART_OF_BOOK

انتفض جسد بسملة تنفي برأسها بسرعة وهي تردد كلمات مرتجفة باكية:

- لا لا، معتز كان بحبني... يحبني من أيام المدرسة زمان، أنا أعرفه من قبل ما يفكروا يجوزولي لسامر، كان صاحب سامر من المدرسة هو الوحيد اللي صاحبه من زمان ولما كبروا اتعرفوا على باقي الشلة، كان بيحبني دايمًا القصر وكنت بقابله دايمًا لغاية ما حبينا بعض.

انهارت في البكاء بعد هذه الكلمات وكأنها تنعي حبًا لم يُكتب لبتلاته الأزهار، تبكي حبًا وقف العالم كله أمامه، وأولهم جدها حينما اختار لها سامر ليكون زوجها.

- حبيته وحبني وكان هيجي يطلبني لما أخلص دراسة لكن...

صمتت تشهق بصوت مرتفع وقد شحب وجهها فجأة بشكل جعل عفاف تشفق عليها وهي تربت تكمل عنها:

- قرر جدك يجوزك لسامر؟!

أومأت بنعم باكية بصوت خافت:

- وقتها معتز اتجنن وكان عايز يروح يقابل جدي بس أنا عارفة جدي، أكيد كان هيرفض وهيسرع الجواز، رغم إن معتز مش فقير ولا مستواه أقل منا، معتز أهله عندهم محلات ذهب وأغنيا، بس جدو مش بيعترف بحد غير لو كان في مستوى عيلة الخواجة أو أكبر، لو أقل من كده مش بيشوفوا.

- فقررتوا تهربوا؟

@ART_OF_BOOK

- والله ده اللي حصل وانا اسامتا يوم الجريمة مقربتش حتى من القصر ولا روحت ليه. وفضلت طول الليل تقريبًا سهرانة مع معتز على الكورنيش ورجعت على الفجر قبل ما تيتة تصحى للصلاة.

شربت عفاف للوان وهي تفكر في شيء غامض تجاه هذه القصة:

- هو مش معتز المفروض كان من ضمن صحاب سامر اللي سهران معاهم في الوقت ده؟! ازاي قابلك.

انتفض قلب بسملة من فكرة أنها قد تلقي بحبال الشك حول رقبة معتز:

- أيوة معتز كان معاهم فعلًا بس هو استأذن اسامتا من بداية السهرة بحجة إن والدته تعبانة ومش هيقدر يسيبها. قضى بس معاهم ساعة ولا اتنين ومشي وجالي. هو كان معايا بليل وقت وقوع الجريمة واكيد مش بكذب.

كنت تتحدث وتلقي بالكثير والكثير من الأدلة التي تثبت أن كليهما كان بعيدًا كل البعد عن حدود القصر في وقت وقوع الجريمة. تدافع بشراسة عن نفسها وبشكل أكثر شراسة عن معتز. وعفاف فقط تسمعها تحاول أن تزن الكلمات في رأسها.

***

جاء الليل كثقل يقبل يغطي السماء. بعد يوم طويل امتد كطريق لا نهاية له. محفوف بالصدمات. مليء بالأسرار التي تركت البعض فاقدًا للنطق. والبعض ما يزال يحاول فهم ما يدور حوله. وكعادتهم تجمعوا في غرفة أسامة وعفاف في

@ART_OF_BOOK

ـــــن البصمة، ينظرون إلى بعضهم البعض لا كلمة واحدة، وكان صراعهم الداخلي كان أقوى من أصواتهم.

هند التي كانت صامتة منذ عادت من المشفى، كانت هادئة بشكل مريب لم تتحدث مع أحدهم بكلمة فقط انعزلت في غرفتها حتى استدعائها، وعفاف التي عادت منذ ساعة تقريبًا حينما انتهت مما تفعل هناك.

أسامة وجلال تابعا التحقيقات مع رأفت والذي تطابقت بصماته مع البصمات على السكين، ليتم بذلك إخلاء سبيل طارق،

لكن الحكاية لم تلتئم هنا.... كان أول من كسر الصمت هو جلال الذي تحدث بهمسة صغيرة لا يفهم ذلك الصمت الثقيل على النفس، وكأن القضية استنزفت كامل طاقتهم:

- انقبض على رأفت وبصماته طلعت تفس بصمات السكينة اللي اتقتلت بيها سارة واعترف إنه هو اللي قتل سارة.

رفعت عفاف عينيها له تتحدث بصوت خافت:

- والباقي؟!

تنهد أسامة بصوت مرتفع يحاول أن يصل لما يحدث حوله يردد كلمات بذهن غير صافي:

- قال إنه مش هو اللي قتلهم، بس هو اللي ساعد في الموضوع، فيه شخص بيكلمه من رقم خاص، وغالبًا مستخدم تطبيق تغيير الصوت لأن صوته

@ART_OF_BOOK

مش طبيعي، الشمس ده هو اللي وقف رافت أساسًا عشان يساعد في ترتيب جرايم القتل.

سمت لثوان قبل أن يكمل حديثه الذي وصله من الشرطي المسؤول عن التحقيق والذي لم يبخل في إمداده بجزء من التحقيقات.

- فيه شخص وظفه وسهل دخوله العيلة، وبعدين بدأ يبلغه تعليمات عشان يساعده ويسهل ليه إنه يخلص عليه. واعترف كمان إن انتحار عادل كان مخطط ليه إنه يظهر انتحار، إنما سامر فمن أول لحظة كان مخطط إنه يتقتل.

رفع عينيه ينظر إلى الجميع وقد كانت نظرات الحيرة نفسها هي ما تعلو وجوههم، عدا هند التي كانت شاردة بشكل غريب.

- قال إنه يوم الجريمة اتصل برقم سامر عشان يعرف هيرجع امتى بحجة إنه مسافر وممكن ميكونش فيه بواب بفتح، فسامر بلغه إنه سهران ومطول، وفعلًا رافت مشي وساب البوابة عشان كده الكاميرات مظهرتش إنه كان فيه حارس.

ابتسم بسخرية بكمل:

- لكن واضح إنه قدر سامر كان مستنيه، لأنه اتصل بليل بس رافت بسأله لو لسه موجود لأنه رجع بدري وده سبب وجود مكالمة قبل الجريمة بوقت قليل على تليفون راشي اللي كان رافت بيستخدمه. وقتها رافت قاله إنه مشي وعرفه يفتح البوابة ازاي وبعدين بعت رسالة للشخص اللي متفق معاه يعرفه إن مفيش أنسب من الوقت ده يتم جريمته.

@ART_OF_BOOK

- يعني إيه؟ هو كان ممسّم نفسه وبيساعد شخص هو ميعرفوش أساسًا؟

كانت كلمات عفاف المتعجبة من ذلك الاعتراف، تشعر بوجود خطأ ما، فكيف يسلم رجل رقبته لشخص لا يعلم عنه أي شيء:

- قال إنه الشخص ده دفعله مبلغ كويس عن طريق إنه كان بيسيب له شنطة فلوس في أوضته في الجنينة لما راح يشتغل، وإنه كان بيساعده يطفي ناره ويلتقم لحبيبته، فمهتمش غير إنه ياخد حقه منهم.

زفر جلال بضيق شديد وقد ظن أن الأمر انتهى بالفعل بتسليم رأفت، لكن اتضح أن رأفت مجرد حجر يتحرك تبع أهواء الآخرين:

- يعني إيه؟ مين ممكن يكون عملها؟ مش يمكن يكون أخو الولد اللي انتحر بيلتقم ليه من عيال منصور؟
- محمد أبسط من إنه يدخل لعبة كبيرة أوي كده، اللي عمل كل ده واحد من القصر نفسه عايز يخلص على الكل ومعاه السلطة يساعد رأفت بالشكل ده، بس ليه يعمل كده وإيه الدافع اللي يخلي حد يقتل في عيلته؟!
- نفس دافع رأفت برضه، بس أشد... الانتقام.

تذكر الجميع صوت هند والتي تحدثت لأول مرة خلال هذه الجلسة وقد كان هذا غريب، وهي الشغوفة بالتعليق على كل حرف يخرج من أفواه الجميع حولها، لكن الغريب لم يكن تحدث هند بعد صمت طويل، الغريب هو نبرتها التي خرجت مصحوبة بغصة بكاء واضحة، وغضب اسود اتضح في عينيها.

- اللي عمل كده كان بيلتقم ليها.

@ART_OF_BOOK

كلمت حديثها بسقوط دمعة من عينها ولا تستطيع ان تتمالك نفسها. واسامة نظر إليها بعدم فهم وهو يتحرك من مكانه بخوف من مظهر هند الذي يبصره لأول مرة منذ سنوات معرفته بها:

- هند مالك، أنتِ كويسة؟!

رفعت هند عينها له قبل أن تنفجر في بكاء حاد بصوت مرتفع جعل الجميع يرتعب منها وجلال ينظر إليها بعجز وخوف يتحدث بنبرة حنونة:

- هند مالك، مين زعلك؟

وعفاف هي الوحيدة التي اقتربت بسرعة تضمها لصدرها بحنان تحاول تهدئتها ظنًا أن ما يحدث معها بسبب خالد ربما، او شيء سيئ أصابها، لكن هند لم تكن ابدًا لتبكي رجلًا، او تبكي شيئًا سيئًا، بل كانت تُبكي من يحاول جعلها تبكي.

- استهدي بالله يا هند وقولي مالك يا بنتي متخوفيناش عليكي.

وهند فقط تتحدث بصوت مقهور موجوع:

- القضية دي لازم تقف، اللي عمل كده مش هنسلمه يا أسامة، هما كانوا يستاهلوا، مش هنسلمه.

وأسامة شعر بكامل جسده يتجمد من كلمات هند والتي كانت لأول مرة تظهر تعاطفًا مع احدهم، يعلم بتهيئًا أن هند لا تظهر هذا التعاطف إلا إذا كان المجني عليه امرأة.

@ART_OF_BOOK

- هند ممكن تهدي وتفهمنا فيه ليه؟ اهدي لكن بالشكل ده احنا اساسنا مش عارفين نساعدك ازاي، قولي بالظبط لينا. ليه؟! فيه ليه وفيه اساسا؟

رفعت هند عينيها اللتين كانتا حمراوين من شدة بكائها هناك أبصرت تلك الصور على حاسوب خالد، تهتف بكلمة واحدة:

- بسملة.

***

خرج من قسم الشرطة يبصر أمام عينيه والده يتلف مع المحامي وعمه كذلك، ومعهم شهاب الذي كان ينظر إليه بلهفة كبيرة.

ورغم أن شهاب لم يكن الأقرب لطارق أبدًا، إلا أنه تجاهل الجميع وتحرك صوب سيارة شهاب يشير له أن يصعد ويتحرك بهم، بينما يسري تحرك صوب ثالثة؛ سيارة شهاب بعدم فهم:

- فيه ليه يا طارق؟! مش شايفنا و القدين ولا إيه؟!

نظر طارق أمامه بهدوء شديد يتجاهل والده والجميع يتحدث بجدية لشهاب الذي صعد جواره بسرعة في السيارة:

- التحرك لو سمحت يا شهاب.

وشهاب ابتسم بسمة واسعة وقد أدرك في هذه اللحظة أن الابن البار لعائلة الخواجة انفصل عنهم، ولبد عباءتهم واستوعب أخيرًا مدى سوء العائلة، تحرك

@ART_OF_BOOK

سرعة تاركًا بصري ومنصور ينظران في اثره بصدمة كبيرة. وقد شعر بصري انه خسر للتو آخر من تبقى من ابنائه... وخسرت عائلة الخواجة آخر مخلص لهم من ابنائه. نظر شهاب صوب طارق ولم يتحدث لوقت طويل قبل ان يقول بصوت خافت:

- سعيد إنك أدركت أخيرًا إنهم مش هينفعوك.
- أدركت متأخر، بس معلش متعوضة.

لم يفهم شهاب ما يقول، لبتحدث طارق بجدية كبيرة وهو يحدق بشهاب:

- اسمع اللي هقولك عليه بالحرف يا شهاب لأن خلاص اللعبة بتاعتهم خلصت، وجه الوقت كله ياخد حقه، وأولهم بصملة.

فجأة توقفت السيارة بشكل مرعب جعل جسد طارق يصطدم بقوة في مقدمتها، يسارع شهاب قائلًا وهو يهتف بصوت مرتجف:

- بصملة... بـ... انت عرفت؟

لكمشت ملامح طارق بقوة وهو ينظر أمامه بغضب شديد وحسرة وقلة حيلة، لا يدري كيف كان أعمى بهذا الشكل؟! انغمس في حياة العمل ولهي عائلته وتجاهل ما يحدث حوله.

- عرفت بالسوا الطرق الممكنة، عرفت إن عيلتي العزيزة بتزلع مصايب أحقادها بمصايب أكبر، عيلتي بتداري على كارثة اخويا باتهم بيمرروا حيلة بنت عمتي، وابن عمتي عارف ومخبي نهم. كل اللي في البيت عارفين ما عدا المغفل طارق.

@ART_OF_BOOK

[illegible]

- [illegible]
- [illegible]

[illegible]

- اسمع اللي هقولك عليه بالحرف يا شهاب لأن خلاص اللعبة بتاعتهم خلصت، وجه الوقت كله ياخد حقه، واولهم بسملة.

لجأة دولقت السيارة بشكل مرعب جعل جسد طارق يصطدم بقوة في مقدمتها، ليتدارك شهاب ذلك وهو يهتف بصوت مرتجف:

- بسملة.. بـ.. انت عرفت؟

اكمشت ملامح طارق بقوة وهو ينظر امامه بغضب شديد وحسرة وقلة حيلة، لا يدرك كيف كان أعمى بهذا الشكل؟! الشمس في حياة العمل وكمي عاطفته وتجاهل ما يحدث حوله.

- عرفت بأسوأ الطرق الممكنة، عرفت إن عيلتي العزيزة بترفع مصايب احنادها بمصايب اكبر، عيلتي بتداري على كارثة اخويا بانهم يدمروا حياة بنت عمي، وابن عمي عارف وساكت لهم، كل اللي في البيت عارفين ما عدا المغفل طارق.

@ART_OF_BOOK

الفى شهاب راسه للخلف وهو بنظر أمامه بعينين غاضبتين كارهتين ومشمئزتين من كل ما يمت للعائلة بصلة:

- انت كنت مسافر لمؤتمر وجدي حذر الكل بنطق بكلمة، وانا مكنتش أعرف أساسًا وكنت في رحلة سفاري مع صحابي ولما رجعت لقيت جدك بيقول هنجوز بسملة لساهر، وأنا عارف إنها بتحب معتز ومعتز بيحبها أكترمن نفسه، طب ليه وازاي؟!

سقطت دمعة يبلسم بسمة منحسرة يرجع بذاكرته لما حدث معه وما حدث مع بسملة، حبه لمسارة وضياعه، ومن ثم رغبة جده في تدمير حب بسملة وهذا مالم يكن ليسمح به:

- روحت أتخانق معاها، و أقولها ترفض وبلاش تبقى سلبية زي عادتها، دي حياتها، ولو مش عايزة أنا هروح أقول لجدي إنها مش عايزة ساهر، لقيتها بتقولي إنه ميتفعش يكون غيرساهر.

ارتجفت يد شهاب والذي كان يمسك بالمقود بقوة حتى ابيضت مفاصله قبل أن يضربه بقوة وغضب وكأنه يود تحطيمه يصرخ بكلمات حادة وقد بدأ يشعر بتخدر في كفه:

- كانت مجبرة وفكرتها مجبرة عشان أمرجدي لغاية ما انهارت وحكت لنا، وقتها حلفت إني أقتلهم كلهم، وأولهم جدك اللي مفكرنفسه رب وماشي بوزع الأقدار ويتحكم فينا كأننا لعب بخيوط.

اتسعت عينا طارق بصدمة كبيرة وقد توقفت ضربات قلبه للحظات يبصرملامح شهاب التي احتدت وتوحشت بشكل مخيف وكأنه يبصرأمامه جحيمًا.

@ART_OF_BOOK

يهمس طارق بصوت مرتجف:

- أنت! أنت اللي قتلته؟!

***

- بسملة؟! مالها بسملة؟!

كانت جملة عفاف التي اعتدلت في جلستها تنظر صوب هند بتحفز شديد، وقد كانت بسملة أكثر من يحيرها في هذه القضية.

أما عن هند فقط أخرجت هاتفها تظهر لهم الصورة التي أبصرتها مكتفية بها ولم تستطع حتى أن تظهر ما بقي من الصور، انتزعت عفاف الهاتف تراقب المشهد بعينين متسعتين وقد ارتفعت شهقتها بقوة، تسقط الهاتف بسرعة وكأنها تلمس شيئًا عفنًا ووجهها شحب بشكل غريب جعل أسامة يميل بسرعة يسحب الهاتف وجلال يقترب منه بفضول كبير لرؤية ما يحدث، ولينه لم يفعل.

تراجع جلال بسرعة للخلف يبعد عينيه عما أبصر أمامه، يردد بصوت مرتجف وملامح منكمشة بشكل غريب:

- إيه ده؟ إيه ده؟ يعني إيه؟

مسحت هند وجهها وهي تهتف بنبرة ما تزال تحمل أثر بكاء واضح:

- دي بس عينة صغيرة، التليفون بتاع ساهر مليان صور من دي لبه ولسعد ولعادل مع بسملة، ولاد ال

@ART_OF_BOOK

صمتت تتنفس. قبل أن تنفجر صارخة بصوت هائج:

- كانوا تلاتة. التلاتة اعتدوا عليها....

سقط جسد أسامة بقوة على الأريكة وهو ينظر أمامه بعدم فهم. الدافع الذي كان يحرض المجرم لقتلهم هو انتقام كذلك، لكن هذا كان أسوأ مما وصل له عقله.

- هي كانت هنا يوم الجريمة عشان تقابل معتز وتتفق معاه على هروبهم سوا قبل الفرح، ده كلامها.

نظر الجميع صوب عفاف التي كانت تردد الكلمات بشرود وقد أدركت الآن سبب ارتجاف وتوتر وهشاشة الفتاة، الفتاة كانت ستقدم هدية لأحد مغتصبيها، لهذه الدرجة وصلت حقارة هذه العائلة؟!

- فالتالي إنها اليوم ده نزلت من شقتهم اللي عند الموقف وسابت جدتها عشان بس تستغل الفرصة وتخطط مع معتز، ومعتز وقتها كان ساب صحابه بالفعل وراحلها بحجة مرض والدته.

دفن أسامة وجهه بين كفيه وهو يفكر بصوت مرتفع:

- كده اللي بيقتل لازم يكون شخص قريب من بسملة جدًا، شخص ممكن يقتل عشانها ويلتقم لها، شخص عنده القدرة إنه يقتل أساسًا ويصوب صح وعنده الدافع القوي ده.

@ART_OF_BOOK

صمت للثوان. وكذلك الجميع فهل أن تتحدث هند بتهمين وبصمت خافت وكأنها تخشى أن تنطق اسم الشخص بصوت مرتفع فتلقي به بين غياهب الجب وهو فقط كان يدافع عن فتاة انتهكت.

- شهاب...

****

صمت طويل من جانب شهاب الذي شرد بعيليه في أصابع يده المشتدة حول المقود. لا يتحرك ولا يرمش، فقط صمت خانق مثل جملة طارق الذي كان يتحدث بصدمة كبيرة.

- شهاب انكلم أنت اللي قتلت الثلاثة؟! لو أنت قولي قبل فوات الأوان عشان أتصرف و.....

قاطعه شهاب بصوت مهت وهو يبتسم بسمة مرعبة:

- للأسف مش أنا، فيه غيري سبقني وقدر يعمل كده، كان نفسي يكون موتهم على إيدي بس اتأخرت.

اشتدت حيرة طارق مما يسمع يمسك بذراعي شهاب وهو يجبره أن ينظر إليه:

- قصدك إيه! أنت تعرف اللي عمل كده؟! شهاب أنا مش فاهم اشرحلي متخلنيش زي الأطرش في الزفة، مين قتل سامر؟! مين اللي سحب الرسالة جنب الجثة.
- رسالة؟!

@ART_OF_BOOK

- يوم الجريمة لما روحنا لقيت رسالة جنب جثته وكان مذكور في الموضوع كله كإنه اعتراف من ساهر باللي ارتكبه.
- يعني أنت عرفت اللي حصل بعد موت ساهر من الرسالة؟

ابتسم بسخرية لاذعة وهو ينظر أمامه بقهر يمسح وجهه بعنف شديد وقد كانت يده ترتجف من شدة الغضب:

- لا عرفت قبل فرح ساهر بفترة سمعت أبويا بيتكلم مع ساهر وبيزعق ليه إنه ميلفعش يوقف الجواز أو يهرب زي ما بيفكروإلا جدك هيقتله مش كفاية بيلملم مصايبه وراه، ومن وقتها عرفت اللي حصل ولما واجهت ساهر ماانكرش وقال إنه مكانش واعي وكان سكران.

وتلك اللحظة لم تتوانَ عن التردد أمام عيني طارق، طارق الذي كان للمرة الأولى يرفع يده ويضرب شقيقه الأصغر.

"كنت إيه يا زبالة يا حقير، كنت سكران؟ اعتديت على بلت عمتك ودمرتها وتقولي سكران يا حيوان؟ دمرت البلت وتقولي مش واعي؟!"

كان يتحدث وهو يضربه بجنون يحاول أن يخرج روحه بين يديه وجسده بالكامل مشتد مستعد لقتل أخيه في اللحظة التي اقتحم بها يسري المكان يصرخ به أن يتوقف وبصعوبة أخرجوه من الغرفة تاركين ساهرين من وجع جسده.

وبعد مواجهة جده، أوضح الأخير أن أي كلمة في هذا الأمر ستعد عصيانًا له، وطارق لم يستطع الصمت يصرخ بجنون ووجع:

@ART_OF_BOOK

"بدل ما تروح تسلم الحيوان ده للبوليس عشان حفيدتك، هتجبرها تعيش معاه مهلها؟ أنتم بتعملوا إيه؟! أنتم بتدمروها."

"ملهزنا نفضح نفسنا؟! أنت اتجننت يا طارق؟!"

"لا تدفن حفيدتك بالحيا"

لطمه بلال بصرامة وغضب شديد وتجبر وهو يلقي بأوامره على الجميع:

"خلصنا الموضوع ده اتقفل وخلاص كلها كام أسبوع وبلت عمتك تتجوز أخوك ونقفل الموضوع، ومع الوقت كله هيتلمي وكله هيندفن، أنا بعمل كده عشانكم وعشان العيلة، وبكرة تقدروا كلامي"

وقتها تلك اللحظة أدرك طارق أنهم لم يعنوا لبلال الخواجة شيئًا، لم يهتم بهم نهتمامه بسمعة واسم العائلة.

كانت هذه اللحظة قطيعة بينه وبين أخيه ووالده، لحظة تبرأ فيها من كامل أفراد عائلته وقد قرر أن ينفصل عنهم جميعًا ويسافر، بل وبدأ يعد العدة لذلك.

- عشان كده قبل الفرح كنت متخانق معاه ومش بتتكلموا؟!
- مكنتش هقدر أبص في وشه بعد اللي عمله، ولا كنت قادر أبص لنفسي في المرايا وأنا عارف ومتكبل باللي بيحصل، ولحد آخر لحظة مكنتش مصدق إن ساهر ممكن يعمل كده، يعتدي على بسملة و...

بلل شهاب شفتيه لثوانٍ وهو يتحدث بصوت مهتز بعض الشيء وقد سقطت دموعه بهمس بصوت مرتجف:

@ART_OF_BOOK

- مش ساهر بس.

لم يفهم طارق ما قيل ليوضح له شهاب بصوت مذبوح:

- مش ساهر بس اللي اعتدى عليها. الثلاثة اعتدوا عليها. سعد وساهر وعادل. الثلاثة اغتصبوها وهما مش واعيين. كانت لوحدها في القصر اليوم ده ومكانش فيه غير هي وجدتك.

صمت لثوانٍ وجسده يئن وجعًا من الذكرى نفسها:

- جدتك كالعادة كانت واحدة أدوبها ومش واعية باللي بيحصل. والعمال كانوا مشيوا بليل ومكانش فيه غير الحرامي برة. وطبعًا محدش واعي وهما كتموا بؤقها. وحصل اللي حصل.

كانت كلماته كالخناجر تغرز داخل صدر طارق الذي أطلق صرخة مذبوحة وهو يدفن وجهه باكيًا. يتخيل رعبها وصراخها المكتوم وصدمتها. يتخيل حالتها لحظة اغتيالها مرات ومرات. شعورها في تلك اللحظة. لا أحد حولها يغيثها.

شعر أنه يختنق بغصاته. فخرج بسرعة من السيارة يسلند على ركبتيه يلتقط بصوت مرتفع يحاول أن يتحرر من اختناقه. يسقط أرضًا على ركبتيه جوار السيارة يصرخ باكيًا. نادمًا. يا الله كيف تركهم يفلتون بفعلتهم. كيف كان سيهرب ويترك لهم المكان. كان سلبيًا واختار الهروب حلًا له.

انهار أرضًا على مرأى ومسمع شهاب الذي كان قد سبقه بانهيار مشابه وهو يتخبط حوله يحاول أن يخرجها من هناك. يحاول أن ينجو بابنة عمته أقرب من له بالحياة. حتى أنه كان أول من فكر في أمر هروبها مع معتز بعيدًا عن الجميع.

@ART_OF_BOOK

ويوم الجريمة كان هو من تحرك للمنزل بعدما علم من معارفه أن أصدقاءه اعتزموا بأمر إلغاء الحفلة وعودة كل لمنزله بسبب الطقس.

في هذه اللحظة انتفض شهاب لقراره بأن يتخلص من ساهر وللأبد. وبالفعل تصميم أنه سيذهب للمرحاض، معتمدًا على فكرة أنه إنسان مهمش بينهم ولن يتنبه أحدهم لغيابه وسيتحجج بأي شيء لاحقًا. وركض صوب المنزل عازمًا على مواجهة ذلك الوسخ الذي نجى من الثلاثة ويتخلص منه إن اضطر لذلك، لكنه بمجرد وصوله هناك أبصر البوابة مفتوحة والقصر مُطفأ بالكامل، وحينها اكتشف لتوه أن هناك من سبقه وأخذ بثأره، ليكون أول ما يخطر إخفاء هاتف ساهر المدمر مخافة أن يكون هناك ما يتسبب حياة بسملة حتى بعد موته وركض بمسح كل أثر له بالقصر.

- لو.. لومش أنت اللي عمل كده، يبقى... يبقى مين؟

***

- مش شهاب، شهاب وقت وقوع الجريمة كان موجود مع الكل في السهرة بشهادتهم كلهم.

كانت كلمات أسامة الذي يحاول أن يحلل تخمين وشك هند، بينما الأخيرة حاولت أن تجمع الخيوط في رأسها، تبحث عن القاتل بين قائمة على المشتبه بهم. شخص يحمل حبًا لبسملة قد تدفعه لارتكاب كل هذه الجرائم واحدة تلو الأخرى.

ومن بين الصمت انطلق صوت عفاف تردد جملة خافتة وبصوت منخفض مرتجف:

@ART_OF_BOOK

- النيشان في العيلة ورالة. اللي قتل بيعرف نيشان كويس أوي، واللي قتل قتل عشان بسملة لأنها مهمة عنده أكتر من الكل، اللي قتل شخص كان موجود وله حجة غياب وبعيد عن الشبهات، اللي قتل شخص بعيد عن الشكوك.

نظر إليها الجميع بعدم فهم، بينما ابتسمت بعدم تصديق لما أدركته للتو، للتو فقط أدركت أن هناك خيوطًا كانت واضحة لها منذ اللحظة الأولى لكنها استبعدتها، لأن الدافع لم يكن واضحًا فكيف سيرتكب هذا الشخص هذه الجريمة في ثلاثة من أفراد عائلته إلا إن كان الدافع بهذه القوة.

وقف أسامة ينظر إلى عفاف بعدم فهم بينما الأخيرة رفعت عينيها لأسامة وهي تتذكر حينما كانت تحقق معها وأبصرت صورة قديمة لها وهي تمارس رياضة التصويب، وصور فوتوغرافية أخرى قديمة لها مع عدة جوائز في الرياضة ذاتها.

رفعت عينيها لهم دامعة مبتسمة وقد وصلت لبداية الطريق:

- اللي قتل كان أقرب لبسملة من نفسها، مهتم بيها أكتر من نفسها، اللي قتل كان مستعد يخسر الكل عشان بس يلتقم لبسملة.
- مين يا عفاف؟ أنتِ شاكة في حد؟!

اسمعت بسمة عفاف بقوة:

- مش شاكة يا أسامة، أنا متأكدة.
- مين؟

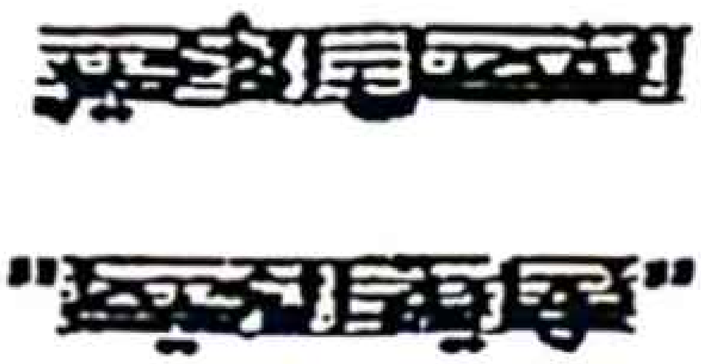
@ART_OF_BOOK

نطقت عفاف كلمة واحدة كانت صدمة على الجميع:

- جدتهم حنان.

* * *

@ART_OF_BOOK



تقف أمام الغرفة التي يقبع خلف زجاجها بهدوء شديد تراقبه بعينين غريبتين ونظرات مريبة، وبسمة صغيرة مرتسمة على فمها تتحسس الزجاج وصوتها خرج بنبرة مرعبة:

- كان ممكن أخلص عليك أول واحد، لكن عطيتك فرصتك عشان تشوف كل اللي بنيته وضحيت عشانه بينا بيتهد قدام عيونك، وخلاص جه وقتك يا بلال.

سقطت دموعها بحقد وغضب شديد وهي تتذكر ما عاشته معه طوال سنوات، ظلم وتجبر وغضب، ضرب وإهانة في بعض الأحيان، وعندما كبر وظنت أنهما تجاوزا هذه النقطة من القصة، جاء أحفاد إبليس ليفسدوا في الأرض كما فعل جدهم.

الفتاة الوحيدة في أحفادها والتي كانت فلذة كبدها بعد وفاة ابنتها، اعتلت بها وأحبتها وربتها بكل الحب لتتضج، تابعت معها طفولتها وشبابها، عاشت معها قصة حبها التي كانت تخبرها بها كل يوم، حتى جاء اليوم الذي تدمرت به حياة صغيرتها، والأسوأ أنها كانت جوارها ولم تحرك ساكنًا.

@ART_OF_BOOK

استيقظت لتبصر الفاجعة وترى حفيدتها الصغيرة محطمة اشلاء. تنزف ولا تنطق بكلمة واحدة. لتصرخ صرخة أفزعت الطيور في اعشاشها. تصرخ وتنادي الجميع ليساعدونها. تطالبهم بالاتصال بالإسعاف والشرطة. تحاول معرفة ما حدث تتوسل بسملة للتحدث.

وبسملة فقط كانت في عالم آخر لم تتحدث حينما استيقظت سوى بكلمة واحدة. ساهر...

"مكنتش شايفة حد، عيني مكنتش قادرة أشوف بها مين اللي قرب مني، بس كنت سامعة صوت سعد وعادل وهما بيقولوا اسم ساهر وصوت نفس ساهر وكلامه كان قريب مني، وأنا مش قادرة أشوفهم وعيني مش قادرة افتحها، كنت نايمة وصحيت مفزوعة على إيد بتكتم بؤقي"

تدرك أن طفلتها الحبيبة تعاني من تلك المشكلة التي تجعلها لا ترى بشكل واضح بعد الاستيقاظ مباشرة، لذا هي من تولت مسؤولية معرفة من منهم تعدى عليها لتعلم أنهم ثلاثتهم فعلوا وكان صاحب الفكرة هو ساهر ذلك الفاسق الوسخ الذي يحيا أسفل قصرهم، ويحميه زوجها بكل نفوذه.

وحينها تعهدت أمام الله ولنفسها أنها لن تذر منهم وسخًا في هذه الحياة، وستجعل بلال يبصر بام عيليه دمار كل ما سعى له في حياته.

- حنان هانم، أستاذ بلال صحي وطالب حضرتك جوا.

التفتت حنان وهي تستدير ببطء صوب الطبيب خلفها تظهر ملامح الرعب بشكل محترف وقد أجادت لعب ذلك الدور بشكل متقن طوال الوقت:

@ART_OF_BOOK

- بجد يا دكتور هو فاق، يعني خلاص بقى كويس وممكن يخرج ويمشي معانا البيت؟
- إن شاء الله، بس حالتنا محتاج راحة ومتابعة فمفضل يكون موجود في المستشفى لوقت أطول، وإن شاء الله لعندي الفترة دي.

مسحت دموعها التي هبطت مثل لوان، تتذكر ما حدث، تتحدث بصوت خافت مبتهج:

- الحمد لله بجد، ربنا يعلمك يا دكتور، ممكن أدخل أشوفه دلوقتي؟!
- أكيد بس ياريت متطولليش عشان لسه حالته مش مستقرة.
- متقلقش والله مش هتأخر خالص وهسيبه يرتاح بس أشوفه واطمن عليه.

ابتسم بهز رأسه مشيرًا صوب غرفته يسمح لها بالدخول وهي راقبت الطبيب يبتعد عنها كي ينتهي من باقية عمله، وبمجرد أن اختفى اتسعت بسمتها، تتحرك داخل الغرفة تتحسس جبينها بهدوء شديد وقد اسودت نظراتها.

***

- معتز؟! أنت هنا بجد؟

تتحدث بصدمة وهي تنظر حولها لا تصدق أنه تجرأ وجاء لها صوب القصر يبتسم لها بحب وحنان كما كان طوال الوقت.

- وحشتيني ومش بتردي على التليفون، فقولت أجي أشوفك.

@ART_OF_BOOK

توترت بسملة بشدة من كلماته المتحرك معه خارج الموافذ صوب الحديقة لتبر له أن يتبعها مطمئنة أن لا أحد قد يزعجهما في المكان بعدما على القصر تفرغها إلا من العاملين به، بعدما تفرق كلّ بالمهام فتاته مما يحدث معهم.

- أنا أسفة بس جدو تعب فجأة واتشلتنا فيه.

ابتسم معتز بسعة واسعة ملتفتة ولم يتحدث أو يعبر عما يدور في صدره وقد كان في هذه اللحظة يدعو الله ألا يزيد من عمره دقيقة إضافية.

- طب طمنيني أنتِ عاملة إيه؟!
- أنا كويسة الحمد لله و....

قاطعها بهدوء وهو يمسك كفها بشكل مفاجئ يتحدث بلا مقدمات وقد فشل في كبت ما يحتفظ داخل صدره:

- أنا جهزت كل شيء وأوراق السفر كمان، كل شيء جاهز وهنمشي من هنا بعد يومين أنا وأنتِ هنسيب الكل.
- بس يا معتز جدي في المستشفى، مش هينفع نسيبه

وقبل إكمال جملتها انتفضت على صرخة معتز الذي جن جنونه من كلماتها بصرخ بصوت مرتجف من شدة الغضب:

- جدك؟ خايفة على الراجل اللي باعك ورماكِ للحيوان اللي اسمه ساهر عشان يكمل اللي عمله فيكِ هو وعيال عمه.

اتسعت عينا بسملة وشحب وجهها من كلماته، لعم كانت تعلم أنه يعلم ما حدث لها بالفعل وقد تكفل شهاب بإخباره كي يتدخل وينقذها من استسلامها، ولولاه،

@ART_OF_BOOK

بعد رحمة الله بها لكانت خسرت نفسها وكل حياتها، هو الذي انتشلها من ضياعها مع شهاب.

- بسملة، حبيبتي بالله عليكِ ما تحرقي قلبي أكتر من كده، أنا تعبت، تعبت إلي أفضل مستني وأراقبهم كده، قدري إلي مش..

صمت يبتلع غصته وهو يتنفس بصوت مرتفع:

- أنا كل يوم بحلم إلي مربوط وانتِ بتستنجدي بيا وأنا مش قادر أعمل حاجة، مش قادر أتحرك، حاسس إلي متقيد.

أمسكت كفه بحب شديد تدرك ما يحياه في هذه اللحظة، معتز كان أقرب لها من نفسها، سعى لها مسعى الغريق للقشة في محيطٍ هادر.

نظرت إلى عينيه بحب شديد:

- عارفة إنك مش قادر تسامح إلي رفضت أخليك تنتقم منهم، بس شوف ربنا انتقملنا منهم كلهم من غير ما تلوث إيدك بدمهم النجس يا معتز.

ابتسم لها معتز وهو يراها تضم وجهه بحب شديد يراقبها بعينين عاشقتين، وفي عقله تدور جملة واحدة.

"بلى فعلت حبيبتي، فعلت ولوثت يدي بدمائهم النجسة"

فمعتز منذ علم ما حدث وهو يخطط كل يوم لتقطيعهم بيديه، يقتلهم ويعذبهم لساعات وساعات حتى يشفي نيران صدره ولن يفعل، لكنه خشي أن يفعل

@ART_OF_BOOK

ويسجن ويتركها وحدها. لذا خطط لأسابيع طويلة، ونفذ جريمته الأولى في حق سعد.

الكلور والكلير من تلك المادة السامة التي يستخدمها والده في استخلاص الذهب وضعها في مشروبه وجعل الأمر يبدو كحالة انتحار، وخوف بلال الهستيري على اسم عائلته، ساعداه لتنغلق القضية ضد مجهول دون التحقيق فيها بشكل دقيق.

ومن ثم وقبل أن يخطو الخطوة الثانية صوب عادل محتفظًا بساهر للنهاية، وصل له خبر انتحاره، صُدم من الخبر وهو الذي لم يتحرك سنتيمترًا صوبه، لكنه استراح منه على الأقل وتبقى له الوسخ الأكبر، العزيز ساهر.

والذي انتوى قتله يوم حفلته تلك ووضع له المادة نفسها التي قتل بها سعد، لكنه لم يكد يرتشف منها قطرات قبل أن يترك الكوب ويتحرك صوب سارة يغازلها ويحاول الاقتراب منها ليلتشا شجار لوي بينهما راح ضحيته الكوب الذي يحتوي على السم، وضاع معه فرصته للتخلص من الوسخ ساهر.

ومن بعد هذه اللحظة سمع رنين هاتفه بخبر وصول بسملة لمصر قبل موعدها فسارع يغادر المكان تاركًا الجميع لحوحبيبته مؤجلًا قتله لحين تأتيه فرصة أخرى.

ليأتيه بعدها خبر مقتل ساهر، ليدرك في لحظة أنه لم يكن الوحيد الذي يخطط في هذا الوقت للانتقام، فهذه العائلة لن تجد لها محبين كثر.

- معتز أنت روحت فين؟
- هاا معاكِ يا حبيبتي، أنا معاكِ بس سرحت شوية وكنت....

@ART_OF_BOOK

تنفس بصوت مرتفع يدفن وجهه بين كفيه:

- بسملة أنا تعبت والله تعبت، عايز أتجوزك وأبعد عن كل الناس دي، كفاية أوي كده، أنا قولت لشهاب وشهاب رتب كل حاجة.

- شهاب؟!

ابتسم لها بحب وحنان بهز رأسه وقد أبصر إشراق وجهها بالسعادة، يدرك مكانة شهاب عندها، ورغم أنه في فترة من الفترات كان يغار منه، إلا أنه بعد ما مروا به يدرك أن شهاب لا يراها سوى أخته، وهي لا ترى به سوى عائلة منتقصة إلى جوار جنتها.

- هنسافر كلنا ونبدأ حياة جديدة بعيدة عن الكل.

***

توقفت سيارة أسامة بشكل مرعب أمام المشفى وهرول الأربعة بين ممرات المشفى كالمجانين، وكل من يبصرهم يفسح أمامهم الطريق بسرعة ورعب من منظرهم.

كلمات عفاف وتحليلها أن القاتل ليس سوى حنان، جعل الشك يتسرب لقلوبهم أنها ستتجرأ لتنفيذ خطتها التالية في المشفى وتحديدًا مع زوجها، كلمات عفاف ما تزال تتردد في أذنهم.

"حنان كانت بطلة ليشان وواخدة جوايز وصورها مالية الأوضة بتاعها، هي الوحيدة اللي محدش يعرف كانت فين يوم الجريمة، بسملة قالتلي إنها خرجت ورجعت الفجر قبل ما تصحى حنان، بس مكانش حد موجود عشان يثبت إنها

@ART_OF_BOOK

تلهمة أمامنا، حنان الوحيدة اللي عندها أقوى دافع تقتلهم والوحيدة اللي تقدر تدخل حد القصر وعندها سلطة وقلوص تجند رافت لعسلبها"

ركض أسامة بشكل جنوني بين طرقات المشفى وهو يدعو الله أن يلحقوا بها قبل أن تقتل الأخير، قبل أن تقتل بلال، لا يريد أن يزداد وضعها في القضية سوءًا، أن تضيع حقها وحق حفيدتها بقتل بلال بسبب لن يهتم به القانون.

قتل الثلاثة كان لسبب والدليل معهم على هاتف سامر، الدليل كان دفاعًا عن الشرف وانتقامًا لتعدي، لكن انتقامها من بلال لن تجد دليلًا يقتلها منه، ولحظة تمنى أسامة أن يكذب حدس عقاب رغم أن كل ما تعمدت بها كان الهرب شيء للمنطق.

توقف الجميع أمام الغرفة التي يقبع بها بلال يقتحمونها بسرعة، وتضيء هند الأضواء برعب كبير يطردون بأعين ملتمعة صوب حنان التي كانت تجلس على الأريكة أمام بلال تدمع قدمًا فوق الأخرى بكل برود وهدوء.

رفعت عينيها صوبهم بابتسامة صغيرة تهمس لهم بصوت بارد بعض الشيء:

- في النهاية مكنتوش بالغباء اللي توقعته.

تقدم أسامة بسرعة منها وهو يطلق صوب بلال الذي كان ما يزال غائمًا بشكل مريب رغم دخولهم القوي عليه، ولولا صوت أجهزة ضربات القلب التي تصدح لظن أنها قتلته.

وهي قرأت تعابير وجهه بوضوح لتبتسم متنهدة:

- لسه عايش هو بس واخد أدوية تهدته، نفس الأدوية اللي تهدني بيها.

@ART_OF_BOOK

ختمت حديثها بنبرة سوداء، بينما هند تقدمت منها وهي ترفع يدها أمام عينيها تحاول أن تجعلها تستمع لها:

- صدقيني أنا في صفك، احنا كنا هنا في صفك، أنتِ موقفك قوي في القضية، معانا دليل يثبت الدافع، هنقف معاكِ وهناخدي حكم مخفف، بس متتهوريش وتاذي بلال.

نظرت إليهم حنان لثوانٍ قبل أن تحرك عينيها صوب بلال تراقبه بهدوء دون رد لثوانٍ حتى شعر الجميع أنها لا تشعر بوجودهم:

- متقلقيش مش هموت بلال، مش عايزاه يموت بالسهولة دي، مش قبل ما يتعذب ويتمنى الموت بنفسه، لازم يعيش عشان يشوف كل اللي بناه بيتهد، أحفاده اللي بدّاهم على حقيدتي، وشركته وعياله كلهم هيتدمروا.

نظر إليها الجميع بعدم فهم، لتبتسم وهي تخبرهم بتشفي واضح:

- كنت عارفة إنكم قريتوا توصلوا ليا من بعد ما بسملة قالتلي إنكم عرفتوا إننا كنا هنا يوم الجريمة، عشان كده خلصت كل اللي عايزة أعمله قبل ما أسلم نفسي، سلمت عيالي لقدرهم.

اتسعت الأعين يحاولون معرفة ما تقصد بينما هي لم تهتم بالتوضيح مبتسمة فخورة بنفسها أنها فعلت كل ذلك ولم تُكشف حتى انتهت، وكانت آخر خطوة هي تسليم كل ما يثبت أن انتحار سامي ذلك اليوم كان مدبرًا وأن منصور هو من دفعه وكل ذلك مسجل على كاميرات الشركة التي ظن منصور أنه تخلص منها، لكن إن كان ولدها يمتلك سلطة، فهي تمتلك ضعفها.

@ART_OF_BOOK

- انتِ اللي قلتلي سعد وعادل وساحر مش كده؟!

كان سؤالا حائرا من جلال وكأنه يخشى أن تهدئ وتقوله هو الغبي. لكنها لم تتمالك نفسها وابتسمت بسعادة صغيرة تهز رأسها.

- عادل وساحر بس، لكن سعد لا. الظاهر إن اللي بيكره العيلة دي أكتر من اللي بيحبها.
- ازاي؟ واشمعنا خليني ساحر جريمة لكل مش انتحارزي الباقيين؟

ابتسمت وهي تنظر إلى أسامة بشكل شريد

- بتجمع اعتراف اكتبي يا أسامة باشا؟
- أنا بس عايز أساعدك.

ضحكت ضحكة صغيرة وهي تهز رأسها:

- مهمنيش تساعدني أو لا، يهمني إني أخدت حق حقهالي من عيونهم. وأخدت حق كل واحد اتظلم بسببهم. حتى لو اتعدمت فيموت و أنا أخيرا مرتاحة بعد شهور طويلة مش بقدر أنام غير بالمهدئات.

تكلمت حديثها بصوت يقطر وجعًا وقد تفصلت ملامحها وبدأت عيناها تمتلئان بالدموع بينما هند تتحدث بصوت حنون لتشعر بوجعها.

- أنا حاسة بيكي و...
- لا.. لا متقوليش حاسة بيها. محدش حاسس بيها. تحسي بيا ازاي و أنتِ معشتيش اللي عشته؟ تحسي بيها ازاي وأنتِ مكنتيش على بُعد خطوة

@ART_OF_BOOK

من حفيدتك وهي بتُختصب، نايمة ومش حاسة بحاجة وهي بتتنقل بالحها ومش قادرة حتى تعبر عن وجعها وتصرخ. تحمي بها ازاي؟

سقطت دموع هند بقوة وهي تهتف بصوت مرتجف تنهار أمامها:

- عشان.... عشان كنت في يوم مكان بسملة.

شعر الجميع في الغرفة وكأن الأرض قد انشقت تحت أقدامهم، وكل شيء حولهم تبخر في لحظة.

كانت الصدمة كصاعقة هبطت على رؤوس الجميع، متجمدين، غير قادرين على استيعاب ما تردد على مسامعهم للتو.

هند؟! كيف ومتى؟ ولماذا لم يعلم أحد أبدًا قبل هذه اللحظة.

أما عن هند فقد اقتربت من حنان التي امتلأت ملامحها بالوجع والألم وهي تتحدث بصوت مذبوح تحاول أن تواسيها وهي أكثر من يشعر ببسملة:

- كنت لسه في إعدادي وعمي هو اللي....

صمتت تقاوم انهيارها وقد ظنت أنها تجاوزت كل ذلك قديمًا، تعالجت وتخطت ذلك الوجع، لكن أن تشهده متمثلًا في امرأة أخرى جعلها تدرك أنها يومًا لم تتجاوز تلك اللحظات.

جلست أمام حنان وهي تهتف بصوت موجوع:

@ART_OF_BOOK

- صدقيني أنا حاسة بيك وبسملة، يمكن مجاتليش فرصة انتقم منه وإرادة ربنا كانت أقوى مني ومات بسبب المرض، بس أنا مش بلومك ولو رجع بيا الزمن هعمل نفس اللي عملتيه وبمكن أكتر.

بنا اللعبرت حنان في البكاء وهي تنهار تقص عليهم ما فعلت، كل ما خططت له قبل الانتقام لحفيدتها:

- كنت بهدده بالقتل، خليته يفتكر إني أنا اللي خلصت على سعد، وحاولت أقتله أكتر من مرة لغاية ما انتحر بنفسه، أنا مقتلتش عادل بس وصلته للانتحار وبعدين أخدت تليفونه مسحت كل الرسايل والفيديوهات اللي كنت بعتها ليه، أما ساهر.....

اسعت بسمتها بقوة وقد ظهر الانتشاء واضحًا على معالم وجهها، ترتمي في جلستها بعدما كان كامل جسدها مشتد بشكل مخيف:

- ساهر بالذات كان لازم أشوف خوفه في عيونه، لازم أشوف رعبه اللي خلاها تعيشه، أشوف صدمته وهو شايف جدته ماسكة السلاح عليه، زي ما شاف هو صدمها وهي شايفة ابن غاليها بيعتدي عليها.

حركت عيناها بين الجميع وهي تفكر في شيء ما قبل أن تبتسم بسمة أخيرة تهتف بهدية:

- أنا مش ندمانة، ولو رجع بيا الزمن هعمل نفس الشيء، وكل لحظة كنت بفكر أعمل بكل ده، كلهم كانوا يستحقوا الموت.

- كان ممكن تولي عن اللي حصل وبساطة بدل بكل ده.

@ART_OF_BOOK

سقطت دموعها وهي تضحك ضحكة صغيرة ساخرة من كلمات جلال الذي حاول طرح حلًا ظنًا أنه لم يخطر على بالها.

- صحيح كانت تايهة عني فين الفكرة دي؟ أبلغ عنهم فيعرف بلال ويوقفني ويموت القضية قبل حتى ما تتعرض على المحكمة، ويشتري كل المحامين عشان يقتل حقها، وحتى لو وصلت للمحكمة بسلام ولقيت محامي ابن حلال يدافع قدام محامين بلاش ياخدوا في الاخر حكم مخفف بدعوى إنهم سكرانين أو مجانين أو اي شيء، بلال مكالش هيغلب.

رفعت عينيها له تلقي لهم نظرة شيطانية وقد أخذت شهورًا تخطط لكل شيء حتى تشفي صدرها وتلتقط براحة أخيرًا:

- وكل ده مكالش حتى هيطقني ناري وأنا شيفاهم عايشين حياتهم وهي حياتها اتدمرت وبقت تتعالج بسببهم، بسملة لغاية دلوقتي بتصحى بليل تصرخ وبقت طول الوقت خايفة ومتوترة، دمروا حياتها وهما عاشوا وكملوا حياتهم.

نظر الثلاثة إلى بعضهم ولم ينطق أحدهم كلمة، وهند فقط ما تزال تنظر صوبها وهي تشعر بكل ما تصفه وهي التي لم تكن تعي ما حدث، لم تكن تدري فداحة ما فعل بها عمها في طفولتها، لا تفهم سبب لطم والدتها لخدها ولا صراخ والدها بأنهم سيفتضحون إن علم أحدهم ما حدث، كل ما تدركه أن الوجع جراء ما أصابها ما يزال في كامل أنحاء جسدها.

@ART_OF_BOOK

لم تستطع قتل عمها، وكم تمنت أن تخرج روحه بين يديها، لكن سبقها الموت له.
وإن لم تستطع أن تفعل فلن تدع حنان تُسجن لأجل ذلك ولو خانت بذلك
نسمها!

مسحت دموعها بهدوء، استدارت صوب أسامة تتحدث بصوت منخفض:

- أسامة...

- مش هينفع يا هند.

كانت كلمات كما لو أنه أدرك ما تسعى له بنظراتها، أما عنها نظرت أرضًا بشرود، بينما عفاف ما تزال تبكي على هند وبسملة وعلى كل من سُلبت منها حياة ومن أقرب الأشخاص لها، عمها، ابن عمها، بل وصل الفجور لأن يكون المتهم والدها.

في هذه اللحظة سمع الجميع صوت في الخلف يهتف بنبرة فزعة:

- تيتة؟!

رفعت حنان عينيها بسرعة صوب الباب تبصر شهاب وطارق بأوجه شاحبة، جاء! ركضًا للمشفى حينما أخبر شهاب طارق بشكه.

جدتهم من فعلت هذا، جدتهم من فعلت كل ذلك وليس أحدهم، جدتهم كانت أقوى من الجميع لتأخذ حقها.

اقتحم طارق الغرفة وهو يبكي يجذب جدته لأحضانه بقوة، وحنان انفجرت في البكاء بمجرد أن شعرت به، بربت عليها بقوة وهو يهمس لها بصوت مقهور:

@ART_OF_BOOK

- محدش هيقرب منك، أنت هتسافري معانا، هتسافري مع شهاب وبسملة بعيد عن الكل و...

قاطعه أسامة بهدوء بتفهم كل ما يحدث؛

- طارق باشا لو سمحت جدة حضرتك مهتمش تسافر غير لما القضية تتقفل، صدقني مش هيكون موقفها سهل أبدًا فيه أكتر من دليل على اللي عملته و...
- جدتي مش هتدخل السجن يوم يا حضرة الظابط، جدتي هتتحمل برة وبالنسبة للجريمة، فأنا اللي قتلتهم كلهم.

رفع أسامة حاجبه بضيق من تصرفات طارق بمسح وجهه وقد كان في موقف لا يُحسد عليه، قلبه يخبره أن يقتني كل ما حدث، وعقله وضميره يجبره على إنهاء الأمر كما يفعل كل مرة.

هي أمام القانون ارتكبت جريمة واحدة في حق ساهر، وما زال سبب التحار سعد خفي، و التحار عادل لا دليل يدينها.

أبصر طارق التردد والحيرة أسامة، ليلتف بمواجهه بجانبه مقولًا بتحدث بكل جدية؛

- أنا اللي قتلته، شوف كل الأدلة بقناعتك وفصلها علينا يا أسامة باشا، لو على التعويض فأنا أكتر واحد بعرف أصوب فيهم، لو على مكان تواجدي وقت الحادثة فشهاب هيشهد إني روحت متأخر من الكل، كمان الرسالة اللي كانت جنب الجثة معانا ومخبيها، والدافع هقول إنه طمع في الورث، فحتل كل الأدلة عليا وسيب جدتي تخرج منها.

@ART_OF_BOOK

صح لسامة وجهه بقوة يشعر بالغضب يتلبسه، هذه المرة الأولى التي يقف عاجزا أمام لغمة ما، ما سبقها من القضايا كان يسلم المجرم ويأتي دوره، عدا القضية الأخيرة والتي تابعها بنفسه حتى تأكد من حصول المتهم على أخف حكم وفقا لمادة القانون 17، وهذا للأسف ما سيتم تطبيقه إن سلموا كافة الأدلة للنيابة حتمًا.

تحدث أسامة وقد أبى أن يخون قسمًا تعلقه على للأسف يتنهد بصوت مرتفع:

- الأدلة كلها هتتسلم للنيابة التنفيذية والحكم للنيابة القضائية، احنا بس حلينا القضية ومش في إيدينا نعمل أكتر من كده يعني

ثم حدثه يتحرك للخارج بغضب شديد، القضية الثانية التي وقف بها عاجزًا هاهنا من للأسف.

يكون الأمر أسهل حينما تكون القضايا قضايا تمت على أيدي مجرمين، وليس أيدي مشهورين، يعطيهم كامل الحق في ردة فعلهم، يتخيل نفسه مكانهم وسيفعل أسوأ من كل ذلك، العجز الذي يكبله يقتله ويخنقه.

شعر بيد تربت عليه، فرفع عينيه الغاضبتين والمتحسرتين صوب عفاف، التي ابتسمت له بحنان، وهو اكتفى بالرد بعجز:

- مش قادرها عفاف حاسس إني حقير أوي، بس شعب عني دي حقوق ناس والقاضي هو اللي بحكم مش أنا، أنا بس مسلم الأدلة كلها و—

صمت يمقت صوتًا مشهورًا، نفس العجز يكبله، نفس القهر، نفس الصراع كما القضية السابقة في "حارة الجزار" الفرق هناك انه كان قد أبلغ الشرطة قبل حتى

@ART_OF_BOOK

أن تتاح له فرصة التفكير والتراجع، أما هنا فهو يمتلك فرصة ليساعد في تضليل العدالة، لكن هل يفعل ويخون نفسه وضميره؟

- هتتحل يا أسامة، هتتحل بإذن الله، أنت بس توكل على الله.
- يا رب يا عفاف، يا رب.

***

بعد ليل طويل من الأحزان استمر وكأنه للأبد، أتى النهار حاملاً معه أملاً جديدًا في الحياة.

مرت الأيام الثقيلة، وبدأت تتلاشى الظلمة التي كانت تحيط بالقلوب، بدأت النفوس تتحرر من قيودها، انتهت قضية " قصر الخواجة" وحُلّ الغموض الذي طاف فوقه، سلّم أسامة كافة الأدلة كما تعهد أمام نفسه، ورغم كل صرخات هند وتهديدها بالانسحاب من الفريق، ورغم كل الاعتراضات التي لشأت من الجميع.

ها هو يجلس وبعد أيام طوال مع فريقه في قاعة المحكمة ينتظر النطق بالحكم على المتهم، بعدما عاد مع فريقه خصيصًا لحضور الجلسة الأخيرة من الحكم بعد تحقيقات طويلة لم يهتم أحدهم لحضورها لأنهم يعرفونها جيدًا.

هند ما تزال لا تتحدث معه ولا تهتم بذلك، متطلعة شاردة تتحرك بنفسها كليًا رغم محاولات عفاف، لكنها كانت قد اتخذت القرار، بعد هذه المحاكمة ستغادر إسكندرية وتغادر الفريق بأكمله.

@ART_OF_BOOK

لجاة التفت صدر هند حينما سمعت طارق القاضي وصوته الذي صدح في المكان وهو ينطق بالحكم الذي تدركه ولعلمه جيدًا، لكن لوالي وشعرت بالصدمة وهي تسمع كلماته يتردد صداها في المكان.

"بعد الاطلاع على الأوراق والمستندات المقدمة في القضية، وسماع المرافعات الشفوية من الدفاع والنيابة العامة، ومداولة المحكمة، وتبين للمحكمة أن المتهم قد ارتكب فعل القتل دفاعًا عن نفسه ضد اعتداء غير مشروع، وأن هذا الفعل يندرج تحت المادة 61 من قانون العقوبات، التي تنص على عدم مؤاخذة من يقتل نفسًا أو يحدث إصابة أو جروحًا أثناء مقاومة أو دفاعًا عن نفسه؛ لذلك، وحيث أن المحكمة مقتنعة بأن المتهم قد تصرف في إطار دفاعه عن نفسه، تقرر المحكمة براءة المتهم من التهمة الملسوبة إليه، وتأمر بإخلاء سبيله فورًا."

التقطت جسد هند بصدمة وقد شعرت لجاة بالثقل في جسدها بأكمله من هول ما سمعت، تنظر حولها بعدم فهم، والشحوب قد ملأ وجهها ولأول مرة تنظر صوب القفص الخاص بالمتهمين وكأنها كانت تخشى أن تصطدم بنظرات حنان بالخطأ، لتبصر ما جعلها تهتف بصوت مرتجف:

- بـ... بسملة؟

تحركت بعينها صوب أسامة الذي ابتسم لها بنهض من مكانه بلقي لها بغمزة صغيرة، لتدرك في هذه اللحظة أنه هو من فعل ذلك، أسامة فعلها... أسامة فعلها؟ كيف فعلها؟!

حركت عينها في المكان بصدمة كبيرة تبصر حنان تنظر صوبهم بابتسامة صغيرة وطارق يساندها مع شهاب، بينما معتز يقف أمام القفص يتحرك بسرعة مع

@ART_OF_BOOK

بسملة التي كانت تُسحب باكية مبتسمة من القفص وصوت معتز يتردد في المكان باكمله:

- خلاص يا بسملة، خلاص خلصت، خلصت يا بسملة.

ولم تلتظر هند للسمع أكثر وهي تتحرك للخارج بسرعة خلف أسامة الذي خرج يسبق الجميع مع عفاف تاركًا إياها وجلال اللذي كان يراقب ما يحدث ببسمة واسعة.

ركضت بسرعة وهي تبصره يتحرك صوب السيارة مع عفاف لتهتف بصوت مرتفع:

- عمو.

توقفت يد أسامة قبل أن تصل للسيارة يستدير لها نصف استدارة، لتتحرك صوبه ببسمة واسعة وقد ظهر له إشراقتها بعد أيام طوال من الانطفاء تتحدث بصوت مبتهج رغم دموعها:

- أنت اللي عملت كده؟

تحدث أسامة بهدوء شديد وكلمات ملتوية:

- عملت إيه يا هند، أنا بس سلمت الأدلة للجهات التنفيذية، وكل الأدلة لو تفتكري مفيش دليل مادي واحد يثبت إن حنان القاتل غير اعترافها.

صمت وهند تحلل ما حدث، أسامة محق، جميع الأدلة تقول أن الفاعل فعل كل ذلك انتقامًا لما حدث لبسملة، وبما أن الجميع كان لديه حجة غياب ذلك اليوم

@ART_OF_BOOK

عدا حنان وبسملة، إذن فالقضية محسومة، لم يكن هناك شاهد على مكان تواجد بسملة غير معتز والذي يمكنه ببساطة تغيير أقواله لأجل بسملة وجدتها.

انتبهت على صوت أسامة الذي تحدث بجدية رغم نبرته الخبيثة:

- متلمسيش كمان آثار الأظافر اللي كانت على رقبة سامر قبل موته واللي توحي إن حد كان بيقاومه، وأكيد اللي كان بيقاومه دافع عن نفسه بقتله.
- أيوة بس اللي كان بيقاومه هي سارة و.....

صمتت فجأة وهي تشهق بصوت مرتفع ترى كيف تم التلاعب بالأدلة بشكل خبيث كي تدور القصة حول قتل للدفاع عن النفس، وخاصة أنها ليست المرة الأولى، إذن الحكم بالبراءة كان مضمونًا.

رفعت عينيها لأسامة، تهتف ببسمة وبنبرة تؤكد أكثر مما تسأل:

- قضية "حارة الجزار" أنت برضه اللي اتدخلت فيها وغيرت الحكم مش كده؟

حرك أسامة كتفه بهدوء بتحدث ..

- أنا يا بتي؟! ده أنا مسكين.

أطلقت هند ضحكات مرتفعة، تنظر إليه بامتنان كبير وتقدير واحترام كبر أكثر وأكثر، أسامة ورغم كل ما به كان قائدًا بامتياز:

- شكرًا يا أسامة، شكرًا.

@ART_OF_BOOK

ابتسم لها بحنان أخوي يهز لها رأسه بحب يسحب عفاف لأحضانه بلطف شديد:

- العفو يا هند، ودلوقتي أستأذنكم هاخد مراتي نكمل باقي شهر العسل، عندنا سفر طويل.

تدخل جلال في الحديث بسرعة:

- شهر عسل إيه؟ وفرح؟ ده خلاص بعد أسبوعين.

ابتسم له أسامة وهو يربت على كتفه بحب أخوي شديد:

- متقلقش يا جلجل هكون عندك بعد تلات أيام، ومش هسيبك لغاية ما تسلمك تسليم وتمضيك تعهد على صحتها النفسية، بلا سلام عشان ألحق الطريق قبل ما الدنيا تضلم.

ختم حديثه بغمز لعفاف التي ابتسمت له بحب، فمسك كفها بقبله يفتح لها باب سيارته:

- يلا يا فوفا.
- بينا يا عمو.

صعد أسامة للسيارة جانبها يجهزها للتحرك، بينما هند تتابعهما بسعادة كبيرة تدعو الله لهما، وقبل التحرك أخرج أسامة رأسه من السيارة يهتف بجدية:

- صحيح يا هند خلوكي هنا في إسكندرية متسافريش غير لما تعرفي قضية منصور بتاعة سامي وصلت لفين، وأهو تتسلى شوية بإسكندرية وهوا

@ART_OF_BOOK

إسكندرية وأهالي إسكندرية، أشوفكم في قضية جديدة يا شباب، أنا
فطور بيكم.

ثم حدجه بلمزة وهو يشير على جهة ما قبل أن يسرع بسيارته، تاركًا إياها تتابع أثره بعدم فهم، تنظر حيث أشار أسامة قبل أن يرحل تبصر سيارة فاخرة يسلند عليها أحدهم وهو يرتدي نظارة شمس يتابعها بهدوء، قبل أن يخلع نظارته يبتسم لها بعدان يفتح باب السيارة جواره دون كلمة.

ظلت واقفة للوان تفكر إن كان يمكنها خوض ذلك المضمار مجددًا، أم لا. لكن نظرات خالد لها كانت أقوى من كل خوف وتردد داخلها، خالد يستحق أن تمنحه فرصة ثانية وثالثة ورابعة إن أراد، يكفي أنه الوحيد الذي تحملها بكل ما فيها، وكل عيوبها، لم يتبقى سوى أن تصارحه بما يؤرقها ومن ثم تترك له الخيار.

ولنظرة إلى وجه الخالد الهائم بها شعرت أن الأمر لن يكون بهذا السوء، وصلت حيث هوليمبل للوان حتى يصبح بنفس طولها يبتسم بحب:

- المرة دي هي الأخيرة يا هند، وصدقيني من بعدها مش هحاول ولا مرة تانية، لأن باعتصارك مجرد دخولك العربية دي المي إلي أسيبك تنزلي منها، مش هيكون فيه مرة تانية عشان أحاول.

رفعت عينها تنظر إليه لتبصر نظرات جعلتها ترتجف داخليًا تبتسم بسمة صغيرة دون شعور:

- محتاج تسمعني الأول قبل ما تقول كده يا خالد.
- هسمعك يا هند، مستعد أقضي عمري أسمعك، بس صدقني مهما أسمع، فأنتِ ملكيش هروب مني إلا على بيتنا.

@ART_OF_BOOK

اتسعت بسمتها، تصعد إلى السيارة جواره في إشارة لمنحه ومنح نفسها الفرصة الثانية والأخيرة، والتي تأمل أن تلتهي معه كما ردد.

صعد خالد جوارها يعيد رأسها للمسند خلفه يبتسم بسمة واسعة سعيدة:

- آه يا هند تعبتوني وطلعتي عيني، بس تستاهلي.

ختم حديثه غامزًا، يتحرك بسيارته بسرعة وفي نفسه إصرار أن هذه المرأة لن تكون ملكًا لسواه، ليس بعد كل هذه السنوات التي كان يلتصق فيها بهاتفه فقط ليتابع أخبارها ويتأمل صورها.

هند ستكون زوجته وانتهى الأمر... كل ذلك وجلال يقف وحده يتابع الجميع بعدم فهم، يرفع يديه في الهواء:

- إيه ده؟ طب وأنا؟! أروح فين؟

لكن لم يكن أحد جواره ليجيبه حتى، زفر بغضب شديد وهو يتحرك في المكان يردد بهمسات غاضبة:

- طبعًا أخدتم غرضكم مني وسيبتوني، أول ما أحل ليكم القضية تجروا على طول وتسيبوني، شوية أغبيا.

فجأة ارتفع رنين هاتفه يقطع سباته وحنقه، رفع الهاتف لتلمع عيناه حينما أبصر اسمها بنير شاشته بقوة ليجيب بسرعة ولهفة كبيرة:

- ألو يا توتا، وحشتيني.

صمت لثوانٍ قبل أن يتوقف في سيره متفاجئًا:

@ART_OF_BOOK

- بجد انت وصلتي القاهرة؟ طب استنيني وأنا جاي أخدك، ساعتين كده وهكون عندك.
- انت فين كده؟
- انا... أنا في إسكندرية يا توتا، تعالي أجهبلك هريسة وأنا جاي؟!
- حاولي بس سلامتك يا سي جلال.

السعت بسمة جلال وهو يوقف سيارة بسرعة للتحرك صوب القاهرة وصوب مخطوبته الحبيبة التي يشتاقها وبشدة، وبعدما استقر في السيارة هتف بشوق كبير:

- استنيني يا توتا مش هتأخر عليكي، مسافة الطريق.

أغلق الهاتف بسعادة وعيناه تلمعان وهو يهز الفب بحر الإسكندرية بتحرك جواره، يتنفس بصوت مرتفع مرتاح.

***

أما عن أسامة، فقد كان يقود سيارته على الطريق صوب المدينة نفسها التي كان يقضي بها إجازته مع زوجته الحبيبة قبل أن يقطعها اتصال القائد الأعلى لأجل المهمة.

متعهدًا أن يعوضها بكل ما يسعدها، يمسك كفها يقبله بحب، وهي تستند على كتفه مغمضة عينها بسعادة تتنافس سعادته وراحة كبيرة

- مش مصدقة إننا خلصنا المهمة يا عمو.

@ART_OF_BOOK

—

- خلصت بفضل الله وبجهدكم يا فوفا. خلصت زي كل اللي سبقها ولسه اللي جاي.

رفعت عينها تنظر إليه بحب:

- تفتكر المهمة الجاية هتكون فين وازاي؟!
- معرفش هتكون فين وازاي، اللي أعرفه إنها هتكون معاكم وده أهم شيء بالنسبة ليا، إنكم معايا رغم كل اللي بتعملوه.

أطلقت ضحكة مرتفعة وهي تضم ذراعه بحب وهوبر اقب الطريق أمامه بيسمة صافية، يودع مهمة وب[illegible]

@ART_OF_BOOK

لا يهم من قتل ومن قُتل، لا يهم عدد الأدلة التي سيصطدمون بها، لا يهم عدد الإخفاقات التي سيتعرضون لها، ولا عدد الأخطاء التي سيرتكبونها، المهم أن الثلجة واحدة، تحقيق انتصار آخر وإضافة نقطة أخرى في سجلهم، سجل فريق العو، أو كما يُشاع "سرب البط البلدي".

@ART_OF_BOOK







@ART_OF_BOOK